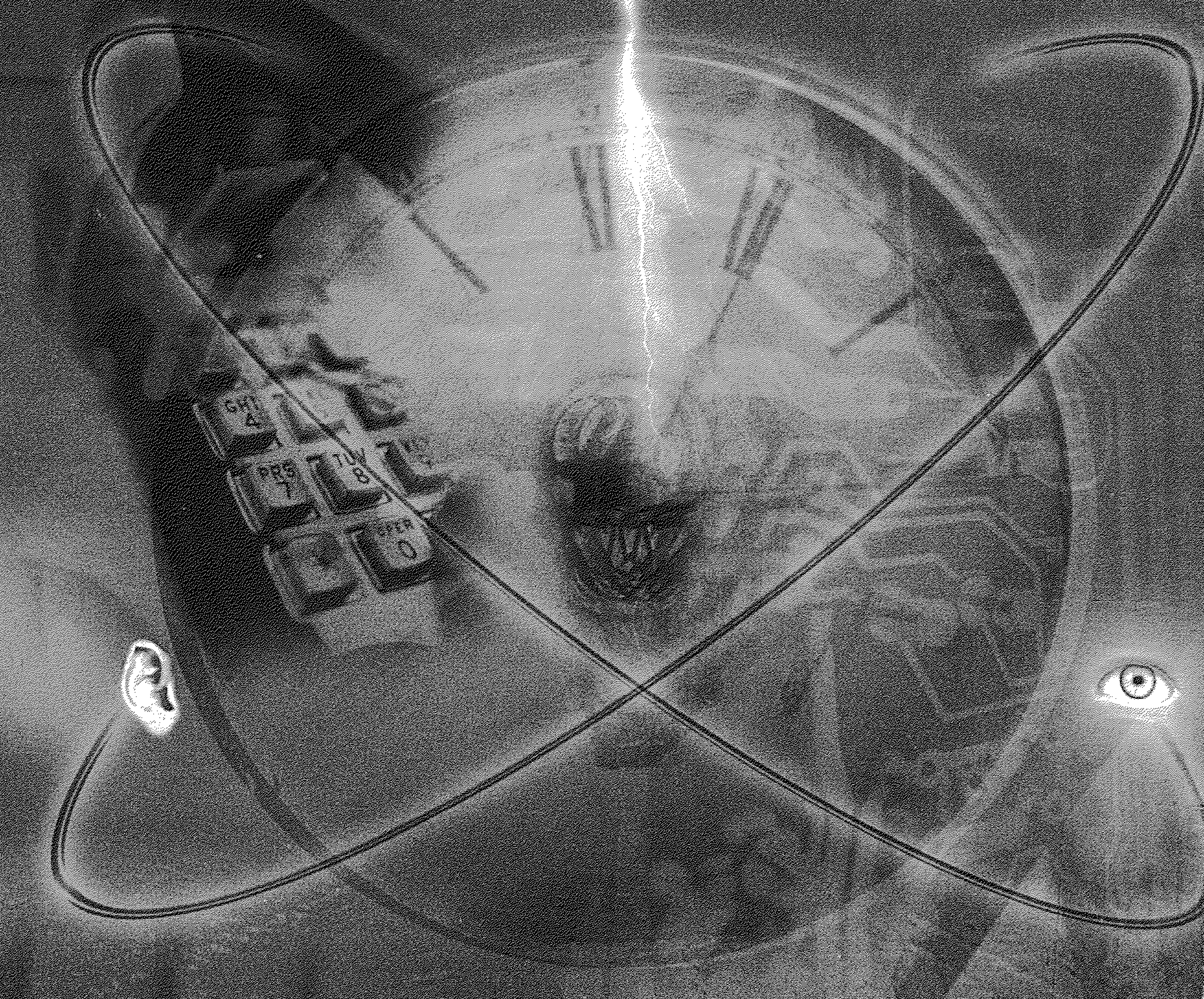
# موسوعة الأمن والإستخبارات في العالم




تأليف د. صالح زهر الدين

عمليات وقرصنة إلكترونية

موسـوعـة
الأمن والاستخبارات في العالم

موسـوعـة
<u>الأمـن والإسـتخبارات في العالـم</u>

د.صالح زهر الدين

# عمليات وقرصنة الكترونية

## الجزء التاسع

المركز الثقافي اللبناني

# المركز الثقافي اللبناني

للطباعة والنشر والتأليف والترجمة والتوزيع

بيروت ـ هاتف: ٠٥/٤٦١١٧٧ ـ ٠٥/٤٦١٧٨٨ ـ ٠٢/٧٥٣٦٦٢



الطبعة الأولى

٢٠٠٣

# المقدمة

مهما تطرق الإنسان إلى عمليات في فن المخابرات والجاسوسية ، فإنه سيبقى مقصراً عن الإحاطة في الكثير منها ، وعن تفاصيلها ، كما عن الأماكن التي وقعت فيها ، وبالأحرى سيبقى بمثابة "نقطة في بحر" باعتبار أن المخابرات والجاسوسية وجدت منذ أقدم الأزمان وستستمر الى الأبد طالما هناك شعوب ودول وأمم ، يسود فيها مبدأ "القوي يأكل الضعيف" ومبدأ "شريعة الغاب" ونظرية "الإستعلاء والتفوق " ومقولة "الذئب والحمل " و " الصقور والحمائم" الخ ...

على هذا الأساس، إن هذا الجزء من الموسوعة ، الذي هو تحت عنوان "عمليات وقرصنة الكترونية " هو فعلاً "نقطة في محيط" هذا العالم الذي يعج بالجواسيس من كل لون وجنس ودين . كما آثرنا التنويع في إختيار هذه العمليات ، وانتقاء الجواسيس من بلاد مختلفة ، من اليابان ، والصين، والولايات المتحدة الاميركية ، وسوريا ، ولبنان وأثيوبيا، ومصر، والكونغو، وسويسرا ، والهند، وروسيا... وإستراليا .. الخ ...

ومع ذلك هناك دول كثيرة شهدت عمليات من هذا النوع ، كما شهدت جواسيس عديدين ، لم يفصح عنهم وعنها ولم يحن الوقت بعد – على ما يبدو – للكشف عنها ووضعها في التصرف .

لكن الأيام المقبله كفيله بتحقيق ذلك ،فتكون ماده إضافيه لكتب او موسوعات أخرى تكمل هذا الموضوع وتغنيه في الوقت نفسه ،بإعتبار أن أية موسوعة مهما كانت أهميتها ستبقى عاجزه عن الإحاطه بكل شئ،وبالتالي غير كامله ...فالكمال لله وحده عزّ وجلّ...

وليست عناوين هذا الجزء إلا المرآة الصافيه لما يتضمنه دون الخوض في التفاصيل .

# الفصل الأول

## جاسوسية النساء وتحطيم الكبرياء الأميركي في بيرل هاربور

كان للحرب العالمية الأولى دور كبير في محو تلك الخرافة التي كـانت تقضي بعـدم استخدام النسـاء في أعمال الجـاسوسيـة. فلقد أثبتت التجـارب خـلال هذه الحـرب تفوق العبقـرية النسـائيـة في التجسس، واستمـرت هـذه التجـربة بنجـاح خلال الحـرب العالميـة الثانيـة على الـرغم من ازديـاد حـذر الرجال واحتياطاتهم الدائمة.

والواقع أن الاستخبارات اليابانية اعتمدت كثيراً على السيـدات البيض، حتى وفي نيـويـورك نفسهـا. وكـان من بينهن «فليغـالي ديكينسـون» الملقبـة بـ «سيدة الدمى»، . . والآنسـة «روث كوهين» محـظية الـدكتور غـوبلز، وزير الدعاية الهتلري النازي. وقد قُدِّر لهاتين الجاسوستين ـ مع اختلاف موقعهما ـ أن يخلقا ما سمي «بمأساة بيرل هاربور».

**فما هي أسرار هذه المأساة؟ وكيف تمت تفاصيلها؟.**

ففي السابع من شهـر كانـون الأول/ ديسمبر من عـام ١٩٤١، الساعـة الـواحدة والـدقيقة الثـامنة والعشـرين، التقطت محـطة التنصت الأميركيـة في «برندرج ايلند» رسالة موجهة من قبل وزارة الخارجية اليابانية الى سفيرهـا في واشنطن. كانت الـرسالـة مقتضبة، ولم يستغـرق بثها أكثـر من دقائق. لـذلك استطاعت الطابعة في قسم فك الرموز أن تترجمها في وقت قصيـر. وسرعـان ما تبين محتواها.

كـانت الرسالـة تتضمن مـا يلي: «يـرجى من السفيـر أن يـودع جوابنـا

حكومة الولايات المتحدة (وزير خارجيتها اذا أمكن) بتاريخ السابع من الشهر الساعة الثالثة عشر بالتوقيت المحلي». «والجواب» المقصود كتب بالانكليزية من قبل طوكيو، حيث كانت الجملة الأخيرة منه مقلقة بعض الشيء: «أن الحكومة اليابانية تأسف أن تعلم حكومة الولايات المتحدة أنها، بالنظر الى موقف الأميركيين، لا يسعها إلا أن تلاحظ استحالة الوصول الى اتفاق من خلال مفاوضات جديدة». وضع الموظف، الذي التقط الرسالة وترجمها، ملف الرسالة في البريد العاجل الموجه الى كل من الرئيس ووزير الخارجية ووزيري الحرب والبحرية وعدد من كبار العسكريين.

كان المقدم «كرامر»، من الاستخبارات الأميركية، مكلفاً بإيصال الرسالة الى مراجعها. وبسبب فارق التوقيت البالغ ست ساعات بين موقع التقاط الرسالة ومكان ايداعها، وصلت الرسالة الى السلطات في واشنطن قبل ساعة فقط من إقلاع الطائرات اليابانية من على حاملات الطائرات الخاصة بها. وقد دعت أهمية محتوى الرسالة «كرامر» الى الهرولة في شوارع واشنطن المقفرة في الصباح الباكر والمؤدية الى البيت الأبيض.

كانت الصورة التوسعية لليابان تتوضح يوماً بعد يوم. وكان من الواضح أن هذا المخطط لابد وأن يصطدم بالمصالح الأميركية. لقد وضع اليابانيون الخطوط الكبرى لهجومهم على «بيرل هاربور». واضع الخطة هو الأميرال «ايزوروكو ياماموتو» القائد الأعلى للبحرية. عام ١٩٤١، أعطى الأمر الأول لدراسة العملية مؤكداً أن الانتصار على الولايات المتحدة لا يمكن أن يتم إلا.. بتحطيم أسطولها في مياه جزر الهاواي. وفي أيار/ مايو، تبين من الدراسات أن هجوماً جوياً مباغتاً، ممكن جداً.

مع هذا التوتر المتزايد في المنطقة، تلازم ازدياد نشاط أجهزة الاستخبارات الأميركية. في حزيران/ يونيو، من عام ١٩٤١، تسلم النقيب «جوزيف روكفورت» قيادة وحدة الراديو في القطاع البحري رقم ١٤ في هاواي، وكان من بين ضباط البحرية الملم الوحيد بفك الشيفرة، واستخدام

الراديو وباللغة اليابانية.

وفي تشرين أول/ أكتوبر سنة ١٩٤١، استقالت حكومة الأمير «كونوي»، وتولى العسكريون السلطة بقيادة «توجو»، فتلاشى كل أمل بالسلام. وفي الرابع من تشرين الثاني/ نوفمبر، أبلغ رئيس الوزراء الجديد ممثليه في واشنطن «اقتراحاته المهددة». وفي اليوم التالي تلقى هؤلاء الممثلون رسالة أخرى تأمرهم باتخاذ كل الإجراءات للحصول على توقيع الاتفاق مع السلطات الأميركية قبل الخامس والعشرين من الشهر كحد أقصى.

وفي اليوم نفسه، أعطى الأميرال «ياماموتو» الأمر اليومي السري رقم ١ : «خطة الهجوم على بيرل هاربور». وفي السابع من الشهر المذكور، عين الأميرال المساعد «كويشي ناغومو» قائداً للأسطول الأول. وقد سارع هذا الى توزيع سفنه الاثنتين والثلاثين على المراكز الحساسة طبقاً للخطة المرسومة. وفي العشرين من تشرين الثاني/ نوفمبر، أودع السفير الياباني «نومورا» ومساعده «سابورو» وزير الخارجية الأميركي رسالة أشبه ما تكون بالإنذار. . . كانت طوكيو تطلب من واشنطن تغيير سياستها الخارجية وقبولها بغزوات يابانية جديدة وتزويدها بالبترول اللازم ومغادرة الصين، أي، بكلمة واحدة، القبول بمنطق القوة.

في الخامس والعشرين أعطى «ياماموتو» الأمر الى الأسطول بالتحرك في اليوم التالي. ويوم السادس والعشرين، الساعة السادسة، رفعت السفن الاثنتان والثلاثون، . . . بالإضافة الى ست حاملات طائرات ومدمرتين، مراسيها وغادرت مياه خليج تونكين الهائجة، لتتوقف شرقاً. لقد تلقت الأوامر بالعودة فوراً من حيث أتت إن هي شوهدت. كان القائد «كازويوشي» على ظهر المدمرة هابي. لم يستطع أحد مشاهدة الأسطول وهو يتوغل شرقاً في الضباب.

في هذا الوقت كان التوتر يتزايد. في ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر، نقل

البارون أوشيما، سفير اليابان في برلين، عن وزير خارجية المانيا قوله إن بلاده ستدخل حرباً ضد الولايات المتحدة اذا اشتبكت اليابان معها. في اليوم التالي، صرحت طوكيو أن الحرب بين اليابان وأميركا أقرب مما يتصوره البعض. وفي رسالة من الخارجية اليابانية الى سفارتها في واشنطن، تبين أن الأوامر أعطيت للسفارة بإتلاف شيفرتها مع الآلات الخاصة بها إتلافاً تاماً وفوراً. وقد قال «سمر ويلز» مساعد وزير الخارجية الأميركية، عندما علم بالرسالة: «هبطت نسبة امكانية تجنب الحرب من واحد بالألف الى واحد بالمليون». كما قال «بيردال»، مساعد روزفلت للشؤون الميدانية عندما قرأ الرسالة: «سيدي الرئيس، الأمر واضح للغاية». وعندما سأله الرئيس عن تقديره، لتاريخ بدء المعركة، أجابه بأن ذلك ممكن في أية لحظة.

كانت الساعة الثالثة عشرة في طوكيو. يوم السادس من كانون الأول/ ديسمبر، عندما أودعت رسالة اليابان الجوابية، بشأن توقيف المباحثات بين البلدين، مركز الإرسال التابع لوزارة الخارجية، تمهيداً لإرسالها الى السفارة في واشنطن. فور ورودها الى المركز قسمت أربعة عشر جزءاً متساوياً وبدىء بتشفيرها. وقد أرفق بالرسالة أمر مشدد الى السفارة. . بإيداعها الخارجية الأميركية فور تلقيها. ولم تحن الساعة الرابعة عشرة، بالتوقيت المحلي، حتى كانت الرسالة بترجمتها الكاملة قد وصلت الى الكولونيل «براتون» ومنه الى جميع المراجع المختصة في الجيش الأميركي.

مقابل ذلك، أرسل روزفلت الى الميكادو رسالة كانت مهيأة سابقاً لمحاولة أخيرة في حال فشل المفاوضات، يدعوه فيها الى إعطاء بعض الوقت للمفاوضات. ولكن كل شيء كان قد انتهى. وعلى متن سفن الأسطول الياباني الراسي في عرض المحيط، قرأ الضباط أمام جنودهم نداء «ياماموتو» المؤثر التالي: «دقت الساعة. الامبراطورية في خطر. فلا يدخرنّ أحد منكم جهداً لإنقاذها». كما بدأت موسيقى «البانزاي» تتردد أصداؤها على سطح المياه الهائجة، ورفع العلم الذي سبق للأسطول الياباني أن رفعه أثناء

انتصاره الكبير على الروس في معركة تسوشيما سنة ١٩٠٥.

في السادس من كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤١، الساعة الثامنة عشرة، وصلت رسالة التقطت فور خروجها من قنصلية اليابان في هونولولو، الى مكتب الاستخبارات الأميركية في الجزيرة، كان موقع الرسالة يوشيكاوا. أما محتواها فتفاصيل عن تحرك بعض السفن الأميركية في مياه الجزيرة.

في البيت الأبيض، استغرق الرئيس روزفلت عشر دقائق في قراءة رسالة «ياماموتو» الموقفة للمفاوضات. رفع رأسه بعد الانتهاء من القراءة وقال «لهاري هوبكنز»: «هذا يعني الحرب». فرد هوبكنز بالايجاب. وطفق الرجلان يستعرضان الوضع من جميع جوانبه، لا سيما لناحية الاستعدادات والامكانيات المتوافرة لمجابهة الموقف. خلال الحديث، اقترح الرئيس روزفلت رسالة الى هيروهيتو. لكن هوبكنز كان مخالفاً لهذا الرأي باعتبار أن الحرب أصبحت أمراً واقعاً. وكان رأيه أن تبدأ أميركا بالضربة الأولى. رد الرئيس بأن ذلك مستحيل لأنه مسؤولية دولية وتاريخية كبرى.

طوال طريقه الى هدفه المرسوم في مخطط المعركة، لم يلق الأسطول الياباني أي نوع من العوائق. فالاستكشاف الجوي منعدم، والسفن الأميركية جاثمة تتثاءب في مرافئها. وضع يثير العجب ويدفع على الريبة من أن يكون وضعاً تمويهياً للتضليل.

عندما وصلت عقارب الساعة الى الخامسة والنصف بتوقيت هاواي، كانت القوة البحرية اليابانية الضاربة على بعد ٢٥٠ ميلاً من بيرل هاربور، كما كان أكثر من ألفي أميركي يغطّون في نوم عميق، والبعض منهم يتسامر، دون أن يكونوا على علم بأن ساعات ثلاث فقط تفصلهم عن الموت. كان كل شيء هادئاً في وزارة الخارجية اليابانية، كما في مكتب الشيفرة بسفارة اليابان في واشنطن كذلك في وزارتي الحرب والبحرية. هدير واحد كان قد سمع فوق مياه الباسفيك، هو هدير طائرتي استكشاف يابانيتين انطلقتا للتأكد من أن الأسطول الأميركي لا يزال غارقاً في سباته العميق.

كانت الاستخبارات بين مختلف الأجهزة العسكرية تسعى للتعرف على حقيقة الموقف. وهذا الأمر مع كل اختصاره وسرعة انجازه، يتطلب بعض الوقت. فالأمكنة بعيدة، والحذر مطلوب، والعوائق تبرز من هنا ومن هناك. وبينما أمواج الأثير تتناقل الرسائل ذهاباً وإياباً، طولاً وعرضاً، كانت الطائرات اليابانية التي انطلقت من على حاملاتها تتوجه بأعلى قدراتها الهجومية نحو أهدافها. وفي الوقت الذي كانت فيه الطائرات تحلق فوق «بيرل هاربور»، كان الوزير الياباني «توغو» في حضرة الامبراطور يسلّمه رسالة روزفلت، ويتلقى منه الجواب الفوري عليها وهو أن رسالة قطع المفاوضات تكفي. /٥١/ قاذفة قنابل على انخفاض قليل، /٤٩/ قاذفة قنابل على ارتفاع كبير، /٤٠/ طائرة مقاتلة، و/٤٣/ طائرة معترضة وصلت فوق بيرل هاربور في تشكيلات محكمة وفقاً للخطة. أطلق القائد «فوشيدا» صاروخاً من نوع «التنّين الأسود» مؤذناً ببداية المعركة. بعد دقائق فقط، تأكد من نجاح المباغتة وسارع الى بث الرسالة التالية «تورا... تورا. . تورا. . .». بمعنى نجاح المباغتة. على متن المدمرة آكاجي، كان «ناغومو» يلتفت نحو الأميرال «كوزاكا» ويشد على يديه دون أية كلمة.

في واشنطن كان «اوكومورا»، موظف الشيفرة في السفارة اليابانية، يضع اللمسات الأخيرة على الرسالة التي سبق لأجهزة الاستخبارات الأميركية أن التقطتها وترجمت محتواها وأوصلتها الى المراجع المختصة، وهي رسالة قطع المفاوضات. وبينما كان السفير ومعاونه يدخلان البيت الأبيض لتسليم الرسالة الى الرئيس روزفلت، كان الرئيس يتصل هاتفياً بوزير خارجيته الموجود في مكتبه ينتظر السفير الياباني ليدخل معه مكتب الرئيس. كان صوت الرئيس هادئاً ومتشنجاً في آن واحد. قال: «تلقيت لتوي خبراً يفيد أن اليابانيين هاجموا بيرل هاربور»، وعندما سأله الوزير ما اذا كان الخبر مؤكداً أجاب الرئيس بالنفي. وكانت الكارثة قد وقعت، وحصل ما حصل.

ويبقى السؤال الكبير حول جاسوسية النساء في هذه الكارثة المأساة.

لقد لعبت «روث كوهين» وعائلتها دوراً مميزاً على هذا الصعيد. وقد كانت روث من قبل محظية الدكتور غوبلز الالماني وزير الدعاية النازي. وعندما أراد التخلص من محظيته هذه، وعبئها الثقيل عليه بعد شعوره بالحرج أمام الفوهرر هتلر، سمع بأن اليابانيين طلبوا من الجنرال «هوز هوفر»، صاحب نظرية «الجيوبوليتكس» (أي الجغرافيا السياسية)، أن يرسل عدداً من الالمان ليعملوا كجواسيس لهم في الجزر الواقعة تحت سيطرة القوات الأميركية في الباسفيك.

وعرض غوبلز عائلة كوهين على «هوز هوفر»، فرحب بالفكرة. وهكذا نزل آل كوهين جميعاً على ساحل هاواي، باستثناء الابن الأكبر ليوبولد الذي كان سكرتيراً خاصاً لغوبلز.

وساعد مظهر «روث» كثيراً في ذلك بالإضافة الى أنها كانت تهوى السباحة ولعب كرة اليد كما كانت تجيد الرقص. وسرعان ما أصبحت تتلقى الدعوة الى كل حفلة اجتماعية، وأدى معظم هذه الحفلات الى اتصالها بضباط البحرية الأميركية الذين كانوا يشعرون برغبة جامحة لمصاحبة النساء لغيابهم عن وطنهم. وكانت هذه الصلات سبباً في حصولها على معلومات بالغة الأهمية، أفضى بها ـ دون قصد ـ كل من كان يسعى للتقرب اليها.

وفي أوائل عام ١٩٣٩، وصل آل كوهين من هونولولو الى بيرل هاربور حيث كان الجو أقرب الى الهدوء، وحيث افتتحت «روث» صالوناً للتجميل، لزوجات ضباط البحرية الأميركية، وكانت هذه المغامرة الجديدة بمثابة تحديد لاتساع نطاق الجاسوسية اليابانية في جنوب الباسيفيك. وسرعان ما حقق الصالون نجاحاً ملحوظاً سواء من ناحية العمل، أو كمصدر للمعلومات التي كانت تحصل عليها من ثرثرة زوجات ضباط البحرية.

وكانت مهمة آل كوهين هي تزويد اليابانيين بمعلومات دقيقة عن عدد القوات البحرية التابعة للولايات المتحدة في الباسيفيك، وعن مواقعها بالضبط، وكذلك مواعيد وصولها الى أي مكان، أو رحيلها منه، خاصة ما

يتعلق بـ «بيرل هاربور». وأعدوا لذلك شيفرة صغيرة ونظام إشارات ضوئية، يستطيعون بواسطته نقل معلوماتهم من نافذة عليا في منزل صغير، استؤجر فوق ميناء بيرل هاربور في مواجهة أحد عملاء اليابان. وتمت أول تجربة لهذا النظام في الثاني من كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤١، حيث حقق نجاحاً تاماً. وجاء «اوكيدو» قنصل اليابان في هونولولو الى بيرل هاربور بنفسه، وقد تمكن أن ينقل الى مخابرات البحرية اليابانية بواسطة اللاسلكي تحديد جميع مواقع السفن الحربية الأميركية في ميناء جزر هاواي.

وحينما كانت قاذفات القنابل اليابانية تهاجم بيرل هاربور صباح السابع من كانون الأول كان آل كوهين من نافذتهم العليا يراقبون السفن الأميركية الضخمة في مراسيها. وأثناء سير المعركة يرسلون إشارات ضوئية تدل على نجاح قاذفات القنابل أو اخفاقها.

وبينما كانوا يؤدون مهمتهم هذه فاجأهم ضابط من المخابرات الأميركية. وقدم آل كوهين الى المحاكمة حيث حكم على رب العائلة بالإعدام، لكنه أنقذ حياته، حين أدلى بكل ما يعلم للأميركيين، كما حكم على زوجته وابنته «روث» بالسجن.

والواقع أن الاستخبارات اليابانية لم تعتمد على «روث» وعائلتها فقط في هذه. . المهمة. بل كان الى جانب «روث» أيضاً وعلى بعد آلاف الكيلومترات جاسوسة أخرى هي «فليغالي ديكينسون» الملقبة بـ «سيدة الدمى» لأنها كانت تحترف تجارة الدمى في مخزن لها يقع في شارع ماديسون قريباً من الشارع رقم ٦٢، في أميركا نفسها.

كان اسمها وهي صغيرة «مالفينا بلوفر». ولدت في ساكرامنتو، ثم أتمت دراستها العالية في جامعة ستانفورد. وكان اسمها مدوناً في لائحة أعضاء منظمة الصداقة الأميركية اليابانية، لكنها انفصلت عن هذه المنظمة منذ عام ١٩٣٧ عندما رحلت الى نيويورك للبدء في تكوين حياة جديدة. وكان لزوجها العديد من المكاتب في سان فرانسيسكو في نفس المبنى الذي كانت تقيم فيه

القنصلية الالمانية والقنصلية اليابانية.

وعندما توفي زوجها وجدت نفسها أرملة وحيدة، فانتقلت الى نيويورك، وذلك قبل عيد الميلاد لعام ١٩٣٧ بقليل. وعملت كبائعة في أحد الأجنحة المخصصة لبيع الدمى في واحد من أكبر متاجر نيويورك، وفي السنة التالية افتتحت متجراً لحسابها الخاص في شارع ماديسون بتوجيه من الاستخبارات اليابانية وتمويلها. ولم تمض فترة طويلة على ذلك، حتى أصبح لها كثير من الزبائن. كما كانت على علاقة مع الكثيرين من هواة جمع الدمى الذين يعيشون في ثمانية وأربعين دولة منتشرة فوق سطح الأرض، وكثيراً ما تسافر في رحلات وتذهب الى الغرب أحياناً لتقابل بعضاً من زبائنها في هوليوود، كما تلتقي مع بعض رجال الاستخبارات اليابانية لتزودهم بالمعلومات الخاصة بطبيعة مهمتها. إلا أنه في أكثر الأحيان، كانت ترسل معلوماتها في بطاقات صغيرة يتم اخفاؤها بين طيّات اللفافات التي تغلف الدمى. وقد اكتشفها رجال المباحث بعد مراقبة دقيقة لمتجرها استمرت أسابيع عديدة، حيث اعترف هؤلاء بأن تجارة الدمى النادرة كانت بحق من أكثر أساليب الجاسوسية خطورة، وقد خدمت اليابان خدمات كبرى في الحصول على أسرار الولايات المتحدة الأميركية.

وعندما اعتقلت «فليغالي ديكينسون»، أودعت في السجن كجاسوسة يابانية. وابتدأت محاكمتها في شهر يونيو ١٩٤٤، وكانت المرة الأولى التي يعرض فيها أحد الأميركيين نفسه لعقوبة الموت لقاء القيام بأعمال الجاسوسية.

وأخيراً قام النائب العام بتلخيص عملها، فكشف النقاب عن حقيقة مخزن الدمى في شارع ماديسون، وكيف كان واجهة جيدة للتمويه والتستّر على أعمال التجسس. كما ذكر بأن المتهمة كانت على اتصال مع ضباط البحرية اليابانية، وكان الدليل على أقواله تلك الرسائل الأربع التي ضبطت مرسلة الى الخارج، والتي كانت نصوصها تتحدث ظاهرياً عن الدمى، ولكنها

في الواقع لم تكن إلا رموزاً ومصطلحات اتفق عليها، الى أن قال النائب العام: «أن الدمى تتكلم، وها نحن أخيراً قد توصلنا الى فهم تلك اللغة التي تتكلمها».

وحكم عليها بالسجن عشر سنوات بعد أن قدمت لليابانيين معلومات دقيقة عن الأسطول الأميركي في بيرل هاربور. وكانت هذه المعلومات، بالإضافة الى تلك التي قدمتها زميلتها «روث كوهين»، من أهم العوامل التي حطمت الكبرياء الأميركي في أهم قاعدة كانت تعتبرها الولايات المتحدة شرياناً حيوياً لغطرستها وعنفوانها.

وهكذا، لا يمكن للأميركيين أن ينسوا لحظة وقف رئيسهم روزفلت في الكونغرس ليعلن ما يلي: «البارحة، ٧ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤١، كانت الولايات المتحدة الأميركية عرضة لهجوم مفاجيء وغير مبرر من قبل القوات البحرية والبرية اليابانية». وأضاف مشيراً الى التأخير في إيداعه رسالة الحكومة اليابانية المتعلقة بتوقيف المفاوضات والى أن محتوى الرسالة لا يفيد إعلاناً للحرب قبل وقوعها، كما تنص معاهدة لاهاي.

وأخيراً نجح الهجوم الياباني، وحطمت السفن وهي راسية تتثاءب في المرفأ، وجرح الكبرياء الأميركي. والعالم اليوم، الذي لم ينس بيرل هاربور، لن ينسى كذلك أن عملية أميركية مضادة، جرت بعد ألف وثلاثمائة وخمسين يوماً، اختصرت الحرب بعد أن ساهمت في هزيمة الفريق الآخر. تلك هي قنبلتا هيروشيما وناغازاكي في أغسطس ١٩٤٥، استسلمت اليابان بعدها، لتعلن انتهاء الحرب العالمية الثانية.

# المراجع


١ ـ داڤيد كان «حرب الاستخبارات» ترجمة عبداللطيف أفيوني. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. الطبعة الثانية. بيروت ١٩٨٢.

٢ ـ كيرت سينجر «أعلام الجاسوسية العالمية» ترجمة بسام العسلي. دار اليقظة العربية. بيروت ١٩٦٥.

٣ ـ عمر أبو النصر «ايلي كوهين جاسوس اسرائيل في دمشق» بيروت ١٩٦٨.

٤ ـ صلاح نصر «الحرب الخفية: فلسفة الجاسوسية ومقاومتها» منشورات الوطن العربي ومطبعة دار الكتب. الطبعة الثانية. بيروت ١٩٨٢.

# الفصل الثاني

## العهر الامبراطوري في استسلام اليابان

ليس صدفة في القرن العشرين أن يرتجف العالم عندما يسمع بتهديد أميركي في أي منطقة من هذا الكون الواسع. اذ أن تاريخ أميركا الاجرامي عريق جداً في هذا المضمار، حيث لم تنس البشرية بعد أن الولايات المتحدة الأميركية هي أول من استخدم السلاح الذري على وجه الأرض ضد اليابان لحملها على الاستسلام في نهاية الحرب العالمية الثانية، مؤدياً الى إبادة عشرات الآلاف من اليابانيين تحت أنقاض مدينتي هيروشيما وناغازاكي.

ان عقدة «العملقة» الأميركية تسري مع الدم في شرايين سياسيَ الولايات المتحدة وعسكرييها، وقد كتب على اليابان أن تكون أولى ضحايا الذرة الأميركية، ونجحت هذه السياسة التدميرية في إركاع اليابان وإذلالها على مرأى ومسمع العالم كله في الوقت الذي أذاع فيه الامبراطور بيان الاستسلام الى الشعب الياباني. وهو أسوأ ما سمعه اليابانيون في تاريخهم حتى دلك الوقت.

**كيف كان ذلك؟ وما هو سر هذا القرار؟.**

من المعروف أن الولايات المتحدة الأميركية حفظت من اليابان درساً لا ينسى وذلك عبر تدمير اسطولها في «بيرل هاربور» بتاريخ ٧ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤١.

وبقي الإصرار على الثأر والانتقام هاجساً وكابوساً أميركياً.

وفي السادس من أغسطس ١٩٤٥ ثار الأميركيون لأنفسهم وصبّوا جام

حقدهم على اليابان، عبر القائهم القنبلة الذرية الأولى على مدينة هيروشيما، وولدت الكارثة، وفي تمام الساعة العاشرة من صباح يوم ٩ أغسطس ١٩٤٥، عقد المجلس الحربي الياباني الأعلى المؤلف من سوزوكي رئيس مجلس الوزراء، والأميرال يوناي وزير البحرية، والجنرال أنامي وزير الحربية، وتوغو وزير الخارجية، والجنرال أوميزو رئيس أركان الجيش، والأميرال تويودا رئيس أركان البحرية.

عقد جلسة خاصة لتدارس آخر تطورات الموقف الذي قفز الى ذروة الاستفحال بتدمير هيروشيما، وقد اشترك في هذه الجلسة جميع الوزراء..

أسفر تبادل وجهات النظر الأولية عن الاعتراف باستحالة استمرار اليابان في متابعة الحرب ضد الحلفاء. وكانت الأسباب التي اعتمدها «توغو» هي الداعية لاقتناع المجلس الحربي بقبول الاستسلام ضمن الشروط التي تضمنتها تصريحات بوتسدام، على أن يتعهد الحلفاء بصون مكانة الامبراطور المقدسة، أما العسكريين الذين كان الجنرال «أنامي» متبنياً رأيهم فقد اقترحوا قبول الاستسلام ضمن الشروط الثلاثة التالية:

١ ـ ألا يحتل الحلفاء اليابان احتلالا عسكرياً.

٢ ـ أن يترك للجيوش اليابانية حرية الانسحاب تلقائياً من المناطق التي احتلتها، وتجريد نفسها من السلاح.

٣ ـ عدم ملاحقة مجرمي الحرب.

وعندما هب «توغو» لمناقشة هذه المقترحات لاحظ رئيس المجلس أن الساعة قد بلغت الثالثة عشرة، فأمر بتعليق الجلسة.

وفيما هم يغادرون القاعة تلقى رئيس المجلس البرقية التالية:

«في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثانية من صباح هذا اليوم ألقيت قنبلة ذرية على «ناغازاكي»».

فانتفض الجميع من فرط الهلع وأوعز الرئيس بالعودة الى الاجتماع بعد ساعة وفي الموعد المضروب استأنف المجلس جلسته فافتتحها الرئيس بتلاوة برقية وردته عن آخر تطورات الموقف على حدود منشوريا جاء فيها:

«في فجر هذا اليوم شن الروس هجوماً ضارياً على ثلاثة مراكز. الجيوش اليابانية تتراجع تحت ضغط العدد. القوات الجوية الروسية قصفت قواعدنا في منشوريا» وتلا برقية أخرى نصها:

«١٧٠٠ طائرة أميركية هاجمت اليوم مدينة «أكيتا» في الشمال الشرقي» فوجم الحاضرون وكأن على رؤوسهم طير، وقد وردت هذه البرقيات خلال ساعتين وبعد لحظات من الصمت الخانق قام «توغو» يردد ما سبق الدعوة اليه من الخضوع الى شروط الحلفاء.

- الأميرال «يوناي» (وقد استولى عليه اليأس) لم يعد لنا بارقة من الأمل في النصر.

- الجنرال أنامي (ينتفض من فوق مقعده ويصرخ بوجه يوناي) اذا كان اليأس قد أتى على القوات البحرية فإن الجيش باق على أشده وله من القوة ما يكفل تحطيم كل من تسول له نفسه بوضع أرجله على أراضينا المقدسة. واذ كان أملنا في النصر يبلغ حد العزم فإن التخوف من الهزيمة سابق لأوانه.

يوناي: (محطم الأعصاب) ان المدى الذي تدنت اليه طاقاتنا المادية والمعنوية يقعدنا عن مواصلة الحرب.

وعندما بقي الخلاف قائماً ولم يتم الاجتماع في الرأي انتفض سوزوكي وقال: القول الفصل رهن بإرادة الامبراطور.

وفي منتصف ليل ١٠ آب/أغسطس، حدد موعد الجلسة، والملجأ الخاص بالامبراطور مقراً لها.

وفي هذا الملجأ، احتشد ببزاتهم وألبستهم الرسمية أعضاء المجلس

الحربي الستة رؤساء دواوين الشؤون العامة للقوات البرية والبحرية وأمين عام المجلس ومدير التخطيط، والبارون هيرانويا رئيس المجلس الامبراطوري الخاص الذي استدعي بناء على أمر الامبراطور.

تـرأس الامبراطـور الجلسة وكـان أمـام كـل من المـدعـوين نسخـة عن تصريحات بوتسدام وورقة مكتوب عليها السؤالان التاليان:

(أ) هل يجب قبول شروط بوتسدام مرتهنة بما يضمن تمتـع الامبراطـور بامتيازاته؟.

(ب) أم هل يجب قبولها ضمن الاقتراحـات التي قدمهـا العسكريـون؟ تولى «توغو» مناقشة الموضـوع، وبعد استعـراض الحوادث ختم قـائلاً: «ان قبولنا شروط بوتسدام هو الضمانة الـوحيدة للحفـاظ على سلطة الامبراطور. اذ أن محاولة غير ذلك سينزلها الأعداء منزلة التحدي».

وينتفض الجنـرال أنامي ورؤسـاء أركـان الحـرب، ويعلو الصخب جـو النقاش وتنعدم الهيبة المفروضة التوافر في حضرة الامبراطور الذي ظل ملتـزماً الصمت.

وكـانت الساعـة تدق الثـانية بعـد منتصف الليل عنـدما طلب سـوزوكي الأصغاء فقال:

«منـذ ساعـات والنقاش محتـدم ولسنا بـواصلين الى اتفاق، إن الـوقت أثمن من أن تضـاع دقيقة واحـدة منه، ولهـذا فإنني اقتـرح عرض الأمـر على الامبراطور نفسه».

وقع هذا الاقتراح على مستمعيه موقع الاستغراب لتعارضـه مع التقـاليد اليـابانيـة التي لم يسجل تـاريخهـا في يـوم من الأيـام أن تجـرأ رئيس مجلس الـوزراء على طلب رأي الامبراطـور. أو أن نوقش أمـر بحضـوره دون اتخـاذ القرارات التي تقتضيها الظروف، فنهض سوزوكي وتقـدم بخطى مـرتعشة من منصة الامبراطور.

وانطوى بانحنائة حتى لامس جبينه الأرض وكانت يداه ماسكتين بأسفل ركبتيه كما يفرض ذلك الاحترام التقليدي للإمبراطور ثم. . . انفجر سوزوكي بكاء. . وتجمدت القاعة هيبة، وبعد لحظات بدرت من الامبراطور إشارة تنبىء بتأهّبه للكلام، فطأطأ الجميع رؤوسهم خشوعاً، واذا بصوت الامبراطور يخترق السكون الرهيب متزناً خافتاً ليقول:

«ان الوضع الخطير داخل البلاد وخارجها وقد يؤدي الى القضاء عليها قضاء مبرماً فضلاً عن تعريض الشعب لآلام مريرة لا طائل تحتها. ولطالما كذبت الوقائع التأييدات التي اعتاد العسكريون كيلها وكم من مرة جاءت تقديراتهم خاطئة فاشلة، وإنني مع تقديري لمشاعركم لا يسعني إلا أن أطلب منكم جميعاً توحيد الجهود في سبيل وقف القتال والرضوخ الى شروط الحلفاء وتقبل مستقبل سيكون حتماً عصيباً لعيناً». . .

وما ان جاء الامبراطور على آخر كلامه حتى انتصب المستمعون. واذا بصوت سوزوكي يعلن: «أما وقد عبر جلالته عن رأيه فقد انتهت الجلسة». كانت الساعة الثانية والنصف من صباح يوم ١٠ آب/أغسطس ١٩٤٥ عندما عبر إمبراطور اليابان عن رأيه وكان هذا التعبير قرار اليابان بالاستسلام. خرج الجميع من الملجأ وهم بالأموات أشبه منهم بالأحياء فاستقل «توغو» سيارته التي كان «كازي توشيكازو» ينتظره فيها فأراد هذا منه الذهاب به الى وزارة الخارجية فأجابه «توغو» اننا ذاهبون الى قصر الرئاسة». وهناك وخلال بضع دقائق اتخذ القرار المقتضى على ضوء ما عبر عنه الإمبراطور. غير أن وزير الداخلية حاول الامتناع عن التوقيع فأرغم عليه.

انصرف «توغو» يتلمس قسطاً من الراحة وعرج «كازي» على وزارة الخارجية فوضع نص مذكرة الاستسلام التي تضمنت:

«نقبل شروط بوتسدام آملين ألا تنطوي على ما يمس امتيازات الامبراطور بوصفه الرئيس الأعلى للبلاد».

وقد نقل عبر الأثير الى حكومتي استوكهولم وبرن لتبليغه الى كل من لندن وواشنطن بينما سلمت صورة عنه الى سفير روسيا في طوكيو. وفي الساعة الرابعة من صباح يوم ١٢ أغسطس ١٩٤٥ أذاع راديو سان فرنسيسكو مضمون الرد الأميركي القائل: «اعتباراً من لحظة الاستسلام تصبح سلطة الامبراطور والحكومة اليابانية القائمة حالياً تحت أمرة قيادة الحلفاء العليا التي لها سلطة اتخاذ جميع ما تراه من الإجراءات لتنفيذ شروط الاستسلام». فأسرع «كيدو» كبير الوصفاء ينقل الخبر الى الإمبراطور. فأبلغه الامبراطور موافقته على الرد الاميركي وأوعز الى توغو إبلاغها الى رئيس الوزراء الذي كان متردداً في موقفه. وهذا ما أجبر «كيدو» على الانتقال فوراً الى مقر الرئاسة معلناً: «ان انهاء الحرب هي رغبة الامبراطور التي لا يطالها تردد أو نقاش». فشكر له سوزوكي هذا التصريح المطمئن يصدر عن المقام الامبراطوري.

لم يتقيد العسكريون بالأوامر الاستسلامية وبدأت بوادر العصيان والثورة تلوح في الأفق، ومحطة طوكيو تذيع «أيها الجيش، تأهب لتحمل جميع التضحيات في المعركة الحاسمة التي ستخوضها اذا ما وطئت أقدام العدو أراضينا المقدسة». كما كانت رئاسة الأركان العامة توزع في العاصمة منشورات داعية الى عدم الاستسلام. وبعد أن انفضّ الاجتماع في الساعة السابعة، استدعى سوزوكي الى مكتبه كلاً من رئيسي أركان حرب القوات البرية والبحرية اللذين انهالا عليه تهديداً وتحقيراً لميوله الى الاستسلام.

وفيما هم يتجادلون ولج الأميرال «أونيشي» معاون رئيس أركان حرب القوى البحرية وقائد الكاميكاز ـ فوج الانتحار ـ وصرخ من توّه؟.

«ما بالكم مترددون؟ اذا كان إغراق حاملة طائرات أو دارعة يحتاج الى ثماني أو ست عشرة مطاردة فهو لا يحتاج لأكثر من طوربيد أو ثلاثة طوربيدات من فرقة الكاميكاز، فما علينا إلا تجنيد عشرين مليوناً من رجالها والإلقاء بهم في حملة إنتحارية ضد العدو».

وفي الساعة العاشرة من صباح يوم ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٥ عقدت الجلسة

بحضـور الامبـراطـور في قصـره، ورغم قنـاعـة العسكـريين ومنهم «أوميـزو» و«تويودا» القدرة على المقاومة.

قال الامبراطور: «ما كنت لأوافق على شروط بوتسدام لو لم أكن واقفاً على مدى ما انتهى اليه الوضع من التردي في الداخل والخارج». ثم انخفض صوته وهو يتابع الكلام متقطعاً: «ولا أجد الآن ما يبـرر رجوعي عن قـراري، وأرى بـأنه أصبـح من المحال الاستمـرار في الحرب. فتفجـرت القاعـة بكاء يعلوه نحيب تويودا وأميزو».

حاول الامبراطـور امتلاك نفسـه عن البكاء ولكن الغصـة قطعت عبـارته الى مقاطع وأحرف عندما استطرد يقـول: «ان القصف الجوي أحـال أكثر من مئـة مدينـة دماراً وأزهق أرواح الألـوف من شعبي وأنـزل بـالمـلايين منهم» ثم تنفجر الدموع من عينيه. وعلا صوته الى ما يشبه العويل الحاد وهو يقول:

«لقـد أصبحت لا أفكـر إلا بشعبي. وأصبحت لا أطيق رؤيتـه يتحمـل الآلام والتضحيات، والأمل بالنصر مفقود ولذلك قررت تقبـل أي مصير يقـرر بـالنسبة لي، وقـررت استنـاداً الى صـلاحيـاتي أن أضـع حـداً لهـذه الحـرب الضروس». غادر الوزراء الملجأ، وجهتهم قصـر الرئـاسة حيث وضعـوا صيغـة الاستسـلام والجواب للحلفاء. وكان الـوقت بعد الظهر، كمـا تقرر أن يـرسـل الامبراطور بياناً الى شعبه في صباح اليوم التالي:

لقد كان ذلك بمثابة اندلاع النار في الهشيم بالنسبـة للعسكريين الـذين قاموا بثورة كبرى تزعمها الضباط الكبار أمثال «هاتاناكا» و«شيزاكي» و«ايشيهرا» «تـوغا» و«شيـرشي» صهر الجنـرال «مـوري تـاكيشي» قـائـد فـرقـة الحـرس الامبراطوري، وقـد أعقب ذلك مـوجة من الاغتيـالات بين أنصار الاستسـلام والمتمردين العسكريين. كما سرت موجة من الانتحار شملت عدداً من الـوزراء وكبار القادة.

أزاء هذا الوضع أذيع في جميع أطراف اليابان أن الامبراطور سيخاطب الشعب ظهر ١٥ آب/أغسطس. واذا تكلم الامبراطور فعلى كل حي أن يسمعه. وقبل الموعد المحدد غادر الطلاب مدارسهم وتوقف العمال عن العمل وعاد الفلاحون من حقولهم وتوقفت السيارات ووسائل النقل والقطارات عن المسير خشية أن يعتلي الجو صوت غير صوته.

والتف الناس حول مكبرات الصوت وأجهزة الراديو. .

وفي الوقت المعين صدح الراديو والمكبرات بالكيميجايو «النشيد الوطني» تلاه صوت الامبراطور مترجرجاً مضطرباً:

«الى أبنائي الأعزاء المخلصين، ان تطورات الحرب لم تعد بجانب اليابان ضناً منا بحياتكم ومصالحكم ومستقبل اليابان من أن يقضي عليها قضاء مبرماً، قررنا. . القاء السلاح» وبصوت مغمور بالألم واللوعة تابع قائلاً:

«وحدوا قواكم وجهودكم لبناء مستقبل جديد».

ثم انطفأ الصوت، وغاب الامبراطور الاله.

فانفجر النساء والرجال بكاء وعويلاً: أما الصغار والصغيرات فلم يدركوا لبيان الامبراطور مغزى فسألوا الكبار: علام البكاء؟.

- لقد خسرنا الحرب.

سكت الراديو والمكبرات وسكنت كل حركة في اليابان إلا حركة القلب تخفق غيظاً وألماً وعمت البلاد موجة من الانتحارات.

فالطائرات تنقض في البحر أسراباً انتحاراً، وضباط وجنود يتراكضون نحو القصر الامبراطوري يجثون قبالته. منهم من انتحر بالمسدس ومنهم بالخنجر. وأعطى الجنرال «ايتاكا» أمر بالانتحار الى جميع الضباط الذين اشتركوا في ثورة ١٤ أغسطس وكذلك ضباط احدى الوحدات البحرية انتحروا عن بكرة أبيهم متجهين نحو القصر الامبراطوري. غير أن بعض القطعات رفضت

الاستسلام الا موتاً بالحرب ناسبة الخذلان الى جيش طوكيو. ثم دعا الجنرال «تركوشي» قواد جميع القطعات المتمردة الى جلسة عاجلة لتدارس رأيه فلخصه بكلمتين: «شوشو هيكين» هذا المثل المقدس المأثور الذي تتناقله الألسن منذ ١٥٠٠ سنة عن الأمير «شو توكو» رسول البوذية في اليابان ومعناه:

«اذا تكلم الامبراطور تطأطأ الرؤوس» فردت هذه الكلمات المقدسة ما سلبته الحماقة من الطاعة المجنونة للإمبراطور.

وهكذا انتحر آلاف اليابانيين في سبيل اليابان وامبراطورها الاله، إلا أن هذا «الاله» رفض الانتحار لأنه صمم أن يشهد انتحار شعبه أمام عينيه متلذذاً بهذا المنظر، حتى وهو في ذروة هزيمته.

انه العهر السياسي والعسكري في وقت واحد.. ولا شيء غير ذلك.

# المرجع

١ ـ المجلة العسكرية (قومية ثقـافية تصـدر شهريـاً عن قيادة الجيش الأول في القطر العربي السوري). العدد الخامس. السنة الحادية عشـرة. كانـون الأول/ديسمبر ١٩٦٠ . ص ٨٧ ـ ٩٨ . (ترجمة جميل طوشان) .

# الفصل الثالث

## أسرار عملية تهريب تصاميم طائرة الميراج الى اسرائيل

منذ لحظة وجودها كدولة، أدركت اسرائيل أهمية «التفوق الجوي» على العرب. وعلى هذا الأساس شكل هذا العامل هاجساً هستيرياً لدولة الاحتلال التي عملت كل جهدها للحصول على طائرة الميغ ٢١ السوفياتية، وتمكنت من ذلك عبر أحد الخونة من الطيارين العراقيين عام ١٩٦٦ وهو النقيب «منير روفا». وجاء قرار الرئيس الفرنسي الجنرال شارل ديغول بحظر شحن «الأسلحة الهجومية» وقطع الغيار الى اسرائيل في يونيو ١٩٦٧ ليضيف هماً ثقيلاً على وجود هذه الدولة وبقائها ودفعها للتفكير بشتى الطرق والوسائل للحصول عليها...

وكانت المفاجأة. إذ أن الدولة العبرية لم تكتف بتأمين قطع الغيار فحسب، بل تمكنت من سرقة تصاميم طائرة الميراج برمتها حيث تطلبت وقتاً طويلاً.

**فكيف تمت هذه العملية؟ وما هي أسرارها؟.**

يعتبر المهندس ألفرد فراونكنشت كبير المهندسين في شعبة الطائرات المقاتلة بشركة الأخوان زولتسر بطل عملية سرقة تصاميم الميراج، حيث أنيطت به مهمة الإشراف على انشاء طائرات الميراج في سويسرا بعد أن كانت الحكومة السويسرية قد اشترت الطائرات من شركة «داسو» الفرنسية، ومنحت تعهدات العمل تلك الى «الأخوان زولتسر أوف فنترتور». وكان فراونكنشت مراقب المشروع يقابل بين الفينة والأخرى بعض الاسرائيليين اذا ذهب الى باريس للتباحث مع مهندسي «داسو». وقامت بينه وبين بعض

الاسرائيليين علاقات ودية. وكثيراً ما تباحث معهم في مشكلاتهم السياسية والعسكرية.

وعندما أدرك فراونكنشت المأزق الذي وقعت فيه اسرائيل على أثر قرار ديغول، صمم على تقديم مساعدة لها بأي طريقة ممكنة. هذا في الوقت الذي كان فيه الاسرائيليون في الأشهر الأخيرة من سنة ١٩٦٧ يتحرون كل الوسائل التي تمكنهم من الحصول على قطع غيار لطائراتهم الميراج. وعلم بعض المهندسين الذين يعملون مع «ألفرد فراونكنشت» عن تعاطفه مع القضية الاسرائيلية ورأوا في تجنيده الى جانبهم أمراً يستحق الاهتمام.

عندئذ قام اثنان من رجال الموساد العاملين في أوروبا بزيارة فراونكنشت في بداية ابريل١٩٦٨. وقد قابله هذان الرجلان وهما الكولونيل «تسفي آلون» والكولونيل «نحميا كاين» في احدى غرف فندق الامبسادور Ambassador في زيوريخ وعرفا نفسيهما اليه باسمين مختلفين. وعرضا عليه قضيتهما في ضرورة الحصول على قطع غيار الميراج. وأبدى فراونكنشت تعاطفه واستعداده للمساعدة.

وفي وقت مبكر من مساء ما، رنّ جرس الهاتف في السفارة الاسرائيلية بباريس، وردت عاملة مفاتيح الهاتف بكلمة - شالوم - المرحة. فأوضح لها «فراونكنشت» بأنه يتحدث من زيوريخ ويريد التحدث مع «تسفي آلون» بموضوع مهم للغاية. وبما أن آلون لم يكن ساعتذاك في السفارة فقد وصلت خط الهاتف بمنزله. وعندما تم التوصيل استمع الضابط الى جملتين من صوت مألوف لديه: «أنا ألفرد فراونكنشت أريد مقابلتك بأسرع ما يمكن وشكراً». وانقطع الاتصال.

في تلك الليلة عجت السفارة الاسرائيلية بأزيز الاتصالات الهاتفية. وفي غضون ساعات كان تسفي آلون في طريقه الى مطار أوروبي للحاق بإحدى الطائرات المتجهة الى زيوريخ. ومن روما طار «نحميا كاين» لمقابلته. كما نقلت رسائل بالشيفرة الى قيادة الموساد تخبرها عن مكالمة

فراونكنشت الهاتفية.

وعندما قابل الاسرائيليان كبير المهندسين السويسريين في فندق الامبسادور كما اتفق عليه في اللقاء الأخير، لم يكونا يقويان على انتظار الجلوس والحديث، ولكن المهندس ألفرد اقترح عليهما الذهاب الى مكان يخلون فيه الى أنفسهم بأكثر مما يوفره الفندق.

ودهش الاسرائيليان عندما مضى بهما فراونكنشت الى «حي فيدردورف» وهو حي صغير للبغايا في مدينة زيوريخ لقناعته أن أي رجل من رجال الأعمال السويسريين المحترمين أو الموظفين الحكوميين لا يأتي الى هذا الحي وسيحظى اذن بالأمان، حتى يتحدث هو وزائريه الاسرائيليين.

وباشر فراونكنشت الحديث في الموضوع بدون الخوض في أية مقدمات فقال: «انكم تضيعون وقتكم سدى في البحث عن قطع الغيار وبإمكاني أن آتيكم بالميراج بتمامها». ورد الكولونيل آلون على الفور: مستحيل. فكيف نتمكن من سرقة طائرات الميراج السويسرية ونحن نعلم أنها مخبأة في أنفاق محفورة في جبال الألب، كما نعلم أن دونها أبواباً معدنية سميكة للغاية في وسعها أن تصمد للإنفجارات الذرية. وعلى كل حال ليس بيننا وبين الحكومة السويسرية أية خصومات حتى لو كان الأمر ممكناً. عندئذ لوح فراونكنشت بيديه بفارغ الصبر وكأنه ينحي تفكير الاسرائيلي جانباً وقاطعه بقوله: «لن أخون بلدي أن آخذ طائرات الميراج يعني الخيانة ولست خائناً.. إنني أفكر في مخططات تصميم الميراج التي تمكنكم من صنع الطائرة بأنفسكم. وأنا أعرف السيد شفيمر رئيس صناعة الطيران الاسرائيلية. وأعلم أنه قادر على صنع مثل هذه الطائرة المتطورة، ولكن الأمر سوف يستغرق سنوات في تصميم وافٍ للطائرة وإقامة مصنع لانتاجها. أما اذا حصلتم على التصاميم جميعها، ومنها التصميمات الحيوية، التي تمكنكم من صنع الأدوات اللازمة للطائرة فستكون هذه الطريقة وسيلة لاختصار الزمن في حل المشكلة. وفضلاً عن ذلك ستمكنكم الأدوات التي ذكرتها لكما من صنع

قطع الغيار التي أنتم في أمس الحاجة اليها في غضون أشهر فحسب.

عندئذ أخذ الاسرائيليان يصغيان الى كل كلمة يقولها فراونكنشت. ولما حدقا اليه مندهشين توقف قليلاً ثم قال في شيء من اللطف: تريدان معرفة الثمن؟ إنني أود أن تدركا بوضوح أنني لا أقوم بهذا العمل من أجل المال وإنما أقوم به لمساعدتكم ولكنني سأكون محتاجاً الى شيء من المال اذا سمح الأمر لحماية زوجتي. وسيكون ما أعرض عليكم القيام به أمراً عسيراً محفوفاً بالمخاطر. هذا ما أريد أن ألفت انتباهكم اليه. إن مخططات الطائرة تكفي لملء عربة قطار بتمامها. وتابع فراونكنشت حديثه قائلاً: أنه يفكر في طريقة يمكن معها نقل تلك المخططات الى اسرائيل لتساهم في حل أزمة قطع الغيار لطائرات الميراج عن طريق صنعها هناك. وأوضح أن هذه المخططات قديمة والمفروض أنها ستحرق في المحرقة الرسمية. وأوضح أنه سيسلمهم المخططات بدل إحراقها. لكن المشكلة تكمن في أنه من الضروري حرق أوراق في المحرقة ليمكن كتابة محضر بها. وأفاد فراونكنشت أنه سيشتري وثائق قديمة من احدى الدوائر الحكومية ويقوم بحرقها بدل المخططات. وأنه سيستأجر كاراجاً خاصاً به ولقريب له ليغطي بذلك على العملية بحيث تنقل كل من المخططات والوثائق القديمة الى هذا الكاراج ويتم استبدالها وتذهب المخططات الى الاسرائيليين، والوثائق القديمة الى المحرقة.

ودهش تسفي آلون ونحميا كاين من خطة فراونكنشت الذي تعمد أن يصمّمها بنفسه وأن يعد كل شيء بحيث يتحمل أكبر قدر من المسؤولية. وكان يعلم أن أحداً لن يشك في دوافعه وأفعاله بعد أن اشتهر أمره لدى قوات الأمن والشرطة السويسرية بوصفه موظفاً خطيراً وموثوقاً به.

## خطة فراونكنشت:

استأجر فراونكنشت «كاراجاً» خاصاً في «فنترتور» قبل إعداد الشحنة

الأولى من المخـططات للإحـراق بوقت طويل. وكـان لذلـك الكاراج مـدخله الخاص وهو قريب كل القرب من الطريق الذي تمضي فيه العربة بين المصنع وبين المحرقة.

وطلب فـراونكنشت من الشـركـة التي استخـدمهـا «زولتسـر» في صنـع صنـاديق الكرتـون المستعمل في نقـل أوراقها، أن تصنـع صناديق كـرتون لـه مطابقة لصنـدوق «زولتسر» في جميـع الوجـوه، وأمر بتـوصيلها الى «كـاراجه» حيث احتفظ بها هناك.

وأخيـراً دأب فراونكنشت على القيـام برحـلات متكـررة الى العـاصمـة «برن» قبل أسابيع من الشروع في العملية. وكان قد علم من تحرياتـه الحذرة أنـه قد سمـح لمكتب براءات الاختـراع الفيدرالي السـويسري بـالتخلص من الأوراق التي بقيت فيه مدة تزيد على خمسين عـاماً. وهنـاك قدم نفسـه بصفة تاجر أوراق مسودات وأخبر كاتب الحسابـات في ذلك المكتب أنـه يرغب في شراء أية أوراق لم يعد يستخدمها أحد. وبالطبع بادر الكاتب مسروراً للتعـاون معـه وباعـه الأوراق القديمـة من مختلف أنواع المخـططات والرسـوم بأبخس الأثمان.

وبعد الحصول على المخططات الزائفة شرع ابن عمه في القيام بخطوة حاسمة في العمليـة. فقد رسمـا خطة لتحـويل مسـارهما عن الطريق المتفق عليه من المصنع الى المحرقة ولـلإسراع في اتجـاه «الكاراج» حتى اذا دخـلا فيـه كان عليهما القيام بعمليـة تبديل بسيطة جداً يقومان بتفـريـغ صنـاديق مخططات الميراج التي جلبـاها من المصنـع أولاً ثم يستبدلان بهما الصناديق الملأى بالأوراق التي اشتراها فراونكنشت من مدينة «برن» ثانياً.

ومارس الاثنان خـطتهما أسـابيع قبـل بدء المشروع الفعلي بنجاح تام. وكان الجميع سعداء بالعملية. فالاخوان «زولتسر» يحرران مخازنهمـا من تلك الفضـلات المتعبة. ورجال الأمن يكفلون ألا تقع الأوراق في أيـد أخرى. والمفتشـون يتـأكـدون من أن العمليـة تسيـر بـدون صعـوبـات. أمـا ألفـرد

فراونكنشت فكان يحصل بذلك على مجموعة كاملة من مركبات طائرة نفاثة متطورة مقاتلة وقاذفة «يصنعها المرء بنفسه»

ويدون أن يعلم أحد كان المهندس وابن عمه يزوران «كاراجهما» في كل يوم سبت عقب رحلتهما الى المحرقة، فيعدان في سرعة وصمت وجبة المحرقة الأسبوعية التالية وذلك مما يحشوانه في الصناديق المخزونة من مخططات قديمة. أما بضاعة الأسبوع السابقة من مخططات الميراج فكانا يحملانها في العربة مرة أخرى ويذهبان بها حوالي ثلاثين ميلاً الى مدينة كايزر أوغست حيث يوجد مستودع تمتلكه شركة سويسرية تدعى «روتستنغر وشركاه» لا يعمل فيها أحد أيام السبت. ولم يكن من المحتمل اذن أن يلحظ أحد وصول العربة أو عملية التفريغ السريع لمحتوياتها.

وكان الرجلان اذا أنهيا عملية التفريغ يعودان أدراجهما الى المدينة وبالذات الى مطعم «هرشن» الذي يغص بالزبائن حيث ينتظرهما رجل باسم «هانس شتريكر» وهو أحد أصدقاء «نحمياكاين». ولم تكن شركة روتستنغر قد استخدمت هذا الرجل أكثر من سنة، ولكنه أصبح مستخدماً محترماً ومؤتمناً فيها، وكانت مهمته تسيير حركة شاحنات الشركة التي تتجه في جميع أرجاء أوروبا ومعالجة ما تشتمل عليه الوثائق اللازمة من أمور.

كان شْتريكر فور استلامه إشارة فراونكنشت ينطلق بسيارته من البلدة الى مستودعات روتستنغر حيث يقوم بتحميل الصناديق الملأى بمخططات الميراج في صندوق سيارته المرسيدس ٢٢٠ ويقفل أبواب المستودع ثم يمضي بسيارته الى الحدود الالمانية دون أن يواجه أية مصاعب من موظفي الجمارك حيث كان عميلاً ممتازاً حقاً قام بعدة رحلات عبر الحدود زمناً طويلاً قبل بدء حمله الوثائق «السرية للغاية» في صندوق سيارته متجهاً الى مدينة شتو تغارت. وقبل بلوغه المدينة كان ينحرف عن طريق الاوتوبان الواسعة ليمضي صوب مطار صغير يحتفظ فيه كبار أغنياء المنطقة بطائراتهم الشراعية وغير الشراعية.

وفي غضون دقائق معدودات كان يتم شحن وثائق الميراج في طائرة ـ سيسنا ـ ذات محرك مزدوج مسجلة في ايطاليا ثم تطير الطائرة في اتجاه برنديزي بجنوب ايطاليا وهناك يتم تحويل الوثائق الى طائرة العال. وفي صباح يوم الأحد، أي بعد ٢٤ ساعة من مغادرة «فنترتور» يجري تفريغها في أحد المطارات باسرائيل.

وفي اسرائيل كانوا ينتظرون وصولها بفارغ الصبر. حتى أن شاحنة مصفحة كانت تظل مستعدة ومحركها يهدر لنقلها على عجل الى أحد الفنيين في صناعة الطيران الاسرائيلية. وقد وصلت أول شحنة من شحنات فراونكنشت الى اسرائيل في الخامس من تشرين الأول/اكتوبر ١٩٦٨.

وفي كل أسبوع من الأسابيع التالية سارت العملية على ذلك المنوال السهل نفسه بعد أن احتاج المهندس حوالي ١٢ شهراً لإتمام العملية. وكانت فسحته الوحيدة في ذلك هي إجازته السنوية.

وفي أواخر أيلول/سبتمبر ١٩٦٩ نقل فراونكنشت الشحنة الأخيرة من المخططات الى مستودعات روتستنغر، وباح لابن عمه بأن في وسعه أن ينام هادىء البال لأول مرة في خلال عام.

وبينما كان الرجلان جالسين في مطعم «هرشن» يتبادلان أطراف الحديث، لم يكن فراونكنشت ليعلم أن هانس شتريكر قد ضبط آنذاك متلبساً بجريمة تكديس الصناديق في سيارته فقد اشتبه عابر سبيل في الشخص الذي كان يراه في كل يوم سبت متسكعاً من حول مستودع روتستنغر وأربكه أمره فأبلغ صاحبي الشركة وهما كارل وهانس روتستنغر بأمره وبأنه يقوم دائماً بتحميل الصناديق في سيارته الخاصة.

وعندما علم الاخوان روتستنغر نبأ ذلك الغريب الغامض قررا البحث في الموضوع ومضيا بالسيارة الى المستودع في صباح يوم السبت وأوقفاها على مبعدة منه. وشد ما دهش الرجلان حين تحققا من أن ذلك الرجل الغريب

انما هو مستخدمهما المخلص «هانس شتريكـر» الذي شـاهداه يضـع صناديق الكرتون في صندوق سيارته واستراحا بعض الشيء ولكنهما بقيـا في حيرة من أمرهما فناداياه وهما يحييانه في الوقت نفسه.

أمـا شتريكـر فما كـاد يرى الاخـوين روتستنغـر حتى وثب الى سيـارتـه وانطلق بها بأقصى سرعة وعندئذ أحس الاخوان بالخيبة فعلاً فدخلا المستودع ووجدا صندوق الكرتون الأخير الذي خلفه شتريكـر في عجلته من بعـده وقرر الـرجلان فتـح الصندوق فعثـرا على أول مخـطط من المخططات الكلمـات التالية مختومة بحروف كبيرة:

«سري للغاية ملك للدائرة العسكرية السويسرية».

وانطلق الاخوان روتستنغـر على الفور الى أقـرب مركـز للشرطـة. وفي خلال ساعة عمّمت الشرطة بلاغاً في جميع أنحاء البلاد للقبض على المـدعو «هانس شتريكر» مهما كان الثمن.

بيد أن طائرة سيسنا الصغيرة كانت قد حلّقت في الجو ماضية في سبيلها فوق جبال الألب، ولم يسمع أحد بعدئذ في منـطقة عبـور الراين عن شخص اسمه شتريكر منذ ذلك الحين. وبعد ٧٢ ساعة من التحريات المتواصلة ألقي القبض على ألفرد فراونكنشت الذي علم بنبأ مصير شتريكر من رجل مجهـول أبلغه بذلك هاتفياً ولـم يعتره الفزع بل واظب على عمله كـالمعتاد حتى تمكن فريق من خمسة ضباط من البوليس وقوى الأمن أحدهـم ضابط كبير الـرتبة في الاستخبـارات السويسـرية المضـادة، تمكن من إلقـاء القبض على المهنـدس فراونكنشت الذي دافع عن عمله بشدة عندما أخبره رجال الأمن والبـوليس أن المخططات قد انتقلت الى اسرائيل.

إلا أن القـانون في النهـايـة لم يكن الى جـانب فـراونكنشت. ففي ٢٣ ابريـل ١٩٧١ أدين بجريمـة التجسس الصنـاعي وفضـح الأسـرار العسكـريـة السويسرية وحكمته المحكمة بأربع سنوات ونصف السنة من الأشغال الشاقة.

وقضى فـراونكنشت فتـرة حكمـه في سجن «بـازل» حيث عـامله المسؤولون فيه معاملة سجين خاص. وأعاد تنظيم مكتبة السجن وقرأ عدداً كبيراً من المطبوعات.

ولم ينقض وقت طويل بعد اطلاق سـراح فراونكنشت من السجن في عـام ١٩٧٥ حتى وجه صـديق من اسرائيـل الدعـوة اليه والى زوجتـه بـزيـارة البـلاد. «ووافقت» زيارتهمـا تظاهـرة كبرى للمفخـرة الجـديـدة التي أنجبتهـا صنـاعة الـطيران الاسـرائيلية أي «الكفيـر» أو «الشبل ابن الأسـد» وهي مقاتلة قاذفة توافد المراقبون من مختلف أرجـاء العالم لمشاهدتهـا، حيث أدرك هؤلاء أنهـا على غرار طـائرة الميـراج الفرنسية. مما جعـل أحد الخبـراء العسكـريين الالمان يلكز جنب رفيقه الفرنسي ويقول متندراً: «بل ابن الميراج».

وعنـدمـا انـطلقت طـائـرة الكفيـر بسـرعـة في سمـاء تـل أبيب أحس فراونكنشت بالاعتزاز وهو يرى ثمرة تجسسه لصالح اسرائيل. ولكنه كان اعتزازاً ممزوجاً بالمرارة. فقد اكتشف أن مجد الجواسيس يبقى رهين الوحـدة والعزلـة خـاصة في دولـة قائمـة على السـرقـة والمجـازر والعنصـريـة وقـد عشش في شرايينها دم الحقد والكراهية لغير «شعب الله المختار».

# المراجع


١ ـ دينيس أيزنبرغ وآخرون «الموساد جهاز المخابرات الاسرائيلية السري» المؤسسة العربية للدراسات والنشر ودار الجليل للنشر. الطبعة الأولى. بيروت ١٩٨١.

٢ ـ نزار عمار «الاستخبارات الاسرائيلية» المؤسسة العربية للدراسات والنشر. الطبعة الأولى. بيروت ١٩٧٦.

٣ ـ سعيد الجزائري «المخابرات والعالم» دار الحياة. الطبعة الثانية. بيروت. دون تاريخ.

# الفصل الرابع

## همرشولد وتأميم قناة السويس

قليلون جداً أولئك الرجال الذين اذا ماتوا، تحزن عليهم الملايين، وتبكي على فقدانهم جماهير واسعة. وقليلون جداً أيضاً أولئك الذين اذا غابوا، تتمزق على غيابهم شرايين القلوب قبل أن تطفر الدموع في المقل التي يصعب عليها حبس غصاتهم ودفائنها. ولم يكن السياسي الكبير «داغ همرشولد DAG HAMARCHOLD» إلا أحد هؤلاء العظماء الذين يعتز بهم تاريخ الشعوب والدول ويفتخر بتسجيل أسمائهم في سجله الذهبي.

**فمن هو «همرشولد» هذا؟ وما هو سر عظمته؟.**

لقد أصبح من الطبيعي، كلما ظهرت شخصية فذة على مسرح الحكم أو في عالم السياسة، ولعبت دوراً كبيراً في مجال من المجالات المؤثرة في حياة الناس، تردد بين الناس هذا التساؤل: هل المنصب هو الذي يخلق الرجل، أم هل الرجل هو الذي يخلق المنصب؟.

من الناس من يقول أن المركز الكبير يخلق من أي شخص عادي رجلاً مهماً بارزاً. فأياً كان الرجل الذي ينتخب رئيساً لأمريكا مثلاً، حتى لو كان محدود المقدرة، قليل الكفاءة، كما كان معظم الامريكيين يقولون عن «هاري ترومان» وعن «جيمي كارتر» فإن منصبه الكبير يخلق منه شخصاً كبيراً، يحسب به داخل بلاده وخارجها كل حساب. بينما غيره من رؤساء الدول قد يفوقونه كفاءة وقدرة، وذكاء وخبرة ولكنهم دونه جدوى بمدى بعيد لأنهم يرأسون بلاداً صغيرة.

ومن الناس من يقول أن الرجل الفذ في مواهبه وفي إعداده وفي

شخصيته هو الذي يجعل المنصب الذي يتولاه منصباً رفيعاً وخطيراً، لـه دوره المؤثـر في شؤون الناس وفي تـوجيـه مسيـرتهم. . . وقـد ظهـرت مثـل هـذه الشخصيات الفذة في بلاد وشعوب صغيـرة، فغيرت حيـاتها تغييـراً جذريـاً. . كانت شعوباً نائمة فاستيقظت، وكانت بلاداً متخلفة فتقـدمت، وكانت منكفـأة على نفسها فصار لها التأثير الكبير فيما حولها من أمم ومن آفاق. . .

وقد تردد هذا السؤال حول منصب الأمين العام للأمم المتحـدة، وحول الشخصيات الخمسة التي تولته: تريجفي لي، همرشولد، يوثانت، فالدهايم، ثم دي كويلار. . الخ. . .

وتردد السؤال حول «داغ همرشولـد» بالـذات. . . لأنه تحـول من رجل عادي في نظر من يعرفونـه من أهل بـلاده وهم قليلون، الى رجل عـظيم يبهر العالم كله وينال التقدير والتأييد، ويصيبـه أيضاً السخط والمعـارضة من كثيـر من الحكومات والشعوب. . .

ولد «همرشولد» سنة ١٩٠٥. ثم أصبح موظفاً في الحكـومة السـويديـة بوظيفة كبيرة، لكنها لم تصل الى مرتبـة وزير أو شبـه وزير. . . وكـان أهم ما فيه أنه من أسرة أرستقراطية وعلى جانب كبير من الثراء. فقـد كان أبـوه رئيس وزراء السـويد، وكـان أجداده من المحـاربين في جيوش السـويد التي كـانت تعيش في حروب مستمرة مع جيرانها قبل أن تتحول في تاريخها الحديث الى البلد المحايد الذي يعيش في سلام ويدعو الى السلام. . .

ولم يكن أحد قد سمع باسمه خارج بـلاده. . . أو ربما سمـع به بعض النـاس مـرة كـل سنـة، لأنـه كـان عضـواً في اللجنـة التي تبحث مـوضـوع المرشحين لجائزة نوبل للسلام.

وعندما هبطت به الطائرة في مـطار نيويـورك عندمـا جاء ليتـولّى منصب الأمين العام للأمم المتحدة كان أول سؤال وجهه اليه الصحفيون: كيف تنطق اسمك؟ كيف تكتب اسمك؟. . . وأراد أن يبسط لهم اسمـه المكون من اثني

عشر حرفاً فقال أنه مكون من كلمتين: همر (أي المطرقة) وشولد (أي الدرع)... فهذا هو الاسم الذي أطلق منذ عدة قرون على جده المحارب: المطرقة والدرع...

ثم لم تمض ثلاث أو أربع سنوات على هذا الرجل الذي كانوا لا يعرفون كيف ينطقون اسمه، فإذا به قوة هائلة على المسرح الدولي... قوة لها دورها الفعال المؤثر، الموجه، في الأحداث الدولية الكبرى... دور يضاهي دور الدول الكبرى، وإن كانا دورين مختلفين، وربما متناقضين متعارضين. لأن دور الدول الكبرى قائم على قوتها السياسية والاقتصادية والعسكرية، أما دور الأمم المتحدة فقائم على إلتفاف الدول الصغرى حولها، وعلى مساندة الرأي العام العالمي لها... لقد برز «همرشولد» في الواقع كمفاوض من الطراز الأول، وقد أعطى الكثير من السلطة والهيبة لمركز الأمانة العامة.

وصار «همرشولد» أحد ثلاثة أو أربعة رجال في العالم هم أقوى زعمائه وقادته الموجهين.. وقبل زعماء الدول الكبرى، أو بعضهم، أن يشاركهم الأمين العام للأمم المتحدة، ما لهم من قوة ونفوذ في العالم... وعندما تأزمت الأمور في احدى المراحل، اقترح «خروتشوف» زعيم الاتحاد السوفياتي عقد مؤتمر قمة على أعلى مستوى تصل اليه القمة، فاقتصر الاشتراك فيه على ستة رجال: رؤساء الدول الخمس الكبرى، وسادسهم «همرشولد»... الذي استطاع أن يجعل من منصبه، ومن عمله، القوة السادسة في العالم.

كانت مواهب «همرشولد» مخبأة وراء وجه يبدو عليه الخجل والحياء، ووراء قوام نحيل يبدو أن صاحبه منصرف الى الرياضة البدنية، وقد عرف أنه من هواة تسلق الجبال... ولم يكن قد بلغ الخمسين في وقت كان فيه معظم السياسيين شيوخاً وكهولاً.

وعندما يقع حدث كبير تظهر مواهب «همرشولد» المختبئة، ويبرز ما فيه

من ذكاء وبصيرة ومن شخصية قادرة على مواجهة المشاكل الكبرى. . .

ووقع الحدث الكبير في منطقتنا العربية. . . وأين تقع الأحداث الكبرى في عصرنا هذا إلا في المنطقة العربية التي كانت بلاداً هادئة، تسكنها شعوب راضية، الى أن مسها مس من الشيطان فوفدت عليها جماعة من الدخلاء، كونوا لأنفسهم دولة، وكونوا للدولة جيشاً، وراحت تعتدي على ما حولها وتلتهمه كلما آنست في نفسها المقدرة على العدوان، وكلما جاءها العون والدعم من الأقوياء الطامعين في أرض العرب. . . وكان الطامعون الواضحون للعيان في ذلك الوقت هما بريطانيا وفرنسا، وكانتا تحاولان التشبث بما كان لهما من السيطرة على المنطقة العربية طوال قرن من الزمان. . .

ولكن رياح الحركات القومية كانت قد هبت في أرجاء العالم وأخذت تعصف بما تبقى من امبراطوريات أوروبية أنهكتها الحروب، وكانت مصر تقود الحركة القومية في المشرق العربي (حيث ما تزال بريطانيا رابضة بقواعدها ومحمياتها)، وتؤيد وتدعم الحركة القومية في المغرب العربي حيث قامت ثورة الجزائر على فرنسا تريد الاستقلال.

وقرر «همرشولد» أن يدعو مجلس الأمن الى الانعقاد، لا لتلقى فيه الخطب وتصدر قرارات الإدانة والاستنكار مثلما كان يفعل المجلس طوال السنين الأخيرة، ولكن ليتخذ موقفاً فعالاً في وقف العدوان، ثم رد القوات المعتدية الى حيث جاءت، ثم وضع خطة لإعادة الهدوء الى المنطقة ثلاث خطوات الواحدة تلو الأخرى. . .

وتهامست دوائر الأمم المتحدة بأن بريطانيا وفرنسا تنكران على الأمين العام أن يقوم بهذه المهام بصفته نائباً عن الأمم المتحدة. . . فهو مجرد موظف دولي أو هو أكبر موظف في خدمة دول الأعضاء، ولا يجوز له أن يتخذ موقفاً يعارض سياسات الدول وخاصة ما كان منها دولاً كبيرة مثل بريطانيا وفرنسا.

ورأى همرشولد أن يواجه هذا الموقف مواجهة حاسمة. فألقى عند

افتتاح المجلس كلمة وجيزة ولكنها دوت في الأمم المتحدة، ودوت في العالم كله. . . فقد حدد مهمة الأمين العام كما يراها حين قال في كلمته هذه العبارات: «ان مبادىء ميثاق الأمم المتحدة أهم بكثير من الأهداف السياسية لأي دولة. . . الأهداف هي مرجعه الأول والأخير فيما يحق له أن يفعله. . . ومن أجل هذا يجب أن أتقدم للعمل في هذا الظرف العصيب. . . وليس في إمكان الأمين العام أن يقوم بمهمته هذه إلا اذا حافظت كل دولة من الدول الأعضاء على شرف تعهدها باحترام ميثاق الأمم المتحدة. ان معنى ما قلته الآن واضح جلي للجميع دون حاجة الى أي إسهاب وتفصيل. . . أما اذا كان للدول الأعضاء وجهة نظر أخرى في واجبات الأمين العام فمن حق هذه الدول، كما أن من حق الأمين العام أن يتصرفوا تصرفاً آخر».

وكانت الجملة الأخيرة التي تحمل تصميمه القاطع على الاستقالة «اذا كان للدول الأعضاء وجهة نظر أخرى» إشارة منه الى الدول الأعضاء أن تعلن الآن موقفها:

هل تريد الأمين العام أن يعمل على مواجهة الموقف الدولي الخطير مواجهة عملية، أم تريد أن يكون مجرد موظف كبير يسجل ويذيع قراراً يصدره المجلس بالإدانة، أو نداء يوجهه المجلس الى المتحاربين يناشدهم ضبط النفس مثلاً. . .

وسارع ممثل الاتحاد السوفياتي وممثل أمريكا، وممثلو دول أخرى بالإعلان في كلمات واضحة أن حكوماتهم تأتمن الأمين العام على مهمته الكبيرة، وتطلب اليه أن يتقدم للعمل. . .

وعندئذ وضع «همرشولد» أمام الدول جميعاً خطة عملية تحمل بريطانيا وفرنسا على وقف عدوانهما الذي بدأ فعلاً بضرب مدينة بور سعيد بحراً وجواً، وبالزحف الى مدينة الاسماعيلية، وباقي منطقة القناة. . . ثم تحمل الدولتين على النزوح بجنودهما في أقصر وقت ممكن عائدين الى بلادهم دون تحقيق أي مكسب من وراء عدوانهما. . . وعندئذ تجد اسرائيل نفسها مرغمة

على الانسحاب من الأرض التي احتلتها.

ولم تكن هذه الخطة العملية وليدة الساعة. . . فقد كان يفكر منذ تـولى منصبـه في أن ما ينقص الأمم المتحـدة لكي تكون أداة فعـالـة للحفـاظ على السلم والأمن الـدوليين أن يكـون لهـا جيش، أو شبـه جيش، ليست مهمتـه خـوض المعارك، وإنمـا مهمته فض المعـارك اذا نشبت. . . وذلك بـأن يقف حائلاً بين المتحاربين، فيتيح لهم أن يتوقفوا عن القتال، وأن يتباعدوا ويرتدوا الى أمـاكنهم الأولى. . . ثم يتيـح لهم فسحـة من الـوقت تهـدأ فيهـا نفـوس المتخـاصمين، لبحث أسباب الصـراع والخلاف، بغيـة الـوصـول الى حلول وسط تقبلها أطراف النزاع.

ورأى «همرشولد» أن هذا الموقف الخطير قد هيأ المناخ الدولي لتكوين قوة عسكرية للأمم المتحـدة أسماهـا «قوة الـطوارىء الدوليـة». . . فقد كـان الـرأي العام في كـل أرجاء العـالم، بما فيـه فريق كبيـر من الـرأي العـام في بريطانيا نفسها، ثائراً غاضباً على هـذا العدوان المثلث، وعلى الـطريقة الفجـة التي وقع بها، وباتت أكثر الحكومات والبـرلمانـات مستعدة للمشـاركة في أي عمـل يوقف هـذا العدوان ويـرده على أعقابـه دون أن ينال القـائمـون بـه أي مكسب، وبـدأت بعض الحكـومـات استعـداداً لتخصيص جـزء من قـواتهـا المسلحة للمشاركة في تكوين قوة مسلحة دولية تقوم بتلك المهام التي حددها الأمين العام للأمم المتحدة، وتعمل تحت قيادته السيـاسية، وتحت قيـادة من يعينه «جنرالاً» على هذه القوة. . .

ورتب «همرشولد» عملية إصدار القرار اللازم من الجمعية العامة للأمم المتحدة. وتقدم وزير خارجية كندا «لستر بيرسون» مقترحاً انشاء «قوة الطوارىء الدولية» فتقوم بالمهمة التي قالت بريطانيـا وفرنسـا انهما جـاءا من أجلها. . . وهي الفصل بين اسرائيل ومصر. . . ثم أعقبه على منبر الجمعية العامة «جون فوستر دالاس» وزير خارجيـة أمريكـا، وهو يتـألم جسديـاً، وعاطفيـاً. . . كان يعـاني التهابـاً في الامعاء يقتضي إجـراء عملية جـراحية عـاجلة، فخـرج من

الاجتماع بعد منتصف الليل الى المستشفى مباشرة. . . أما معاناته العاطفية فقد عبر عنها بهذه الكلمات: «ما من أحد تكلم من هذا المنبر وهو يعاني مثل ما أعانيه الليلة من الانقباض والحسرة. . . لقد عجزت بلادي عن الاتفاق مع ثلاث دول تربطنا بها روابط الصداقة المتينة ومنها دولتان هما أقدم حلفائنا وأجدرهم بثقتنا.

ثم قدم مشروع قرار يقضي بمطالبة جميع الأطراف بوقف اطلاق النار. . . وبسحب القوات الاسرائيلية الى ما وراء خطوط الهدنة التي حددت في سنة ١٩٤٩. . . وتوقف القوات البريطانية والفرنسية عن عملياتها الحربية في مصر. . . ثم تكليف الأمين العام بمتابعة تنفيذ هذه الخطوات. . . وكذلك المضي في تكوين «قوة الطوارىء الدولية» وإرسالها الى منطقة القتال.

وانتهى الاجتماع بعد الساعة الرابعة صباحاً وانصرف ممثلو الدول يلتمسون شيئا من الراحة والنوم بعد أن أنهكتهم الأيام والليالي السابقة. . . أما «همرشولد» ومساعدوه فقد واصلوا الليل بالنهار يتصلون بالدول التي يمكن أن تساهم في تكوين قوة الطوارىء الدولية، وراحوا يحددون الأماكن التي ستنزل فيها وحداتها، ويهيئون وسائل نقلها وتموينها وسبل الاتصال بها، دون أن تكون هناك سابقة يمكن الاهتداء بها، وتم انجاز هذه العملية المعقدة خلال ثلاثة أو أربعة أيام. . .

في خلال هذه الأيام كانت ثورة الرأي العام في العالم كله قد بلغت أقصاها. . . وكانت الخطب في شتى البرلمانات، وعلى الأخص في مجلس العموم البريطاني، تدين هذا العدوان. . . وكانت المظاهرات الشعبية لا في البلاد العربية وحدها، بل في البلاد الاسيوية والافريقية وحتى بلاد أمريكا اللاتينية تهتف بسقوط الاستعمار. . . وأشاعت الصين أن عشرات الآلاف من مواطنيها يطلبون التطوع لمحاربة المعتدين الثلاثة. . . عندئذ سارع الاتحاد السوفياتي فقدم اقتراحاً الى مجلس الأمن بأن يدعو الدول الى إرسال محاربين متطوعين.

وواصلت واشنطن ضغطها بكل الوسائل. . . وانخفض الجنيه الاسترليني انخفاضاً كبيراً بات يهدد بريطانيا بخطر اقتصادي داهم. . . وهددت الهند بالانسحاب من الكومنولث البريطاني. . .

وهدد أيزنهاور اسرائيل بما لا تستطيع احتماله. . . وهو فرض ضرائب على «التبرعات» التي تتدفق عليها من اليهود وغير اليهود في أمريكا. . . والتبرعات معاً معفاة من الضرائب في أمريكا، وهي لهذا السبب ضخمة جداً، فكثيرون يفضلون التبرع بالمال بدلاً من دفعه ضريبة للحكومة.

وعمّ السخط على هذا العدوان المدبر والسافر أرجاء العالم، وبلغ الاستنكار أقصى درجاته فيما يلقى من خطب في الأمم المتحدة، وما يصدر من قرارات تطالب بوقف القتال فوراً. . .

كل هذا لم يوقف العدوان، واستمرت القوات البريطانية والفرنسية في عملياتها العسكرية. . ثم حدث شيء خطير خلال يوم الثلاثاء في السادس من تشرين الثاني/نوفمبر عندما أصدر الاتحاد السوفياتي انذاراً صيغ في عبارات حازمة مثيرة الى بريطانيا وفرنسا «ماذا يكون الأمر لو ضربت لندن وباريس بالصواريخ السوفياتية؟».

بعد صدور هذا الإنذار السوفياتي بعدة ساعات صدر بيان بريطاني فرنسي يعلن أنه تقرر وقف القتال وإنهاء العمليات العسكرية في الساعة الثانية عشرة مساء بتوقيت غرينتش.

وتوقف العدوان. . . وجاءت قوات الطوارىء الدولية التي كونها «همرشولد» في خلال بضعة أيام من ضباط وجنود خليط من عدة دول، وعين الجنرال الكندي «بيرنز» قائداً لها، يتلقى الأوامر من الأمين العام وحده. . . وكان هذا اعترافاً بدور كندا في اقتراحها رسمياً انشاء قوة طوارىء للأمم المتحدة.

وانتشرت قوات الأمم المتحدة سريعاً حول قناة السويس. . . واضطرت

بريطانيا وفرنسا الى سحب قواتهما بعد تلك المجازفة الخائبة. . . وخرجتا منها بعد أن تبينتا وتبين العالم انهما لا تستطيعان القيام بعمل خطير كهذا اذا تصدت لهما الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي. فنزلتا عندها من مرتبة «الدول العظمى» وصارتا دولتين كبيرتين فقط.

أما اسرائيل فتلكأت في الانسحاب عدة شهور، ثم اضطرت الى العودة وراء خطوط الهدنة التي كان داڤيد بن غوريون قد أعلن انها «ماتت وتم دفنها» ولكنها كانت عودة الى حين.

أما مصر فخرجت من المعركة منتصرة انتصاراً سياسياً كبيراً، وارتفعت قامتها في قيادة تيار القومية العربية، وزادت حركة التحرر العربي والافريقي قوة وعزيمة، وخرجت عشرات من الشعوب من قبضة الاستعمار الأوروبي وصارت دولاً مستقلة.

وأسرع «همرشولد» الى عملية أخرى هي تطهير قناة السويس مما ألقي فيها من ألغام، ومن سفينة أو سفينتين أغرقتهما مصر لتسد مدخل القناة. . . وفتحت القناة وعادت شرياناً للتجارة الدولية، ولكنها عادت قناة مصرية يديرها مصريون ويعود خيرها على أهل مصر، لا على حفنة من الأجانب. أما اسرائيل فحاولت أن يكون لها حق الملاحة في القناة، ووقفت مصر دون هذا في حزم، فحقها المطلق أن تحمي القناة من بلد بينه وبين مصر «حالة حرب». أما خليج العقبة فكان مفتوحاً لاسرائيل، وعسكرت قوة الأمم المتحدة على رأس الخليج في ايلات.

تلك كانت صفحة من أروع صفحات التاريخ الحديث والمعاصر، ثار فيها الرأي العام العالمي سخطاً على الاستعمار القديم، وقاد «همرشولد» الأمم المتحدة. . . فلما انزاح من مكانه أطل الاستعمار الجديد في أماكن عديدة، منها لبنان، ومنها الكونغو. . . وأراد «همرشولد» أن يكون للأمم المتحدة دور جديد، فمات مقتولاً بحادث طائرة في الكونغو في سبتمبر ١٩٦١، بعد أن أشارت أصابع الاتهام الى الصهيونية العالمية في تدبير الحادث ـ الجريمة.

وهكذا هدأ الدماغ الجبار، وسكن القلب الكبير الفياض بالمحبة الانسانية قبل أن يتمكن من تحقيق جميع أحلامه البعيدة لخير الناس وهنائهم، وتقريب الشعوب بعضها الى بعض، من أجل توطيد أركان السلام في الأرض.

وعظيم كهمرشولد، يستحق الاحترام والتقدير في زمن عزّت فيه هذه الصفات، وكأنها من محنّطات القرون الوسطى... وهو جدير بأن يحتل مكانه الحقيقي في سجل الخالدين من أبناء الانسانية الذين وقفوا حياتهم كلها على راحتها وهنائها وسلامتها.

انها كلمة حق... يجب أن تقال حتى ولو على حبال المشانق...

# المراجع

١ ـ «الموسوعة السياسية» بإشراف عبد الوهاب كيالي وكامل الزهيري. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت ١٩٧٤. ص ٥٦٠.

٢ ـ عبد الحميد الكاتب «قضية وشخصية في الأمم المتحدة». مجلة «العربي» (الكويتية). العدد ٣٠١. ديسمبر ١٩٨٣. ص ٨٠ ـ ٨٦.

# الفصل الخامس

## نواف غزالة وأسرار عملية اغتيال أديب الشيشكلي في البرازيل. . .

تعرف معادن الرجال من خلال معايشتهم المبكرة لهموم أوطانهم، واستعذابهم طعم النضال، وصولاً الى الهدف الكبير. واذا كانت الحياة الانسانية عطاء موصولاً، وتضحية تلو تضحية، فإن أغلى التضحيات تلك التي تبرز في الشدائد. والشدائد - كما قيل - محك الرجال، تكشف عن صلابتهم الوطنية وتمتحن إرادتهم وقدرتهم على احتمال هموم النضال حتى نهاية الشوط.

وعندما قيل بأن العباقرة كالنيازك، قدرهم أن يحترقوا ليضيئوا عصرهم، إلا أن المناضل العبقري «نواف غزالة»، أضاء عصره ولم يحترق. . .

إنه ثورة في رجل، وأمة في شخص، وملاك في إنسان. رجل فولاذي وضع دمه على كفه ومشى نحو الموت، ولكن الموت هرب منه ولم يستطع الصمود في وجه إرادته وعزيمته. عندها كرس عقيدته وإيمانه بأن الأعمار في يد الله وليست في يد المستعمرين وشذاذ الآفاق. ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها.

رجل، رضع الكرامة قبل أن يولد، وقد تغلغلت في عروقه وشرايينه، ونخرت العظم والدماغ، ولازمت الدم.

رفض أن يكتب التاريخ إلا بالدم، ولهذا فهو جدير بأن يتبوأ المكانة التي تليق به في صفحات التاريخ المشرقة. وأمثاله قلائل في هذا العصر. وعندما أصدرت محكمة الشعب قرارها بإعدام المجرم السفاح «أديب

الشيشكلي»، كان له شرف تنفيذ القرار، ونجح بدقة. إنـه ابن جبل العـرب. إنـه ابن سلطان. إنه البـطل نواف غـزالة. وحتى لا نخـون التاريـخ ولا نظلم أجيالنا القادمة التي هي أمانة في أعناقنا، وحتى لا نـظلم هذا الـرجل العـظيم الذي يمثل شعباً وأمة ووطناً بكامله، آثرنا أن نسجـل للتاريـخ، وبكل صـدق وموضوعية وإخلاص، عظمة هـذا الانسان، وعـظمة هـذا الحدث الـذي مثل «ثـورة عربيـة» في قلب أمريكـا اللاتينيـة، ضد الأستعمـار وعملائـه الصغار. وليس هنـاك أصدق وأوثق من الـرجـل نفسـه يـروي التفـاصيـل كمـا عـاشهـا بـالضبط، اذ أن للكلمة في هـذا العصر فعـالية لا تقـل أهمية عن الـرصـاص والمـدافع، وخصـوصاً أنهـا كلمة شجـاعة، لأنهـا صـادقـة ولا تعـرف الجبن والتخاذل.

ومن تكلم مـع السفـاحين بـالـرصـاص، يجب أن يتكلم عنهم القلم المحشو بالدم وليس بالحبر، بشجاعة وصدق دون خوف ولا جبن.

وهل هناك أجدر في الاستحقاق من البطل نواف غزالة؟.

سنرضع أطفالنا مـع الحليب اسم نواف، علهم يسيـرون على خطاه في الدفاع عن الحق مهما كانت التضحيات، وحتى لا يخفضوا رؤوسهم أبـداً إلا أمام الحق والحقيقة.

**فمن هـو نـواف غـزالـة؟ ومـا هي أسـرار عمليـة قتـل الشيشكلي في البرازيل؟.**

ولد نواف غزالة في بلدة «مَلَحْ» من محافظة السويداء في جبل العرب. وتلقى دروسه الابتدائية فيها. إلا أن الظروف القاسية التي كان يعيشهـا الجبل من ناحية،وصعوبة الحياة المعيشية من ناحية ثانية، يضاف اليها طموحه الكبيـر للسفر والمغامرة، كل ذلك، دفع بنـواف غزالـة الى ترك الجبـل والهجرة الى الخـارج. وكانت البـرازيـل من دول أميـركـا الـلاتينيـة، الهـدف الـذي يبغي الوصول اليه.

انطلاقاً من ذلك، استقل نواف الباخرة، التي كانت من أكثر وسائل النقل رواجاً في تلك الفترة، في شهر سبتمبر من سنة ١٩٥٣. ولم يكن ارتياد البحر سهلاً في أي يوم من الأيام وكأنه مع العذاب والمعاناة على موعد. هرب من عذاب الظروف القاسية في الجبل، فتلقفه عذاب البحر خلال ثمانية وعشرين يوماً قبل أن يبدأ رحلة العذاب في بلاد المهجر، وخاصة في البرازيل التي تصعب لغتها أولاً على شاب جبلي، عربي، ولو كان طموحاً مغامراً، كنواف. إلا أن وجود بعض الأقارب هناك خفف عليه الكثير من المتاعب وقساوة العيش.

تجول بين البيوت لأشهر ثلاث، وطرق الأبواب عارضاً بضاعته التي يحملها في «المحفظة»، لكنه لم يستطع تحمل هذه المهنة، فطلب من أقاربه افتتاح دكان صغير ليمارس فيه عملية البيع المستقر، باعتبار أن الانسان في ذلك الوقت كان باستطاعته أن يأخذ البضاعة من التجار، ويؤمنوا له بصورة غير محدودة. وقد كانت هذه العملية أهون بكثير من التجول في الشوارع والبيوت. وهكذا كان.

تطورت عملية البيع بعد فترة قصيرة، وأصبح الاسم معروفاً جداً، وازدادت ثقة التجار به نتيجة الصدق في العمل والمعاملة الحسنة. وعندما استحدثت البلاد بعد مرحلة عاصمة جديدة في منطقة أخرى، انتقل اليها نواف غزالة، وحقق فيها نجاحاً واسعاً باعتباره أول انسان عربي دخل هذه العاصمة، برازيليا.

توسعت التجارة وتحسنت الأمور فيما بعد عبر محلات أربعة في الشارع العمومي، بالإضافة الى مطعم واسع، كبير الحجم، و«موتور» لتوليد الطاقة نظراً لعدم وجود الكهرباء. وكانت الأمور والأحوال تسير من حسن الى أحسن، وأصبح عنده ستون عاملاً يمثلون القوة المنتجة في المعمل الذي يملكه.

لقد احتل الوطن في نفس نواف غزالة ـ ككل مهاجر ـ مكانة خاصة،

وكان الحنين اليه هو الهاجس الدائم الذي لا يفارقه، وليس هناك من قدرة على النسيان، وذلك بعد أن تركه في مرحلة صعبة خلال حكم الشيشكلي للقطر العربي السوري وللجبل خاصة، على أثر انقلاب عسكري هو الثالث من نوعه في سوريا في شهر كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٩، واستمر حتى الخامس عشر من شباط/ فبراير ١٩٥٤.

**فمن هو أديب الشيشكلي؟ ولماذا اغتاله نواف غزالة؟.**

ولد أديب الشيشكلي في مدينة حماه عام ١٩٠٩. كان عقيداً في الجيش العربي السوري عندما قام بحركته الانقلابية عام ١٩٤٩. وله سبعة أبناء هم: إحسان، وموفق، وسمير وسهير، وسميرة ونوال ومنور. وصهره زوج كريمته عقيد سابق في الجيش السوري أيضاً يدعى فيصل الشيشكلي، وهو أول من تلقى نبأ اغتيال عمه في البرازيل، عبر اتصال تلفوني خاص. حكم أديب الشيشكلي دمشق أربع سنوات كانت حافلة بالأحداث. كما كان منزله في آخر منعطف شارع «أبو رمانة» في دمشق.

وفي كتابه «عشرة من الناس» كتب عنه الصحافي زهير مارديني قائلاً: «لم يسمح الشيشكلي لأحد في عهده أن يكون من لاعبي الأدوار الأولى، ولا من الرجال البارزين، فكان يحب التافهين والمشبوهين ويتعاون معهم، ويوسعهم شتماً وتحقيراً وإهانة على مرأى من الناس... لقد كان يشرب ويشتم ويهزأ...».

وعن الشعب العربي السوري كان الشيشكلي يقول: «إن هذا الشعب لا يستحق الاهتمام، فهو يحب الكلام، أما الأفعال فلا يفكر بها». «لذلك تخلى عنه الناس والجيش والأصدقاء في السنة الأخيرة من حكمه، ولم يبق معه أحد». ومن هذا المنطلق أراد إذلال الشعب في جبل العرب وإبادته، ولا فرق عنده بين طفل وامرأة وشيخ. وعندما رفض «أب الثوار» في جبل العرب سلطان، أن يذل لطاغية كالشيشكلي، التجأ الى منطقة الأزرق والجزيرة العربية ليعاني الجوع وشظف العيش مفضلاً الموت على الذل والإذلال. وفي

عهد الشيشكلي أيضاً، أغلقت الحدود مع لبنان والأردن والعراق أكثر من مرة، ولو كانت لسورية حدود مع مصر لظلت مغلقة طيلة حكمه. . . وفوق ذلك كله، أعطى أوامره بسفك دم الأطفال وهتك الأعراض، وتدمير جبل العرب وعاصمته السويداء، وإزالتها من الوجود، لكي يعمر مكانها ـ كما قال ـ جامعاً يمارس فيه الصلاة، وكأن كل جوامع دمشق وحماه وحمص وحلب لم تكفه لممارسة صلواته، واضعاً نفسه في مكانة «النبي محمد» ﷺ وخلفائه الراشدين. وعندما يذرك الجميع بأن أديب الشيشكلي خطف خطيبة ابنه من فرنسا وتزوجها في البرازيل، يؤكدون أنه لن يتورع عن القيام بكل الرذائل والمساوىء بحق الآخرين، وخصوصاً نساء جبل العرب.

وفي الوقت الذي صمم فيه على تنفيذ قراره القاضي بتدمير الجبل وإزالة السويداء، أرسل دباباته لتحقيق ذلك. وما إن وصلت الى مدينة شهبا حتى سقط الثلج الذي وصل ارتفاعه للمرة الأولى في تاريخها حتى المتر ونصف المتر، وأقفلت الطرق.

ويعتبر سكان الجبل أن سقوط الثلج وقطع الطريق على الدبابات والحملة الشيشكلية، هو عمل رباني، لأن الله حق، ولن يتخلى عن المظلومين مطلقاً، ولا يريد الذل والإذلال لأبناء الجبل العربي على يد سفاح ومجرم وفاسد كالشيشكلي.

أما لماذا اغتال نواف غزالة أديب الشيشكلي، فإنه يقول: «إنني ابن الشعب، وقد أصدر هذا الشعب قراره بإعدام السفاح الشيشكلي، وكان لي شرف تنفيذ هذا الحكم، لإنقاذ البشرية من شره وفساده، لأنه معاد للإنسان أينما كان. ورغم أن الكثيرين من جبل العرب حاولوا اغتياله ولحقوا به الى دول عديدة. وكان من بين هؤلاء زيد الأطرش المشهور برمي المسدس، ولقد التقى به مرات عدة، إلا أن المجال لم يسمح له بتحقيق هدفه، فقد كان حظي أوفر من حظ هؤلاء جميعاً، وكان الله الى جانبي، فنجحت».

ولكن لابد من الإشارة الى نقطة جوهرية، وهي أنني لم أثأر لكرامة

شخصيـة، ولا لكرامـة طائفيـة فقط. بل كـان عملي يتمحور حـول الكـرامـة العربية والانسانية بأجمعها، بـاعتبار أن الشيشكلي أسـاء الى الانسان العـربي في جبـل العـرب، والى كـل انســان أينمـا كـان، بعــد أن مثـل أداة في يــد الاستعمار والرجعية، معادياً لكل ما هو تقدمي ووطني وعروبي وإنساني.

وبالطبع ـ يضيف نواف غـزالة ـ عنـدما كنت في البـرازيل، كنت أتـابع الأحداث المتعلقة برجالات سوريا المكـرمين، وبالشعب السـوري المحترم. كنت أستقي هذه الأخبار بدقة. وكنت من الجماعات التي تـطلع على كل مـا يجري وتراقبه عن كثب، باعتبار أن دمنا العربي لم يتغير ولن يتغيـر بين ليلة وضحاها، ولو كانت المسافة بعيدة جداً بين الوطن العربي والبرازيل.

ولما هرب الشيشكلي من سوريا، التجأ الى المملكة العربية السعودية، التي لم تقبـل به ولم تستقبله على أراضيهـا، فذهب الى فـرنسـا حيث كـانت خطيبة ولـده «موفّق» تتلقى علومهـا هناك. أخبـرها بـأن خطيبهـا في البرازيـل ويريد اصطحابها اليه. إلا أن خطيبها لم يكن هناك وإنما كان في سوريا.

صدقت خطيبة ابنه قوله وذهبت معه، فتزوجها بعد وصوله. وهـذا دليل ساطع على استمراريته في الرذائل والمساوىء، البعيدة كل البعد عن العادات والتقاليد العربية النبيلة والشريفة. وعندما علم ولده موفق بالأمر، تـرك سوريـا الى البرازيل. وقد حصل خلاف كبير بين الاثنين بسبب هـذه الأنثى، بعد أن رأى موفق خطيبته قد أنجبت من والده ولداً. وقد تمكن الوالـد من طرد ولـده الى خارج الولاية.

كان الشيشكلي عند وصوله الى البـرازيل، قـد سكن في منطقـة تدعى «سيـرس». وبقي ما لا يقـل عن سبع سنـوات يتـردد الى بـرازيليـا التي تبعـد حوالي ألف كلم، أي ما يعادل عشر ساعات في الباص. كان يتـردد الى منزل لأحد إخواننا المسيحيين الذي يتمتـع باحتـرام وتقديـر الجميع نـظراً لمكانتـه وسلوكه ومعاملته اللائقة. وكان صاحب هذا المنزل قد دخل الى برازيليـا بعد وصولي اليها بفترة قصيرة، ومن بعدنا بدأ رجال العرب بالدخول اليها.

وفي هذا البيت كان الشيشكلي يلتقي بكثير من أبناء الجالية السورية واللبنانية، حتى أنه يلعب الورق معهم. وكثيراً ما كنت ألتقي به هناك، إلا أنني لم أكلمه مرة ولم أرض مجالسته مطلقاً، مما دفعه أن يسأل صاحب البيت بهذا الصدد قائلاً: غريب أمر هذا الرجل، فإنه لم يكلمني مرة ولم يرض بالجلوس معنا، مع أننا من بلد عربي واحد، والكثير من جماعته الذين نلتقي بهم يختلفون عنه كثيراً، فهم يتحدثون ويلعبون ويسهرون معي بكل سرور. فأجابه صاحب البيت: ان نواف هو رجل أعمال، ولا يفكر إلا بعمله.

ويضيف نواف قائلاً: لقد مضى ست أو سبع سنوات ولم يكترث أحد لأمر الشيشكلي، ولم يتعرض خلالها لأي سوء. بعد ذلك، صدر عفو من قبل السلطات السورية عن كل السياسيين السوريين المنفيين في الخارج، وكان من بينهم بالطبع أديب الشيشكلي. ونقلت صحافة العالم بأجمعها هذا النبأ. وقد قرأته شخصياً في بعض الصحف.

كنت منزعجاً إزاء ذلك، ولم ترتسم في مخيلتي ساعتذاك إلا الاضطهادات والتنكيل الذي تعرض له الشعب السوري عامة وأبناء جبل العرب خاصة على يد هذا المجرم السفاح الذي خرب بيوت الناس وقتل الأبرياء وأذل الشعب السوري، ولطخ يديه بدم الشرفاء، وأساء مع عملائه الى نساء جبل العرب وأطفاله. لقد تأثرت جداً لذلك، إلا أن شغلي وعملي كان يأخذ مني كل الوقت والجهد.

وعندما مررت بعد مدة الى منزل صاحبنا في برازيليا، فاجأني أثناء الحديث بقوله: «هل علمت أن أديب الشيشكلي جهز أمتعته وعزم على ترك البرازيل والسفر الى سوريا بين يوم وآخر؟» عندها شعرت بأن دواراً أصابني، ولم تعد الأرض تسعني، إلا أنني تمالكت نفسي دون أن أشعره بقلقي واضطرابي وأجبته بقولي: «اذا عاد الى سوريا، فإنه يعود الى بلده».

وأول ما خطر في بالي تلك اللحظة هو أن سوريا وجبل العرب قادمة

على أخطر مرحلة في تاريخها، لم تشهدها حتى في ظل الأتراك والفرنسيين، وليست أقل سوءاً من تلك التي عرفتها أثناء حكم الشيشكلي، اذ أن الحكومة السورية لم تصدر قرار العفو هذا لو لم تكن راضية عنه وبالتالي عن ممارساته السابقة. وماذا سيكون مصير الأطفال والنساء اذا وصل الشيشكلي الى سوريا؟ وهل سيبقى أطفال ونساء في جبل العرب بعدئذ؟ إزاء ذلك، صممت على قتله مهما كان الثمن، ولم أتأسف على شيء. وعزمت على أن أقصده مهما بلغت المسافة، والاقتصاص منه، دون أن أعلم أحداً بالموضوع حتى أقرب المقربين. ولو كان أخي (الذي هو من أمي وأبي) هناك، فقررت أن لا أخبره حتى لا يخفف من عزيمتي ويثنيني عما أنا عازم على القيام به. ولكي يكون لي بالتالي شرف اغتياله. ماذا فعلت؟ وكيف نجحت في تنفيذ الإعدام بالسفاح؟ وماذا كانت النتيجة؟ وما هي أسرار هذه العملية؟.

«وهي أسرار لم يعرفها أحد على وجه الأرض حتى هذه اللحظة».

وهكذا يجب أن تقال كلمة الحق ولو على حبل المشنقة...

يقال بأن «الثورة يخطط لها العقلاء، وينفذها الأبطال، ويستغلها الجبناء»، فكيف اذا كان المخططون والمنفذون شخص واحد اسمه: نواف غزالة؟ لقد كان عمله البطولي في اغتياله للمجرم الدولي أديب الشيشكلي، «ثورة عربية وإنسانية» في قلب أميركا اللاتينية.

**كيف كان ذلك؟ وما هي أسرار هذه العملية ـ الحدث؟.**

من هذا المنطلق، ليس هنا أصدق من الانسان المنفذ نفسه، يتكلم عن أدق التفاصيل وأهم الأسرار: إنه نواف غزالة الذي يقول: في صباح يوم السبت الموافق في السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٣، تركت العاصمة برازيليا الى «سيرس» لتنفيذ الحكم القاضي بإعدام السفاح الشيشكلي، إلا أن الحظ لم يحالفني في ذلك اليوم ولم ألتق به، حتى كان مساء اليوم التالي، الأحد في ٢٧ سبتمبر، في الساعة الخامسة والنصف من بعد الظهر،

وعندما التقيته، ناديته عن بعد عشرين متراً تقريباً وقلت له: «يا أديب. . . مجهز شنتاتك وبدك ترحل على سوريا. أنا من رأيي أنو تظل في هالبلاد. أما اذا ما ردت أنو تسمع هذا الحديث، فهذي الساعة يا إلنا يا إلك، وانقدر الله ما بترجع على سوريا وأنا طيب».

كان أديب الشيشكلي يحمل على وسطيه مسدسين. فشهر مسدس الجانب الأيمن، وهمّ بإطلاق النار عليّ. إلا أنني كنت أسرع منه، ورميته طلقة أولى من مسدسي في كتفه، فوقع مسدسه من يده، ثم رميته بطلقتين أخريين في صدره، فسقط أرضاً. عندها تقدمت نحوه وقلت له: «خذ هذه بعد، هدية من أبو طلال سلطان باشا الأطرش» وأفرغت في صدره الطلقتين الباقيتين. مع أن المسدس يتسع لأكثر من طلقات خمس، إلا أن حشوه بخمس رصاصات كان سراً هاماً يرتكز على إيمان عميق وعقيدة راسخة. كما كنت مصمماً إن كان لا يحمل سلاحاً، سأرمي مسدسي وأقتله عراكاً.

وهنا لابد من الإشارة الى أن نواف غزالة حائز على الحزام الأسود في المصارعة الحرة من أكبر نادٍ رياضي في العاصمة البرازيلية.

ويتابع نواف غزالة كلامه قائلاً: «يا سيدي، إن الذي يخاف، لا يخرج من بيته، لقد شعرت في تلك اللحظة بأنني أسعد انسان في الدنيا، والأرض بمساحتها الواسعة ليست أكبر مني. ويكفي أنني شعرت براحة ضمير لم أشعر فيها مرة في حياتي».

لقد تجمع حولي ما لا يقل عن ألف شخص يريدون تطويقي ريثما يصل البوليس. ورغم أنه لم يعد هناك أية طلقة في المسدس، فإني شهرته عليهم صارخاً ومهدداً حيث تمكنت بعدها من الفرار الى أحد الأحراج القريبة حتى هبط الليل وخف التجول. وقبل وصولي الى الفندق، مررت الى دكان صغير وحيد في البلد وسلمت المسدس الى صاحبه الذي هو صديقي، (لبناني من بلدة عين عطا) بعد أن أخبرته بالحادث، وضرورة إبلاغ البوليس عن اسمي وبأنني أنا القاتل اذا حاول ضربك أو إهانتك.

وعنـدما استقليت البـاص في اليوم الثـاني الى برازيليـا بعد أن أمضيت تلك الليلة في أحد الفنادق، حضر البوليس والمبـاحث البرازيليـة الى صديقي اللبناني صاحب الـدكان الـذي أودعت عنده مسـدسي، باعتبـار أن السلطات البرازيلية كانت تظن بأن الدروز هم وحـدهم وراء عملية اغتيـال الشيشكلي. وعندما لم يعترف في البدء بأنه هو القاتل، عمدوا الى ضربه وإهانته حيث لم يبق أمامه إلا تنفيذ ما اتفقنا عليه، وبالتالي إبلاغ البوليس بأن القاتل هو نـواف غزالة وليس أي شخص آخـر. وكان مصـرع الشيشكلي في الشارع العمـومي في مـدينة سيـرس بالقـرب من نهر «داس المـاس» الذي يـربط مدينـة سيرس ببلدة «ريالما». وقد نقلت جثته فيما بعد الى دمشق.

ويضيف نواف غزالة قائلاً: «وقبل أن أصـل الى برازيليـا كانت الأخبـار قـد انتشرت في طـول البلاد وعـرضها، وكـذلـك في جميـع أنحـاء العـالم. بالإضافة الى أن الإذاعة البرازيلية كانت قد ذكرت في نشراتها الإخباريـة اسم القاتل بالذات، كما أنها حددت مسكنه في العاصمة برازيليا».

وفي الـوقت الذي وصلت فيـه الى منزل أحـد أقاربي في بـرازيليا وهـو «معروف غزالة»، وجدت عنده عدداً من الشباب المجتمعين، وقد أنكرت في البداية حقيقة الأمر ثم اعترفت لهم بعدئـذ أثناء انتقـالنا في السيـارة الى ولاية أخـرى بقصـد تهـريبي، بعـد أن شهــروا عليّ السـلاح. إلا أنني ادّعيت في المحكمة بأنني أنـا الذي شهـرت عليهم مسدسي حتى لا يصيبهم أي مكـروه من قبل السلطات أو تحميلهم أية مسؤولية. والتجأت في الولاية الأخـرى الى مـزرعة تخص أحـد أقاربي ريثمـا أقضي فيها عـدة أيـام بعيـداً عن تحـريـات البوليس ومضايقاته.

في هـذه الأثناء كـان البوليس البـرازيلي قد حضـر الى منـزل «معـروف غـزالة» حيث وجـد أولاده الصغـار، يلعبـون، فسـألهم عن والـدهم، أجـاب كبيرهم بأن أبي أخـذ عمي نواف الى «بيلوروزنتي» (في ولايـة ميناس) وذهب معه عمي نواف الشريطي ومرهج هلال.

وفور عودة الشباب في اليوم التالي، كانت المباحث البرازيلية بانتظارهم فاعتقلتهم على الفور ونقلتهم الى ولاية أخرى تدعى «غوايانا» حيث سجنوا هناك. وبعد خمسة أيام، عندما فتحت جهاز الراديو، ذكرت نشرة الأخبار بأن قاتل الشيشكلي ما زال فاراً، إلا أن الذين قاموا بعملية تهريبه قد ألقي القبض عليهم ويقبعون الآن في أحد سجون ولاية «غوايانا»، ريثما يلقى القبض على القاتل. وبعدما سمعت بهذا الأمر، كان من الطبيعي أن أسلم نفسي للعدالة، رغم معارضة بعض الشباب والأقارب، ولكن بشرط توكيل محام قدير للدفاع عن قضيتي، حتى لا يبقى الآخرون في السجن ولا علاقة لهم مطلقاً بالحادث.

وعندما سلمت نفسي للعدالة، جئت الى «بيلوروزنتي» في ولاية ميناس، حيث كان الشباب قلقين جداً، والأخبار تلاحق بعضها البعض، أثناء ذلك كان الصحفيون يتواجدون ـ كالهواء ـ في كل مكان، حتى أن القاضي سألني أثناء المحاكمة: هل أنت نادم على ما فعلت؟ فكان جوابي له بالطبع، «لا يا سيدي». فإن مثل هذا المجرم لا يستحق الحياة، ووجوده عبء ثقيل على كاهل البشرية والانسانية بأجمعها، ولا يجب اعتباره إنساناً مطلقاً لأنه لا ينتمي الى طبيعة البشر، وهو خارج عن كل ما يمتّ الى الانسان والانسانية بصلة. وتأكد يا حضرة القاضي أنه لو قام عشرين مرة من الموت سأقتله، ولن أكتفي بذلك، بل سأشرب دماءه أيضاً حتى ولو كانت دماؤه فاسدة، لأنه يستمد وجوده وحياته من فسادها. فهو مجرم وسفاح وعميل، اغتصب النساء وسفك دم الأطفال وحلل إبادتهم كما ذلل الشعب السوري وشوه صورة العرب أمام العالم وفي قلب الوطن العربي. لقد طعن العروبة في قلبها وهو يدّعي حمايتها والتكلم باسمها.

بعد ذلك، نقلني البوليس الى السجن في ولاية «غوايانا» حيث يتواجد فيه المعتقلون من أقاربي الذين تولوا تهريبي من برازيليا. وكم كانت دهشتي كبيرة عندما وجدت الفرق واسعاً وكبيراً جداً بين غرفتي النظيفة المرتبة في

ذلك السجن، وبين غرف رفاقي الآخرين الذين وضع البوليس كل واحد منهم في غـرفة منفـردة لكي ينعدم أيِ اتصـال بينهم. وهـذا مـا دفعني الى السؤال قائلاً: لماذا تضعوني في هذه الغرفة النظيفة بينما تضعون أقاربي الآخرين في غرفة مختلفة وتفتقر كثيراً الى ما هو متوفر في غرفتي؟ أجابني مسؤول البوليس قائلاً: «لأنك سياسي عالمي». أجبته بقولي: «أنا سيـاسي عالمي؟ والله كثـر خيركم يا عمي وضعتمونا في هذه الغرفة على ما يبدو لأن ثيابنا نظيفة».

في نفس اليـوم، أطلق سـراح أقـاربي الـذين بـرئت سـاحتهم، وأخلي سبيلهم بعد أن رأى البوليس صدق الإفادة التي جاءت مطابقـة مع إفـادتي بناء على اتفاق مسبق بيننا.

بقيت في السجن مـدة أربع سنـوات أفرج عني بعـدها عن طـريق أحد المحـامين البرازيليين الكبـار الذي أوكلتـه للدفاع عن قضيتي واسمـه «بـاولـو باشيكو».

خلال هذه الفترة كان الأقارب والأصدقـاء يقومـون بزيـارتي بشكل دائم ومستمـر في السجن.. وكانـوا يكتبون الى الأخـوة الآخرين في فنـزويلا وفي جميـع الدول الأخـرى من أميركـا اللاتينيـة، يعلمونهم بـوجـودي في السجن ويجب أن يكونوا على إطـلاع كامـل على كل الأمـور والأخبار، والعمـل بكل الوسائـل لمساعـدتي وإطلاق سـراحي. وقد تجـاوب الجميع، إلا أن شبـاب فنـزويلا كـان لهم اليد الـطولى في هذا المجـال. بينما استغـل البعض الآخر قضيتي، وفقـدت كل شيء كنت أملكـه هناك، حيث أن المحـلات كانت من خشب، وهي بحاجة الى أن يبقى صاحبها دوماً فيها لـلإعتناء بهـا والمحافـظة عليها. يضاف الى ذلك، أن العمال أصبحـوا يتصرفـون دون حسيب أو رقيب بعـد أن علمـوا بـوجـودي في السجن، ومن الصعب أن أخـرج منـه في وقت قريب.

إلا أن معـاملتي في السجن كـانت ممتــازة جـداً، حيث سلمتني إدارة السجن الصيدلية الخاصة بـه، بمعنى أنني كنت ممرضـاً ومشرفـاً من الناحيـة

الصحية على المساجين وحراس السجن. وقد لعب الصحفيون دوراً هاماً فيما بعد عبر الكتابة المتواصلة عن قضيتي وبشكل إيجابي، حتى أن حاكم الولاية زارني مرات عدة في السجن وكذلك بعض كبار الشخصيات.

إلا أن نقطة جوهرية، شغلت تفكيري فترة من الزمن، تلك التي كانت تتمثل بالمحامي المدافع عن قضيتي. فقبل المحاكمة بوقت قصير، كنت أفكر بما سيقوله المحامي في مرافعته خاصة عن الشيشكلي، وهل سيركز على خطفه لخطيبة ابنه موفق ثم زواج ابنه منها، مع أن الاثنين لهما منها أطفال، أم لا؟ لم يكن أمامي إلا أن استدعيت المحامي الى السجن وسألته عن النقاط التي سيدرجها في المرافعة، فأجابني بأنه حصل على الاضبارة (السجل الشخصي) الخاصة بالشيشكلي من سوريا، وكذلك من منطقة سكنه في «سيرس» وسيركز على قضية خطف خطيبة ابنه بشكل أساسي باعتباره رئيس سوريا الأسبق.

عندها جاوبته بغضب وانفعال، اذا أردت التركيز على هذه النقطة، فلن أعتبرك من الآن وصاعداً محامي الدفاع عني. فأول ما سيتبادر الى أذهان الرأي العام العالمي بهذا الصدد، التفكير بأنه اذا كان رئيس سوريا يتصرف بهذا الشكل ويقوم بهكذا أعمال، فلن يلام الشعب اذا قام بأعمال مشينة ومنافية للآداب والسلوك العامة. فلذلك يجب أن تسلخه عن أصله العربي لأن ما قام به مناف تماماً للعادات والتقاليد العربية الأصيلة، ولم يخدم القضية العربية بأي عمل قام به، بل كانت أعماله كلها معادية للعرب والعروبة وتخدم بشكل رئيسي مصلحة الامبريالية والاستعمار. عندما فهم المحامي هذه الحقيقة اعترف بنوع من التقدير والاحترام قائلاً: «في الواقع يا نواف، بعد تعب عشرين سنة في ممارسة المحاماة تفوقت علي بعد عامين من وجودك في السجن. إنك أقدر مني فعلاً في هذه المهنة، ولقد غلبتني في تقديرك هذا».

وأثناء المحاكمة، وكان ابن الشيشكلي موجوداً في قاعة المحكمة، برهن المحامي «باولو باشيكو» للشعب بأن والد هذا الانسان قام بأعمال لا

تمت الى الانسانية بصلة، ثم أشار الى «موفق» ابن أديب الشيشكلي قائلاً: بأن هذا «الملعون» أيضاً تزوج امرأة أبيه - والتي كانت خطيبته في السابق - وأصبح لهما منها أطفال، ويجب أن يطرد من قاعة المحكمة، لأن العرب أشراف، وصفاتهم نبيلة وعاداتهم شريفة، بينما هؤلاء يمتون الى الأتراك والبرابرة ومعادون لكل ما هو عربي، ولن أرضى ببقائه في قاعة المحكمة بين البشر لأنه غير بشري، وشهر عليه مسدسه. فما كان من العسكر إلا أن اقتاده الى خارج القاعة بعد عملية التصويت التي انتهت بست أصوات لصالحنا من قبل المحلفين مقابل صوت واحد ضدنا، باعتبار أن لجنة الحكم كانت تضم قضاة سبعة. كان ذلك في الجلسة الأولى. أما في الجلسة الثانية، فقد استأنف محامي الشيشكلي، سابا، الحكم... حيث حكم علي ست سنوات وكان قد مضى على وجودي في السجن أربع سنوات، أخلي سبيلي على أثرها قبل انقضاء المدة المحددة نظراً لسلوكي ومعاملتي الحسنة وأعمالي البيضاء التي ساهمت في تخفيف مدة الحكم.

يضاف الى ذلك، أن الجنرال ديغول، رئيس فرنسا، كان قد أعطى شهادته بالعشيرة المعروفية أثناء زيارته للبرازيل خلال فترة المحاكمة رداً على سؤال طرح عليه. وكانت في الواقع شهادة حق لها تأثيرها وفعاليتها، حيث قال بالحرف الواحد: «إن هذه العشيرة من أشرف العرب وأكرمهم. بيوتها ومضافاتها فنادق مجانية ومقاهي مجانية. إنها تحب الحق وتموت في سبيله. لا تعتدي على أحد، ولا تنام على ضيم. تحمي الضيف والدخيل بالدم وتبذل الغالي والرخيص فداء كرامته، وحمايته واجب مقدس عندها. عاداتها وتقاليدها من أشرف العادات... حاربناها ولكنها هزمتنا. ولم يذلّ الجيش الفرنسي إلا أمام العشيرة المعروفية فقط، رغم كل الانتصارات التي حققها في أكبر المعارك المصيرية». هذه هي شهادة الرئيس ديغول. رحمه الله، فقد كان رجلاً صادقاً في شهادته أمام نفسه وأمام العالم. وتحشرجت الغصة في حنجرة نواف غزالة قبل أن يتابع كلامه قائلاً: إلا أن الدور الكبير والمهم هو ذلك الذي لعبه الرجل العظيم جمال عبدالناصر. هذا الرجل العظيم هو

الوحيد في العالم، في العالم كله، هو الذي أعطى صورة واضحة وتفصيلية عن أعمال السفاح أديب الشيشكلي. وكيف أذل شعبه وارتكب المظالم وانتهك الحرمات. . . لقد حطّمه في جميع اللغات. هذه هي الفائدة الكبرى والهامة التي عرّفت العالم عن تاريخ هذا السفاح، كما أعطى صورة واضحة بالمقابل عن جبل العرب وأبنائه. لقد كان واضحاً في شهادته وضوح الشمس.

لقد تأثرت كثيراً بالرئيس عبدالناصر، حتى منذ صغري، منذ الطفولة. وصممت أنه اذا جاءني ولد ذكر سأسميه «خالد» نسبة الى ابن عبدالناصر. فهو أول رجل نزيه منذ أن خرج الى العالم وقاد ثورته الكبرى في مصر ضد الظلم والطغيان والملكية، واستمر بنزاهته حتى ما بعد وفاته. وكنت أنوي زيارته في مصر، وأشكره، إلا أن الظروف ـ وخاصة الظروف المادية ـ حالت دون تحقيق أمنيتي.

وهنا لابد من الإشارة الى حدث هام له دلالته الكبيرة، ويستحق التسجيل. فعندما كانت كل سفارات العالم تتواجد في برازيليا، ومن ضمنها بالطبع، السفارات العربية، ولأننا مواطنون من الجالية السورية التي هي مع الجالية اللبنانية من أكبر الجاليات العربية. . . فقد كنا من المدعوين دوماً الى كل الاحتفالات والمناسبات التي تحييها هذه السفارات.

وعلى هذا الأساس وجهت لنا السفارة العراقية في البرازيل دعوة لحضور احتفال لها في «أوتيل الكارلتون» بمناسبة تبرع العراق بمبلغ ١٦٥ ألف دولار لمكتب «الفارابيا» (وهو مكتب لتعليم اللغة العربية في البرازيل في الوقت الذي تقدم فيه سوريا الأساتذة). لبّينا الدعوة، وكان يجلس الى جانبي السيد «فريد صوّان» مسؤول منظمة التحرير الفلسطينية مع عدد آخر من الشباب المحترمين الذين نقدرهم ونكنّ لهم احتراماً كبيراً. أثناء هذا الاحتفال، وقف أحد المدعوين وهو من إخواننا اللبنانيين من الطائفة المسيحية ـ ولكنه ذو اتجاه كتائبي واسرائيلي كما بدا من كلامه ـ وهو من

سكان ساوباولو، وألقى خطاباً ارتجالياً. وفي هذا الخطاب شتم الرئيس حافظ الأسد والشعب العربي السوري وذكر كلاماً لا يقال، كما شتم الوطنيين في لبنان. إزاء ذلك، تصديت له وشتمته بكلام قاس لأننا لم نتعود أن نسمع شتيمتنا في أذننا ونسكت، وتقدمت باتجاهه. إلا أن الأخ «فريد صوان» أمسك بي، مع عدد آخر من الحاضرين، ومنعوني من الوصول اليه، حيث كان يبعد عني ما لا يقل عن خمس أمتار، لكن كلامي كان مهيناً.

ثم جاء السفير العراقي ليخفف من غضبي وانفعالي، فقلت له، بعد أن أوقف هذا «الملعون» حديثه: «يا حضرة السفير، أنا أعرف كل العرف، لو أنه يتكلم خطياً، لما سمحت له أن يشتم أكبر زعيم عربي وجد على وجه الأرض، لأنك شخص عاقل ومحترم، ولن نلومك أنت، طالما أنه تكلم ارتجالياً». وانتهى الاحتفال بعد ذلك.

وبما أن السفير السوري لم يكن حاضراً في تلك الليلة، إلا أنه عرف فوراً بالأمر. وكان جوابه الى السيد «فريد صوان» أن أثنى عليّ وشكرني على هذا الموقف النابع من الايمان بالعروبة الأصيلة والدفاع عنها في أي زمان ومكان مهما كانت النتائج. فالدم لا يمكن أن يتحول الى ماء بين ليلة وضحاها. وما زالت دماؤنا دماء عربية وتجري في شرايين عربية، هي ذاتها دماء الشعب السوري ودماء سوريا، قلب العروبة النابض

والواقع أن رسالة بهذا الخصوص وصلت الى سوريا والى الرئيس حافظ الأسد وكبار المسؤولين السوريين، وقدروا موقفي كثيراً، كما وصلتني رسالة شكر أيضاً. إلا أنني مقتنع تمام الاقتناع بأنني قمت بواجبي الوطني ليس إلا، إن وصلتني رسالة أم لم تصل. وكلمة الحق يجب أن تقال حتى ولو على حبال المشنقة.

والحقيقة، عندما وصلت الى مطار دمشق بعد غياب اثنين وثلاثين عاماً في البرازيل، كانت الأمور مسهلة جداً، وكان استقبالي بترحيب كبير وتقدير أكبر، بالإضافة الى أن ثلاثة فصائل عسكرية من الجيش العربي السوري

كانت تنتظرني في المطار للحماية والمواكبة، وقد قامت بمهمتها على أكمل وجه. . وكان لكل ذلك أثره الكبير في نفسي وأنا أشكرهم جداً على هذا الموقف. ولابد من الإشارة هنا الى أنه أثناء وصولي الى امستردام في طريقي من البرازيل الى سوريا، ألمت بي نوبة قلبية وأنا أهبط سلم الطائرة. فنقلت فوراً الى المستشفى حيث بقيت أياماً ثلاثة غائباً عن الوعي ـ ربما بسبب فرحي بقرب الوصول الى مسقط الرأس لأن الوطن هو أغلى ما يمكن ـ وهذا ما سبب قلقاً كبيراً للأهل والأقارب. . . وبعد أن علموا حقيقة الأمر، هانت المشكلة. وقد بقيت حوالي عشرين يوماً في امستردام، حيث نصحني الأطباء أن لا أكمل طريقي الى سوريا لأن الفرح بلقاء الأهل والأصدقاء والوطن سيؤثر كثيراً على القلب. فسألتهم بدوري وهل يؤثر الحزن والزعل على القلب أيضاً، فأجابوني: بكل تأكيد. قلت لهم عندئذ: لقد استغرقت رحلتنا من البرازيل الى امستردام أربعة عشر ساعة في الطائرة، ولم يبق سوى أربع ساعات للوصول الى سوريا. فلن أعود الى البرازيل طالما أن الفرح هو «خيّ الزعل»، وصممت على العودة الى الوطن، وسأموت بين أهلي وعلى أرض وطني بدلاً من الموت في الخارج، خاصة وأننا نؤمن بأن الانسان لن يموت إلا عندما تحين الساعة، ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها، والأعمار في يد الله وحده.

وأخيراً رجعت الى أرض الوطن بعد أن مزق الحنين اليه، شراييني. وزحف الجبل كله لتهنئتي بسلامة العودة. وما أعظم الانسان عندما يشعر أنه جزء من شعب وأرض ووطن، وما أحقره بدون ذلك. إلا أن الغصة التي تشارك فرح نواف غزالة، هي عدم لقائه بالباشا، سلطان، الذي سئل مرة عن رأيه بنواف غزالة فقال: «ولدنا نواف وفقه الله. صحيح إننا نحن قمنا بثورة كبيرة وحاربنا وقاتلنا وتشردنا وجعنا وكسبنا شرفاً كبيراً. إلا أن نواف، حصل على كل هذا في لحظة واحدة، هي لحظة قتل الشيشكلي».

وانتهى اللقاء بعد أن ودعني نواف غزالة وهو يرفع إشارة النصر، وقد

حملني أمانة غالية الى الرئيس وليد جنبلاط، وهو يقـول: «سلام حـار من ابن سلطان الى ابن كمال. . . من ابن جبل العرب، الى ابن جبل لبنـان. . . من ابن سوريا العربية، الى ابن لبنان العربي. . . سلام من نواف غزالة الى وليـد جنبلاط وأبناء الجبل».

وتعهدت له بإيصال الأمانة.

وها أنذا: أشهد. . . إنني بلّغت.

# المراجع

١ ـ مقابلتان شخصيتان أجريتـا مع نـواف غزالـة: الأولى في بلدته «مَلَحْ» من محافظة السـويداء في سـوريا بتـاريخ يـوم السبت الواقـع في ١٥ أيلول ١٩٨٤، والثانية نهار الاثنين الواقع في ١٧ أيلول/سبتمبر ١٩٨٤ في مدينة السويداء، في منزل ابن عمه أبو بسام علي نايف غزالة.

٢ ـ زهيـر مارديني «عشـرة من الناس» الجـزء الأول. منشورات دار العـرفان. مطبعة دار الأبجدية. بيروت ١٩٧٥. ص ٥٥ ـ ٧٤.

٣ ـ نديم أبو اسماعيل «من أسرار أديب الشيشكلي» دون تاريخ، ودون تحديد دار النشر ومكان النشر.

# الفصل السادس

## الفالاشا
## وأسرار عملية تهريب يهود أثيوبيا
## الى اسرائيل

انطلاقاً من المبدأ القائل بأن الجسم البشري لا يستطيع العيش بدون دم يمدّه بمقوّمات البقاء والحياة، فكذلك الحال بالنسبة لدولة الاحتلال الصهيوني التي يستحيل وجودها واستمراريتها وامتدادها السرطاني إلا عبر شلال الدم المتمثل بتوفير «العنصر البشري» لها، وصولاً لديمومة مشروعها القاضي باغتصاب الأرض وتشريد شعبها الأصيل وإحلال جماعات مكانه، لا لون لها إلا العنصرية، ولا طعم إلا الدم والمذابح، ولا رائحة سوى رائحة الصليبيين والمغول وشذاذ الآفاق. .

وعندما يستحيل وجود أكثر من وجه واحد للخيانة، يصبح من الضروري أن نشير الى ما يعبر عن هذا الواقع بوضوح من خلال التعبير الذي أطلقه القديس اغسطينوس: «أولاد الوحول»، لنصل الى نتيجة مفادها «أن ثمة رجال في هذا العصر لا يشبهون تماماً إلا المستنقعات الآسنة». .

وفي كل مرحلة من مراحل الهجرة المنظمة، يعتمد الكيان الصهيوني على المطايا العربية الرجعية التي تمتلك أهلية التواطؤ في خدمة الأهداف الصهيونية. . وليست عملية تهريب طائفة اليهود الأثيوبيين (المعروفة «بالفالاشا») الى «اسرائيل»، مع ما حملته من تواطؤ عربي على صعيد التنفيذ والتخطيط، إلا الدليل الساطع على ذلك.

فكيف تمت هذه العملية؟ وما هي أبعادها وأسرارها؟ . .

لا نـريد أن نـردد ـ قبل كـل شيء ـ مع بعض اليـائسين: «التاريـخ هـو مجرد خدعة يصنعها اللصوص والقتلة»، ولكننا في الحقبة المعاصرة كنا أمـام أكثر من واقعة تشهـد كيف أن اللصوص كـانوا يقتـطعون أجـزاء من تاريخنـا، وهي أجـزاء من لحمنا. . ففي عـام ١٩٤٨، نظمت الحـركة الصهيـونية عبـر أدواتهـا، وبموجب اتفـاق سرّي مـع السلطات الأميريـة الرجعيـة في عـدن، عمليـة تهجير (٤٣) ألف يهـودي يمني، أطلقت عليها الـوكالـة اليهوديـة اسم «البسـاط السحري». وفي عـام ١٩٥٠ قام «نـوري السعيد» في العـراق بدور «علي بابا» ـ والعملية عرفت بـذلك الاسم آنـذاك ـ لتهريب أكثـر من مئة ألف يهـودي عراقي الى «اسـرائيـل»، التي كـانت تبحث عن كميـات اضـافيـة من الـدم. ومنذ ذلـك الحين، وثمة أكثـر من «علي بابـا» يتولى تهـريب الدم الى داخـل «اسرائيـل». وفي عام ١٩٦٣، أنجـزت المنظمـة الصهيونيـة العـالميـة عملية تهجير عشرات الآلاف من اليهود المغاربة عبر البحر والبر، وعرفت في الوثائق الصهيونية بعملية «ياخين» حيث جرت بمنتهى السرّيـة. . . وفي الفترة الأخيرة من بداية عام ١٩٨٥، كنا أيضاً أمام احدى صفقات العار، عندما قـام الـرئيس السوداني جعفـر النميري ـ أو «بـابـا جعفـر» كمـا يـطلق عليـه الآن ـ بتهريـب أكثر من الدم الى «اسرائيل»، وكأنـه يهنىء دولة الاحتـلال الصهيوني ويعيّدها بمناسبة حلول العام الجديد، ولم يجد أمامه «هـدية» يقـدمها لهـا إلا «الفالاشا». وقد أطلق على هذه العملية اسم «عملية مـوشي» تخليداً لمـوشي ديـان الذي كـان أول من فكر بنقـل «الفالاشـا» من شمال غـرب أثيـوبيـا الى «اسرائيل». .

فمن هم يهود «الفالاشا» هؤلاء؟ .

ان مؤامـرة تهريب يهـود أثيوبيـا عبر أراضي السـودان هي مؤامرة دوليـة التخطيط وإقليمية التنفيذ. . ففي ١٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٣، أي قبل عام تقريباً على «عمليـة موشي» صـادق مجلس الشيوخ الاميـركي على قرار يـدعو الرئيس «رونالد ريغان» الى مساعدة اليهـود في أثيوبيـا على الهجرة، وأعـرب

عن قلقه على مصيرهم. هذا في الوقت الذي كانت فيه «اسرائيل»، بالإضافة الى جماعات يهودية في الولايات المتحدة، تتهم حكومة اديس أبابا بممارسة التمييز العنصري ضد اليهود زمنعهم من الهجرة. مع أن هذا القرار كان يسري على كل الأثيوبيين دون استثناء، وهذا ما اعترفت به مؤخراً وسائل الإعلام الغربية..

وفي اكتوبر ١٩٨٤، لم يجد الكونغرس الاميركي سوى الجانب اليهودي من كارثة الجوع، فأقر إنشاء صندوق خاص بتوطين اليهود الأثيوبيين السود في «اسرائيل»، في إطار برنامج المساعدات الخارجية البالغ (١٤) مليار و(٣٠٠) مليون دولار، وقد وقع الرئيس ريغان بسرعة قياسية على هذا القرار، لكن الصفقة كانت قد عقدت مع الخرطوم في العام الماضي. حتى أن مجلة «اكتوبر» المصرية ذكرت في بداية آذار/مارس ١٩٨٤، أن آلاف اليهود الأثيوبيين يهاجرون عبر الأراضي السودانية، فكان أن سارع وزير الخارجية «محمد ميرغين» الى نفي ذلك..

لكن العمليه انفجرت إعلامياً في ٣ يناير ١٩٨٥، عندما كشفت تل أبيب عن جوانب مثيرة من المسألة. وبالرغم من أن مجلة «الهدف» الناطقة بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، كانت أول صحيفة عربية تشير الى هذه العملية عبر زاويتها الإخبارية المعروفة «تحت المجهر» بتاريخ العاشر من ديسمبر ١٩٨٤، إلا أن القصور العربي كان مخيفاً، حيث لم تنفجر المسألة عربياً، إلا في الثالث من يناير ١٩٨٥، بعد فضحها صهيونياً، خاصة وأن مجلة «الاكسبرس» الفرنسية كانت قد نشرت في عددها الصادر في ٢١ ديسمبر تحقيقاً عن «السبط الاسرائيلي الثالث عشر» أشارت فيه الى أن عملاء اسرائيليين قاموا خلال الأشهر الأخيرة بالتعاون مع السودان وجيبوتي بعملية بالغة السرية أدت الى نقل آلاف الفالاشا الى «اسرائيل»..

من هنا يبدو بأن المسألة أثيرت في الإعلام الغربي في الحادي والعشرين من شهر كانون الأول/ديسمبر، ولم تصل الى الإعلام العربي إلا مساء

الثالث من يناير ١٩٨٥. ولو لم يصل الينا الخبر سيراً على الأقدم، لما كان قد تأخر حتى هذا الوقت.

لكن الوجه المثير الآخر في العملية هو أن الملياردير السعودي «عدنان الخاشقجي» ساهم أيضاً بأعمال الوساطة، حيث التقى مسؤولين أميركيين واسرائيليين، وبحث معهم في كل التفاصيل الآيلة الى نجاح الصفقة. مع العلم أن «الخاشقجي» منح امتيازات واسعة في السودان للتنقيب عن النفط والثروات الطبيعية الأخرى. انه حوار الصفقات على كل حال، والجوعى سرعان ما يتحولون الى قتلة. وعرفان الجميل سيدفع «الفالاشا» الى الاستماتة في سبيل الكيان الصهيوني، حيث سيحتلون الدرجة الثانية ويتراجع العرب الى الدرجة الرابعة. هذا بالإضافة الى أن «اسرائيل» ستعيد تصديرهم الى أفريقيا خبراء وعسكريين وجواسيس لا يثيرون الريبة ولا الحساسية العرقية، كما سيتحولون جسراً لعبور «اسرائيل» الى عالم السود الاميركيين. ولعل الخطير هنا هو إشارة طلع بها أحد أركان «غوش أمونيم» وكشف عنها مؤخراً تقول بتوطين اليهود الأثيوبيين في جنوب لبنان، كما طالب الليكود أيضاً ببناء مستوطنات ليهود «الفالاشا» في هذه المنطقة..

في الواقع، كان يهود «الفالاشا» منسيّين، وفجأة تعرّف عليهم العالم عندما سربت اسرائيل معلومات عن الجسر الجوي الذي نقل الآلاف منهم الى دولة الاحتلال. ما حصل اذن بالنسبة الى «الفالاشا» كان جزءاً من الصفقة الكبرى؛ والإعلام الغربي الذي يثبت يوماً بعد يوم ارتهانه لقيم القرن التاسع عشر، هلّل للعملية. البعض أشار الى هذه «الصفقة الحضارية». فما حدث هو نوع من الصلح الحضاري بين عرب ويهود، يتجاوز كل الاعتبارات السياسية والعسكرية التي لم يخمد أوارها منذ حوالي القرن. حتى أن الرئيس الفرنسي «فرنسوا ميتران» صفق لهذه المغامرة الانسانية الخلّاقة على حد قوله. وبالطبع فإن لكل واحد أسبابه الخاصة، لكن اللافت هنا أن الغرب المسيحي وقف مكتوف الأيدي أمام عشرات الآلاف من المسيحيين الأثيوبيين

أو غير الأثيوبيين الذين يموتون جوعاً؛ لا بل إن الولايات المتحدة التى تعتبر نفسها امتداداً للإمبراطورية المسيحية الأولى (حسب كتاب آرثر بيلو/ محاكمة أخيرة للشيطان) أحرقت فائض القمح عندها حفاظاً على التوازن في الأسعار ولم تبعث سوى بالمساعدات الرمزية والمتأخرة لمسيحيّي أثيوبيا.

«لا بأس أن يموت المسيحيون»، هذا ما يحصل فعلاً، ولم يكن الأمر يتطلب أكثر من مساعدات غذائية، المهم أن ينجوا اليهود، والحقيقة اننا أمام «اللامعقول الغربي» بكل معنى الكلمة، اننا أمام «اللامعقول العربي» أيضاً..

في كل الأحوال، ان «اسرائيل» هي المستفيدة. فثمة تحليل آخر لصحيفة «هآرتس» تحدث عن التقشف الذي لم يعد وقفاً على الاقتصاد: «اننا أمام مرحلة من التقشف التاريخي والثقافي والبسيكولوجي». وفجأة برز اليهود السود كما لو أنهم أتوا بالخلاص، مع أنهم يعيشون منذ (٢٥) قرناً تقريباً على هامش اليهودية. حتى أن «يسرائيل يشايا هو» وهو رئيس سابق للكنيست، وصل الى حدّ إسداء النصح لهم «بتسوية مشكلاتهم عن طريق اعتناق المسيحية». والدراسات اليهودية التي وضعت منذ بداية هذا القرن حول يهود القارة الأفريقية تعاملت مع يهود الحبشة على أنهم «خوارج» ما برحوا يعملون تمزيقاً بالتراث اليهودي الأصيل. لم يعترف بهم أحد، لكن اذا كان بعضهم قد تسرب الى «اسرائيل» وانخرط في الجندية فقد تشكل ما يمكن تسميته بـ «اللوبي الحبشي» في الجيش الاسرائيلي. وبالطبع، ثمة أسباب سياسية أخرى، منها الرد على الاتهامات التي توجه الى الصهيونية باعتبارها حركة عنصرية، كانت وراء القرار الذي اتخذه الحاخام السفارادي الأكبر «أوفاديا يوسف» باعتبار الفالاشا جزءاً لا يتجزأ من الشعب اليهودي..

انهم يدّعون بكونهم حفدة ذلك الزواج الذي عقد بين الملك سليمان وبلقيس، ملكة سبأ، في القرن العاشر قبل الميلاد، وكان نتاج هذا الزواج الملكي ولداً دعي «مينيليك» تحدّر منه يهود الحبشة الذين وصفوا «بالسبط المفقود». واذا كانت التوراة لا تعترف إلا بأثني عشر سبطاً، فإنهم السبط

الثالث عشر الذي يتألف من (٢٥) ألف شخص يعيشـون في منطقـة «غونـدار التيغرية». وهنا قد تكـون العودة مفيـدة الى ما كتبـه الانترويـولوجي اليهـودي «ابـراهام مـزاري» حول ضـرورة الابتعـاد عن «هؤلاء الشيـاطين». قـد يكـون «مـزاري» على استعداد لـلإعتـراف بيهـوديـة الفـالاشـا (اي الغـربـاء بـاللغـة الامهـرية)، لكنهم اليهـود الذين استقـر الشيـطان في أعمـاقهم فتحـول لـون بشـرتهم الى الأسود. من هنـا كانت الـدعـوة الى الابتعـاد عنهم كي لا تحـل اللعنة على «دولة اسرائيل». ولا شك أن هناك الكثيرين في «اسرائيل» يصفون الفالاشا باللعنات السوداء، وإن كان الحاخامات قد خرجوا بفتوى لتجاوز هذا الهاجس..

الغرب أثنى على تلك المغامرة الانسانيـة لكن الكثيرين من «الفـالاشا» يعتقدون، وأمام تلك الصدمة الثقافية الهائلة، انهم ينتقلون الى الموت، فثمّة حياة أخرى، ومعظمهم سمعوا «بإسرائيـل»، لكنهم لا يعرفـون أين تقع. أمـا «أرض الميعاد» بالنسبة اليهم فليست موجودة في هذا العالم. و«مزاري» يدعو الى إبقائهم بين الحشائش وفي أكواخ الطين الأثيوبية..

اضافة لذلك، فإن أحدهم ويدعى «هالبـر» أشار الى أن «اليهـود البيض يعـاملوننا على كـل حال، كـالحشرات، حتى أن اثنين انتحـرا في بئر السبـع وعسقلان، احتجاجاً على هذا الشظف القسري». وفي نظره، فإن الفالاشا لم يكونوا يعيشون في ظروف أفضـل في بلدهم الأم، لكنهم لم يكونـوا يشعرون بذلك التفاوت الطبقي الرهيب، فهم يرغمون على احتراف مهن لا يحبـونها، وعلى تلقّف ثقافة لا يستسيغونها أبداً. «والحقيقة اننا نعامل كزنوج أميركـا قبل مجيء ابراهام لنكولن».

لكن الفالاشا، وعلى الرغم من هذا الشقـاء الكبير، يفـاخرون بكـونهم اليهـود الحقيقيين: «لقد أخـذنا لـون الدهـور» أي اللون الأسود، بينمـا اللون الأبيض هـو لون طـارىء ومصطنـع و«سريـع الزوال». كمـا أن الأرستقراطيـة الاسرائيلية الراهنة «منـاهضة لله» أمـا هم فأحفاد أرستقراطيّي أورشليم الـذين

رافقوا الأمير مينيليك منذ ثلاثة آلاف عام تقريباً . .

إزاء ذلك، لم يتوان «أفنون دانكز» أحد كتاب صحيفة «هآرتس» الصهيونية، عن نشر مقال وصف فيه اليهود الشرقيين بـ «القرود». وقال فيه أيضاً: «أرفض أن أسمّي الآخرين إخوتي. فهم يضعونني في قفص مع قرد متوحش، ويطلبون مني أن أتشاور معه. اعذروني إن لم أستطع، فهذا القرد يعض رقبتي». وأدان دانكز «التصرف البربري الحيواني لتلك الجماعات الحاقدة التي تتصدى دون تمييز للتظاهرات السلمية».

ولعل الأكثر إثارة هو أن اليهود الذين هاجروا من دول عربية هم الأكثر رفضاً ليهود أثيوبيا. فمنذ عام تقريباً، واجه «اليهود العرب» في صفد بالهراوات مجموعة من عائلات الفالاشا التي جيء بها لتسكن في المدينة. المعترضون رفعوا شعارات تندد بهؤلاء الذين جيء بهم لتلويث «أبناء الله». وعلى كل، فالملاحظ أن الصحف اليهودية وإن امتدحت بالكلمات الفضفاضة هذه «العملية الانسانية»، أشارت، من طرف خفي، الى الدور المحتمل لهؤلاء القادمين الجدد في الدفاع عن «اسرائيل». بعبارة أخرى أن على اليهودي الأبيض أن يفهم أن ثمة يهودياً أسود سيحل محله في الخط الأمامي، وهو ما يسميه زئيف شيف بـ «خط القتلى».

وبالفعل، فإن الأماكن التي يتم توطينهم فيها تحمل دلالات معينة، وإن كان الأرثوذكسي اليهودي «داڤيد شلومو» يرى في العملية إضافة كمية أخرى من البؤس الى البؤس الاسرائيلي . .

ونجحت في النهاية «عملية موشي» ونقل آلاف اليهود الأثيوبيين على متن طائرات شركة «ترانس أوربيان ايروايز» التي يملكها يهودي بلجيكي يدعى «جورج غرتومان» وقد تقرر اختيار هذه الشركة للقيام بتنفيذ العملية لأنه توجد لمديرها علاقات جيدة مع النظام السوداني. كما لعب «أبي ناثان» اليهودي التائه على ظهر سفينته في البحر المتوسط، والملقب «بحار السلام»، دوراً مهماً أيضاً في هذا الموضوع . .

إلا أن ما يجب قوله أخيراً، أن هؤلاء الذين عبروا السودان فوق جثة رجل اسمه جعفر النميري، وربما فوق جثث حكام عرب عديدين، قد نجدهم ذات يوم في الجنوب اللبناني الذي يمثل المتراس الأول في الدفاع عن العرب والعروبة، أو في أية منطقة محتلة أخرى غير الجنوب، وهم يطلقون النار على أطفالنا الذين لا يموتون جوعاً، بل يموتون عاراً..

ولكن هناك دائماً من هو مستعد لغسل العار. وليخبر حكام «اسرائيل» وجيشها الذي أصبح أكثر من نصفه، مجنوناً، هؤلاء القادمين الجدد، بأن أرض الجنوب ستكون لهم ـ كما كانت من قبل لكل الغزاة ـ مقبرة لا ترد أحداً.

# المراجع


١ ـ «الكفاح العربي» البيروتية. العدد ٣٤٠ ـ ١٠٢٣. الاثنين ١٤ ـ ٢٠ يناير ١٩٨٥. ص ٢٦ ـ ٢٩.

٢ ـ «الدستور» اللندنية. العدد (لندن ٣٥٧). الاثنين ١٤ يناير ١٩٨٥ ص ١٤ ـ ١٧.

٣ ـ «الشراع» البيروتية. العدد ١٤٨. الاثنين ١٤ يناير ١٩٨٥. ص ١٦ ـ ١٩.

٤ ـ «الأفكار» البيروتية. العدد ١٣٤. الاثنين ١٤ يناير ١٩٨٥. ص ١٦ ـ ١٧.

٥ ـ جريدة «السفير» البيروتية. العدد ٣٨٣١ و٣٨٣٢. الاربعاء والخميس ١٦ و١٧ ك٢/يناير ١٩٨٥. ص ١٤ و٦.

٦ ـ «الصيّاد» البيروتية. العدد ٢٠٩٨ و٢١٠٣. يناير ـ فبراير ١٩٨٥. ص ٢٢ ـ ٢٤.

٧ ـ «القومي العربي» البيروتية. العدد ٢٥٢. الثلاثاء ١٥ ك٢/يناير ١٩٨٥. ص ٣٦ ـ ٣٧.

٨ ـ «الموقف العربي» القبرصية. العدد ٢٢٢. الاثنين ١٤ ـ ٢٠ ك٢/ يناير ١٩٨٥. ص ١٨ ـ ٢٤.

٩ ـ «الوطن العربي» الباريسية. العدد ٤١٤. الجمعة من ١٨ ـ ٢٤ يناير ١٩٨٥. ص ٤٠ ـ ٤١.

١٠ ـ «كل العرب» الباريسية. العدد ١٢٥ الاربعاء ١٦ يناير ١٩٨٥.

ص ٢٨ ـ ٣١ و٣٩ .

١١ ـ «الأنباء» البيروتية . العدد١٥٥٣ . الاثنين ٢١ يناير ١٩٨٥ . ص ١٨ .

١٢ ـ «الحوادث» اللندنية . العدد١٤٧٢ . الجمعة ١٨ ك٢ / يناير ١٩٨٥ . ص ٣١ ـ ٣٥ .

١٣ ـ «الهدف» الدمشقية . العدد ٧٥٣ و٧٥٤ تاريخ ١٤ و٢١ يناير ١٩٨٥ . ص ٩ و١٣ و٢١ و٣٠ .

١٤ ـ «الموقف» البيروتية . العدد ٢٠ . شهر كانون الثاني / يناير ١٩٨٥ . ص ٦٥ ـ ٦٧ .

١٥ ـ «صوت البلاد» القبرصية . العدد ٢٩ . الاربعاء ٢٣ ك٢/يناير ١٩٨٥ . ص٢١ ـ ٢٣ .

١٦ ـ «الاسبوع العربي» البيروتية . العدد ١٣١٩ . الاثنين ٢١ يناير ١٩٨٥ . ص ٤ ـ ٨ .

١٧ ـ «فلسطين الثورة» الأردنية . العدد ١٤٢/ ١٤٣ . تاريخ ١ فبراير ١٩٨٥ . ص٦٤ ـ ٦٨ و٣٥ .

١٨ ـ «الاكسبرس» الفرنسية . العدد ١٧٤٦ . تاريخ ٢١ ـ ٢٨ ديسمبر ١٩٨٤ .

١٩ ـ نزار عمار «الاستخبارات الاسرائيلية . ص ٤١ .

٢٠ ـ «اكتوبر» المصرية . بداية شهر آذار/مارس ١٩٨٤ .

٢١ ـ جريدة «هآرتس» الصهيونية بتاريخ ٧ كانون الثاني/يناير ١٩٨٥ .

٢٢ ـ جريدة «عل همشمار» الصهيونية . بتاريخ ٣ كانون الثاني/يناير ١٩٨٥ .

# الفصل السابع

## صفحات في سجل الإبادة
## الفردية والجماعية الأميركية.

تاريخ الولايات المتحدة الأميركية تاريخ ملطخ بالدم من صفحة الغلاف الأولى فيه إلى صفحة الغلاف الأخيرة. إذ لم تكن إبادة ١٨,٥ مليون هندي أحمر على يد المستعمرين الأوروبيين (البيض) في المنطقة المعروفة اليوم بالولايات المتحدة الأميركية حادثة فريدة في التاريخ الأميركي، ولم تقتصر حروب الإبادة الجماعية على الهنود الحمر، بل هي رافقت تاريخ الولايات المتحدة القديم والحديث، داخل القارة الأميركية وخارجها، وكانت من أهم عناصر فكرة أميركا.

صحيح أن الولايات المتحدة لم تعترف بعدد الهنود الذين أبيدوا في الشمال الأميركي منذ بداية الغزو الأبيض الذي دشنّه "خوان بونس دوليون" في فصح ١٥١٣، إلا أن من الصحيح أيضاً القول أن الكشف عن العدد الكبير سيعرّي أسطورة "الأرض العذراء" التي نسجت من خيوطها كل أكاذيب التاريخ الأميركي ووضعت حياة إنسانيتنا بإستمرار على شفا ذلك الثقب الأسود.

إن العنصرية تسلّلت بكل ساديّتها الى مملكة الموت حيث أقيم متحف الهولوكوست في واشنطن على أنقاض السوق التجاري لمدينة "نكن شتنكة" الهندية وفوق رحم شعب الكونوي الذي أباده الغزاة في العام ١٦٢٣، فلأنه أراد الإشارة الى جورج واشنطن الذي بنى عاصمته على أنقاض هذا الشعب، ما يطرح السؤال عن دور جورج واشنطن في إبادة شعب الكونوي ومدينته التجارية.

لقد كانت سياسة الإذلال والترويع التي إنتهجها الحجاج أفضل تعبير عن شكرهم للضيافة الهندية. فكثيراً ما كانوا يقتلون الهنود الذين يحملون إليهم الطعام والهدايا، بل كانوا يقدمون لهم المغريات الكثيرة لزيارتهم من أجل أن يكمنوا لهم ويقتلوهم. وكانت الوسيلة المحبّبة لإستدراجهم وإستخراج ذهبهم خطف أولادهم لما لاحظوه من تراحم الأسرة الهندية فيما بينها وتكافلها ورعايتها لأطفالها.

وفي أواخر ما يسمى بالحرب الهندية _ الفرنسية ظهرت أول وثيقة دامغة تثبت استخدام الغزاة للسلاح الجرثومي عمداً في الإبادة، التي تؤكد أن تصفية الهنود بالسلاح الجرثومي كانت سياسة رسمية. وقد اشتركت "قوى الحضارة" في حرب ضارية لإخفاء هذه الوثيقة. ولا يزال المؤمنون بوحدانية الهولوكوست الى الآن يحاولون إثارة الشكوك حولها والتقليل من شأنها واتهامها بأنها من حبك "عقلية المؤامرة"، وإنها ستشجع على الكراهية.

وكان "هوارد بيكهام" رئيس الرابطة التاريخية الأميركية الذي اكتشف الوثيقة قد أخفاها بحجة "أنها تعطي إنطباعاً سيئاً. ولم يعترف بوجودها إلا عندما عثر عليها المؤرّخ "آلن ستيرن" بالمصادفة.

وإذ يعترف "كلاوس كنور" في كتابه عن نظريات الاستعمار الإنكليزية، أن الإنكليز هم أكثر القوى الإستعمارية الأوروبية ممارسة وتعمداً للإبادة ، وأن هدفهم النهائي في العالم الجديد الذي يجتاحونه هو إفراغ الأرض من أهلها وتملكها ووضع اليد على ثرواتها ولا سيّما بعدما تحكمت عقدة التفوّق العرقي بسلوكهم وبنادقهم، واستحوذت على أخلاقهم وعقولهم ، وهذا ما أوهمهم أنهم يملكون حق تقرير الحياة والموت لكل من عداهم، وأنهم في حلّ من أي التزام إنساني أو قانوني تجاه الشعوب التي يستعمرونها باعتبارها مخلوقات متوحشة لا تنتمي للنوع الإنساني .

في هذا التقليد الإنكليزي العريق ، إقترح جورج واشنطن سلسلة من الإتفاقات مع الهنود بهدف الاستيلاء على أرضهم الغنية ومناطقهم الاستراتيجية اللازمة لأمن المستوطنين . وبموجب هذه الخطة بنى واشنطن ثروته الهائلة التي وضعته على قمة هرم أغنياء العالم الجديد . ومن خلال هذه القرصنة العقارية الفريدة أسس واشنطن معظم ملامح سياسته الهندية التي هيأت بعد ذلك لقانون الترحيل القسري .

ولم تنته الأمور عند هذا الحدّ ، إذ أن الكونغرس كان قد أقرّ في ١٨٨٧ قانوناً لتقسيم الأراضي يهدف الى نسف تقليد الملكية الجماعية عند الهنود،

واستبدال تقليد "حضاري متنوّر" به، يعتمد الملكية الفردية . ويقضي هذا القانون بمنح الهندي قطعة من أرض بلاده. أما ما تبقى فيعتبر "فائضاً" تتصرف فيه الحكومة الأميركية وفقاً لمصلحتها التي إقتضت أيضاً ترحيل أطفال الهنود عن أهلهم وإخضاعهم في أبكر سنّ ممكنة لغسيل دماغ منظم في داخل معسكرات أعدت خصيصاً لنحت أرواحهم.

إن إبادة الملايين المنتمين الى أكثر من أربعمئة أمة و شعب ، جريمة لم يعرف التاريخ الإنساني مثيلاً لها في حجمها وعنفها إلا في فلسطين ، وقد أكد هذه الرؤية "جيمس بولدين" (نائب في الكونغرس) حيث يقول إن "قدر الهندي الذي يواجه الأنكلوسكسوني مثل قدر الكنعاني الذي يواجه الإسرائيلي : إنه الموت ". أي أن أميركا ليست إلا الفهم الإنكليزي التطبيقي لفكرة "إسرائيل" التاريخية، وأن كل تفاصيل الإستعمار الإنكليزي لشمال أميركا حاولت أن تجد جذورها في أدبيات تلك "الإسرائيل ". وإن عالمنا كله يعيش اليوم تحت رحمة مافيا كريستوف كولومبس الذي أوصى باستثمار الذهب الأميركي في "تحرير أورشليم"، وإن الهنود الحمر الذين أبيدوا بالنيابة عنا، لا يزالون يعيشون فينا. هذا وإذا كانت الإبادة سياسة رسمية تاريخية أميركية، فهل نستغرب بعدئذ عمليات وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية (سي.آي.إي) التي تستهدف شعوباً وشخصيات "بالمفرّق" وليس "بالجملة" ؟ طبعاً لا ...

إذا كانت المنظمات التي أعلنت الحرب على الولايات المتحدة ، آسيوية كانت أم أميركية ، لاتينية أم إفريقية وأوروبية ، تقاتل الإدارة الأميركية

بأساليب سرية فإن جميع هذه المنظمات مهما بلغ حجمها وميزانياتها لن تصل الى حجم جهاز من منظمات المخابرات الأميركية التي تنتهج هي أيضاً أساليب سرية في شن قتالها وهجومها على مختلف الأهداف والشعوب وأنظمة الحكم التي لا تروق للإدارة الأميركية. ألم يعلن ريتشارد شيلبي بصفته نائب رئيس لجنة شؤون المخابرات الأميركية في الكونغرس أن أجهزة المخابرات الأميركية ليست خط الدفاع الأول بل هي خط الهجوم الأول في الوقت نفسه ؟ . ومثلما يحافظ الكثير من أعضاء تلك المنظمات على سريتهم في العمل والحركة يتشدد الأعضاء والموظفون والضباط والعملاء في أجهزة المخابرات الأميركية على سريتهم في العمل وجمع المعلومات والهجوم والدفاع .

ولعل أكثر ما يؤكد إرهابية العمل السري الذي تقوم به أجهزة المخابرات الأميركية هو ذلك السجل الكبير لما تم كشفه من عملياتها التي شملت جميع أرجاء العالم وألحقت الأذى بجميع شعوبه. وإذا كانت الإدارة الأميركية تعتبر حربها ضد مجموعات بن لادن وغيرها الآن بمثابة حرب العالم كله ضد "الإرهاب" فإن واقع الأمر ماضياً وحاضراً يثبت أن إرهاب الولايات المتحدة الذي مارسته أجهزة مخابراتها السرية ، وليس جيشها فحسب ، كان بمثابة إرهاب الإدارات الأميركية كلها ضد العالم كله . وإن أوضح ما يشهد على هذا الواقع هو إستعراض فصول محدودة من الكتاب الذي وضعه الكاتب الأميركي ويليام بلوم ، الذي نشر عام ١٩٩٥ بعنوان : "إنهم يقتلون الأمل :

تدخلات السي آي إي والجيش الأميركي منذ الحرب العالمية الثانية" وفي عام ٢٠٠١ قام بإعادة إصداره بإضافات جديدة.

وقد جاء في الإعلان الذي أصدرته منظمة "إتحاد العلماء الأميركيين" غير الحكومية ، حول أهمية هذا الكتاب ومصداقية ما ضمه من سجلات : "هل كان من الممكن أن تحدث المحرقة النازية في الحرب العالمية الثانية دون أن يعرف بها أحد ؟ إن المحرقة الأميركية حدثت ولم يدر بها الكثير حدثت على شكل عدوان مسلح ، وضرب استقرار الحكومات وقمع الحركات الداعية للتغيير الاجتماعي واغتيال القادة السياسيين وتحريف نتائج الانتخابات وابتزاز النقابات وفبركة الأنباء وتعليم التعذيب وإنشاء فرقة الإغتيالات وشنّ الحرب البيولوجية ، وتهريب المخدرات ودعم المرتزقة ، والعمل مع النازيين والمتعاونين معهم ... وإختارت نشرة "إتحاد العلماء الأميركيين" عرض مقتطفات مما قالته شخصيات مهمة حول كتاب ويليام بلوم .

نوعام (نعوم) تشومسكي ، وهو بروفسور يهودي كبير في ماساشوستيس : "إنه أفضل كتاب يظهر حتى الآن حول هذا الموضوع ". ويقول أوليفر ستون : "لقد إشتريت المزيد من النسخ من أجل توزيعها على الأصدقاء من أجل إلقاء المزيد من الضوء والفهم على وجهات نظرهم السياسية ". ويقول أ.ج.لانفوث رئيس مكتب صحيفة "نيويورك تايمز " : "إنه ذو قيمة كبيرة ويحمل أثراً كبيراً في أبحاثه وتنظيمه ". ويقول توماس باورز ، الكاتب

والصحفي الأميركي الذي فاز بجائزة "بوليتزر " الدولية للصحافة : "إنه قطعة عمل مفيدة ، مهم ، ومثير فيما يتحدث عنه ".

وتقول الدكتورة هيلين كالديكوت ، الزعيمة الدولية لحركة الحفاظ على البيئة : "لقد جعلني كل فصل فيه أزداد غضباً مرة تلو الأخرى ".

وقد نشرت "المحرر العربي " فصلاً منه بعنوان "مؤامرات الإغتيالات السرية التي قامت بها الحكومة الأميركية " منذ إنتهاء الحرب العالمية الثانية كما جاءت في الكتاب نفسه :

"في ٢٧ حزيران ١٩٩٣ أعلن الرئيس الأميركي بيل كلينتون قائلاً : "إن القصف الأميركي على العراق في ٢٦ حزيران ١٩٩٣ رداً على المؤامرة العراقية لإغتيال الرئيس الأميركي السابق ، جوهري جداً كرسالة نبعث بها الى الذين يتورطون في الإرهاب الذي ترعاه الدولة ، ومن أجل التأكيد على كيفية التصرف الحضاري بين الأمم ".

وإذا كان هذا ما يقوله كلينتون رداً على الإدعاء بمحاولة العراق ترتيب عملية اغتيال للرئيس السابق بوش بعد عودته مواطناً أميركياً عام ١٩٩٣، فإليكم قائمة تضم أسماء الشخصيات الأجنبية البارزة الذين تورطت الولايات المتحدة في اغتيالهم أو في محاولات اغتيالهم أو خططت لمهمة اغتيالهم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . وهذه القائمة تضم عدداً لا بأس به من الاغتيالات التي قامت بها المجموعات الكوبية التي وظفتها " السي . آي. إي " ضد كوبا

واستخدمتها في إغتيالات عدد من الشخصيات السياسية في مختلف أرجاء العالم .

١-إغتيال "كيم كوو"، زعيم المعارضة الكوري عام ١٩٤٩.
٢-إغتيال عدد من الرموز السياسية في ألمانيا الغربية عن طريق مجموعة أعدها "السي.آي.إي" من الأميركين والألمان النازيين السابقين في الخمسينات .
٣-محاولة اغتيال شو آن لاي رئيس وزراء الصين الشعبية في الخمسينات ، وقد جرت محاولات عدة لاغتياله أثناء تلك الفترة .
٤-محاولة اغتيال أحمد سوكارنو الرئيس الأندونيسي في الخمسينات ، وآخر محاولة جرت في عام ١٩٦٢.
٥-كيم إيل سونغ رئيس كوريا الشمالية عام ١٩٥١.
٦-محمد مصدق رئيس وزراء إيران عام ١٩٥٣.
٧-كارلو م. ريكتو زعيم المعارضة الفيليبيني في أواسط الخمسينات .
٨-جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند عام ١٩٥٥.
٩-جمال عبد الناصر الرئيس المصري عام ١٩٥٧.
١٠_ نوردوم سيهانوك الزعيم الكمبودي الذي جرت ثلاث محاولات لإغتياله في الأعوام ١٩٥٩_١٩٦٣_١٩٦٩.
١١- اللواء عبد الكريم قاسم الرئيس العراقي عام ١٩٦٠.
١٢- خوزيه فيغويريس رئيس دولة كوستاريكا في أميركا اللاتينية الذي جرت محاولتان لاغتياله في الخمسينات وفي السبعينات .

١٣- فرانسوا دو فالييه الملقب :" بابا دوك" زعيم هايتي عام ١٩٦١.

١٤- إغتيال باتريس لومومبا رئيس وزراء الكونغو (زائير) عام ١٩٦١.

١٥- الجنرال رفائيل تروخيلو رئيس جمهورية (الدومينيكان) في أميركا اللاتينية عام ١٩٦١.

١٦- نغو دينه ديم ، رئيس فيتنام الجنوبية عام ١٩٦٣قبل بدء التورط العسكري الواسع في فيتنام ، بل إن ذلك كان تمهيداً لذلك التورط.

١٧-فيديل كاسترو الزعيم الكوبي الذي جرت محاولات كثيرة للتعرض لحياته في الستينات وما بعدها .

١٨- راؤول كاسترو ، شقيق فيديل وأحد كبار المسؤولين في كوبا في الستينات .

١٩- فرانسيسكو كافانيو زعيم المعارضة في دولة الدومينيكان عام ١٩٦٥

٢٠- شارل ديغول الزعيم الفرنسي الشهير في عام ١٩٦٥-١٩٦٦.

٢١_ الزعيم الثوري الأميركي اللاتيني ، تشي غيفارا الذي نجحت عملية إغتياله من قبل السي آي إي عام ١٩٦٧ وأخفيت جثته زمناً طويلاً .

٢٢- سالفادور إيلليندي الرئيس المنتخب في تشيلي عام ١٩٧٠.

٢٣- الجنرال رينيه شنايدر قائد جيش تشيلي عام ١٩٧٠.

٢٤- الجنرال عمر توريخوسي زعيم "باناما" في أميركا اللاتينية الذي جرت محاولات عدة لقتله من قبل السي آي إي في السبعينات وفي عام ١٩٨١.

٢٥- الجنرال مانويل نورويغا رئيس المخابرات البانامية الذي جرت محاولة اغتياله عام ١٩٧٢ ثم تمّ خطفه ونقله الى الولايات المتحدة في التسعينات حيث حوكم وزجّ به في السجن .

٢٦- موبوتو سيسي سيكو رئيس زائير عام ١٩٧٥.

٢٧- ميشال مانللي رئيس وزراء جامايكا عام ١٩٧٦.

٢٨- معمر القذافي الزعيم الليبي الذي جرت ضده محاولات عدة للإغتيال في عام ١٩٨٠- وفي عام ١٩٨٦.

٢٩- آية الله خميني ، الزعيم الإسلامي الإيراني الذي قلب حكم الشاه عام ١٩٧٩.

٣٠- الجنرال أحمد الدليمي قائد كبير في الجيش المغربي عام ١٩٨٣.

٣١- ميغيل دي إيسكوتو وزير خارجية نيكاراغوا عام ١٩٨٣.

٣٢- القادة التسعة العسكريين للإدارة الوطنية الساندينية في نيكاراغوا عام ١٩٨٤.

٣٣- الشيخ محمد حسين فضل الله الزعيم الإسلامي في لبنان حين وضعت له "السي آي إي" بالتعاون مع " الموساد " الإسرائيلي سيارة مليئة بالمتفجرات أمام منزله فلم يصب ، لكن ثمانين لبنانياً قتلوا بسبب الانفجار معظمهم من النساء والأطفال .

٣٤- صدام حسين الرئيس العراقي عام ١٩٩١.

وهذه القائمة كانت قد نشرها صحيفة "واشنطن بوست" في ٢٧ حزيران ١٩٩٣.

يضاف الى ذلك ، أن الولايات المتحدة الأميركية ووكالة إستخباراها المركزية المعروفة بالـ" سي آي إي "، إتخذت من "سياسة التجسس"_ عبر مختلف وسائلها وأشكالها _ نهجاً تتبعه في عمليات الضغط والابتزاز ضد الدول التي تبغي تطويعها وتدجينها وتركيعها . ومن هنا كان استخدام أجهزة "التنصّت " على سفارات هذه الدول ومؤسساها الحيوية حلقة هامة في هذه السلسلة . وقد افتضح أمر بعضها حديثاً كما هو الحال بالنسبة للوثيقة التي نشرها الصحف اللبنانية والعربية في العاشر من آب ٢٠٠٢، نقلاً عن صحيفة "آل كوريو" الصادرة في تشيلي، حيث جاء فيها ما يلي :

ذكرت صحيفة " آل كوريو " الصادرة في التشيلي إن وكالة الإستخبارات المركزية الأميركية " سي آي إي " لجأت الى التنصت على الإتصالات الهاتفية لسفارات دول عربية وسفارات كوبا والصين وروسيا في ليما خلال عهد الرئيس المخلوع ألبرتو فوجيموري .

ونسبت الصحيفة معلوماها الى اعترافات أدلى بها الرئيس السابق لجهاز الاستخبارات في البيرو فلاديميرو مونتسينوس المسجون حالياً. وأضافت أن جهاز الاستخبارات البيروفي تسلم أجهزة التنصت هذه من وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية ، وقبل فترة قصيرة من سقوط نظام

فوجيموري في تشرين الأول ٢٠٠٠. أعيدت أجهزة التنصت الى السفارة الأميركية في عهد السفير جون هاملتون .

وأوضحت الصحيفة أنها تملك نسخاً من الاعترافات التي أدلى بها مونتسينوس أمام قاضي التحقيق المكلف مكافحة الفساد سول بينا فرفان، ويشرح فيها كيف تم التنصت على هذه السفارات . ومما قاله مونتسينوس الذي كان يعتبر العقل المدبر للرئيس فوجيموري إنه" بمساعدة عملاء أميركيين قمنا بالتنصت هاتفياً على سفارات كوبا والصين وروسيا ودول عربية ودول أخرى ".

وقال مونتسينوس إنه تم تشكيل فريق خاص لتنفيذ ما تطلبه وكالة الإستخبارات المركزية الأميركية كما تم استئجار منازل في أحياء عدة من العاصمة للتمكن من التنصت على السفارات الأجنبية . كما كانت لدى وكالة "سي آي إي" في مقر جهاز الإستخبارات الوطني البيروفي غرفة لتوجيه عمليات التنصت التي كانت تشمل حتى الهواتف المحمولة لدبلوماسيي البلدان المستهدفة .

وجرت عمليات التنصت بين عامي ١٩٩٥ و ٢٠٠٠ حسب ما قال مونتسينوس ، وكانت تجري بـــ "تعاون وثيق مع مدراء الــ"سي آي إي" الذين تعاقبوا على السفارة الأميركية في ليما جوزيف ماركت وستيف فالمان وجون أرابيا وروبرت غورليك .

وأوردت الصحيفة أن مونتسينوس توجه مراراً الى الولايات المتحدة لتنسيق عمليات التنصت مباشرة مع مدير الاستخبارات الأميركية جورج تينيت الذي عين في هذا المنصب العام ١٩٩٧ ولا يزال .

وكانت وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية تمول عمليات التنصت التي كانت تشمل إضافة الى الدبلوماسيين ، صحافيين وعسكريين وسياسيين.

# المراجع


١-منير العكش " أميركا والإبادات الجماعية ". منشورات رياض الريّس . بيروت . الطبعة الأولى ٢٠٠٢.

٢-نظام مارديني في مقالته حول " سياسة نحت الأرواح " نشرت في جريدة "المستقبل" . العدد ١٠٦٩. الجمعة ٩ آب ٢٠٠٢. ص ١٧.

٣-د. صالح زهر الدين " من تجارب الشعوب ". الدار التقدمية بيروت . الطبعة الأولى ١٩٨٧. ( الفصل الخاص بإبادة الهنود الحمر).

٤-صحيفة " واشنطن بوست " بتاريخ ٢٧ حزيران ١٩٩٣.

٥-صحيفة "المحرّر العربي" . العدد ٣٢١. من ١٦ الى ٢٢ تشرين الثاني عام ٢٠٠١. ص ١٦.

٦-جريدة "السفير". العدد ٩٢٧١. السبت في ٢٠٠٢/٨/١٠. ص ١.

٧-جريدة "المستقبل". العدد ١٠٧٠.السبت في ٢٠٠٢/٨/١٠.ص ١٤.

٨-جريدة "النهار" . السبت في ٢٠٠٢/٨/١٠.

# الفصل الثامن

## "جوناثان بولارد"
## صاحب "سوبر ماركت"
## لبيع المعلومات والأسرار الأميركية.

يعتقد البعض —خطأ —أن الجاسوس الأميركي الشهير "جوناثان بولارد" كان عميلاً للموساد فقط.لكن الحقيقة تثبت غير ذلك تماماً،باعتبار أن تطورات القضية والتحقيقات فيها أكدت أن عمله لم يكن محصوراً في الدائرة الإسرائيلية بمفردها، بل تعدّاها الى أكبر من ذلك . فقد تبين أن بولارد كان "تاجراً محترفاً" في هذا الميدان ، و "نوعية بضاعته" ممتازة جداً، لذلك كان "صاحب سوبر ماركت" عالي الجودة ، كما أن زبائنه تجاوزوا حدود الولايات المتحدة الى الصين الشعبية وتايوان ... في الوقت الذي كان فيه بعض الزبائن _ الإسرائيليين تحديداً _ يظنّون أن جوناثان بولارد هو "عميلهم"_ وعميل لهم فقط لا غير _. وهذا ما أوقعهم في المحظور ، وأوقع أميركا فيه أيضاً . ولذلك فهو لا يزال في السجن ... لماذا؟

لقد كانت قضية جوناثان بولارد من بين أحدث تلك النشاطات . كان بولارد، هذا ، يهودياً يعمل في جهاز الاستخبارات البحرية . بعد خمسة أعوام من الخدمة نقل الى قسم تحليل التهديدات الإرهابية في مركز مكافحة الإرهاب والإنذار ، حيث توفر له بحكم وظيفته وصول سهل الى الكثير من المواد السرية . وسبق للبعض أن حذّر من عدم ملاءمة وجوده في تلك الوظيفة نظراً لأنه تلقى سابقاً تحذيراً بشأن تسريبه معلومات سرية الى الملحق العسكري في سفارة جنوب أفريقيا . إلاّ أنه ، رغم الإنذار المذكور والتعليق الموقت للثقة بأمانته المهنية في حفظ الأسرار ، أقام علاقة مع وحدة استخبارات إسرائيلية في نيويورك.

أما إذا كانت تلك العملية بالذات قد جرت بموافقة رسمية أو ما إذا حصلت بشكل تستطيع الموساد التنصّل من أية علاقة بها ، فموضوع لا يزال قابلاً للنقاش( التورّط الإسرائيلي الرسمي لا يقبل النقاش ، كما أظهرت الدلائل ومحاولات التنصّل ... والتحقيقات ). لذلك لا بد من استعراض الأشخاص الذين إشتركوا فيه :

- كان أول مشرف على بولارد العقيد الطيار أفيام سيلا الذي قاد الغارة الإسرائيلية على المفاعل الذري في بغداد ١٩٨١. وكان سيلا وزوجته يقيمان في مانهاتن حيث يتابع هو دراسات عليا في جامعة نيويورك . في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٤تعرف بولارد بواسطة سيلا على يوسي ياغور ، أحد موظفي القنصلية الإسرائيلية في نيويورك ، وكذلك على رفايل

إيتان ، الضابط القديم في الإستخبارات والرئيس الأسبق لقسم العمليات في الموساد . إشترك بتلك الصفة في إختطاف ادولف ايخمن من بونس أيرس عام ١٩٦٠، وأشرف على الفريق المختص بملاحقة وإبادة الإرهابيين الذين هاجموا الألعاب الأولمبية في ميونيخ في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٢. ثم عين مستشاراً لرئيسي مجلس الوزراء مناحيم بيغن وإسحق شامير لشؤون الإرهاب. في العام ١٩٦٥ تورط في اختفاء قرابة مئة كيلوغرام من اليورانيوم المعزّز ، وهي كمية تكفي لصنع عشر قنابل نووية ، شاع إنها انتهت في مركز ديمونا السري للأبحاث الذرية في صحراء النقب . أظهر تفتيش عادي ودوري في المصنع النووي في ابولو ، ولاية بنسيلفانيا ، أجرته لجنة الطاقة الذرية ، تضارباً غريباً في مخزون الوقود . أنذرت وكالة الاستخبارات المركزية بذلك ونسب غياب المستندات في حينه الى حريق مبهم حصل في العام السابق . تنبهت الوكالة الى أن رئيس الشركة زلمان شابيرو يزور إسرائيل بانتظام وأنه على علاقة وثيقة بوزير الدفاع فيها ، واستنتجت أن الموساد دبّرت نقل اليورانيوم . وذكرت أيضاً أن كميات ضئيلة جداً من اليورانيوم المعزّز إكتشفت في ديمونا ، وأن سلاح الطيران الإسرائيلي يطوّر برنامجاً لتدريب الطيارين على أصول قذف الأسلحة النووية ، وقالت إن تلك الأدلة "تشير الى كون المصنع في أبولو هو مصدر تزويد إسرائيل بالمواد الأولية" . ولكن وكالة الطاقة الذرية علّقت بالقول أن تقرير وكالة الإستخبارات المركزية النهائي احتوى " بعض القرائن والكثير من الكلام المنمق " دون أن يشكل أساساً لرفع القضية الى القضاء .

• كان إيتان يدير مكتب الإرتباط التابع لقسم الشؤون العلمية في وزارة الدفاع ("لاكام"). وفي أوائل العام ١٩٨٥دبر حصول بولارد في إسرائيل على تدريب في أصول الجاسوسية . بعد ذاك راح بولارد ينقل الوثائق السرّية بإنتظام الى منـــزل إريت أرب، الموظفة ظاهرياً كسكرتيرة في السفارة الإسرائيلية في واشنطن .

في نهاية المطاف وضع بولارد وزوجته قيد المراقبة بعدما اتضح أنه يأخذ معه الى منزله وثائق لا يجوز له أخذها . حاول الزوجان اللجوء الى السفارة الإسرائيلية ، وألقي القبض عليهما لدى خروجهما منها. في تلك الأثناء كان سيلا وإريت أرب في طريق العودة الى تل أبيب . وعلى الرغم من أن سيلا كان سيقدم للمحاكمة بتهمة التجسس أمام محكمة أميركية، فقد رقّته السلطات الإسرائيلية إلى رتبة عميد فور عودته وعيّنته قائداً لقاعدة "تل نوف" الجوية الهامة. من الصعب تفسير هذين الحدثين على أنهما عقاب لضابط غير منضبط دبر عملية من عندياته باءت بالفشل. أما رفايل إيتان فعين رئيساً لشركة الكيميائيات الإسرائيلية وهي مؤسسة حكومية ضخمة.

والجدير بالذكر، أن الجنرال رفايل إيتان منع من دخول الولايات المتحدة الأميركية بسبب هذه القضية، كونه أحد المسؤولين الأساسيين عن تجنيد جوناثان بولارد بكل ما ألحقه من أضرار للولايات المتحدة _ كدولة وكأجهزة أمنية واستخبارية على اختلافها_.

وبالرغم من كل المحاولات التي بذلها مسؤولون إسرائيليون كبار_ منذ عام ١٩٨٥_ مع رؤساء الولايات المتحدة ، فضلاً عن ضغوط يهود أميركا أيضاً، خصوصاً في عهد الرئيس بيل كلينتون، من أجل الإفراج عن بولارد المحكوم بالسجن المؤبد ، وكذلك مع الرئيس بوش ... لكن جميع هذه المحاولات لم تنجح..لماذا ؟ مع العلم أن "إسرائيل هي التي ترسم السياسة الأميركية" على حدّ اعتقاد البعض. ويبقى السؤال عن الخطر الذي يمثله الإفراج عن بولارد على آل بوش وأميركا ؟ ولماذا يبقى في سجنه بالرغم من مرور حوالي ١٨ عاماً على اعتقاله ، مرّ فيها مجموعة رؤساء جمهورية، رفض كل منهم طلب الإفراج عنه رغم كل التدخلات والضغوط ؟ أليس في ذلك سرّ خطير يستوجب بقاء بولارد رهن الإعتقال؟ فما هو هذا السر؟.

فقبل سنة تحدثت بعض المجلات المتخصصة بأنباء عالم الجاسوسية والمخابرات في الولايات المتحدة وفي إسرائيل أن كلينتون لم يستطع قبيل تسليمه البيت الأبيض في ٢٠٠١/١/٢٠ للرئيس الجديد جورج دبليو بوش منح بولارد العفو رغم أنه وقّع على قائمة عفو عن السجناء بأعداد كبيرة. وقيل إن إسم بولارد ظهر في القائمة لكن كلينتون شطبه رغم تعهده لأربعة رؤساء حكومات إسرائيلية بالعفو عنه بدءاً من إسحاق رابين عام ١٩٩٣ ومروراً بشمعون بيريز ، وبنيامين نتنياهو وإيهود باراك . ولذلك يبدو أن بولارد الذي كان يعمل في المخابرات البحرية الأميركية سيواصل تمضية مدة حكمه المؤبد في السجن الأميركي. والطريف، كما يقول أحد مواقع الأنترنت

الإعلامية الإسرائيلية، أن "كلينتون منح العفو عن نفسه في المخالفات التي ارتكبها في قضية وايت ووتر رغم أن الحكم الصادر بحقه فيها هو غرامة ٢٥ ألف دولار ومصادرة ترخيص عمله كمحامٍ لمدة خمس سنوات. أما بولارد فكلما ظهرت دعوة للعفو عنه بعد كل هذه المدة في السجن كلما سارعت أجهزة المخابرات الأميركية كلها وطالبت بإصرار بعدم الإفراج عنه لأن إطلاقه حراً سيشكل خطراً أمنياً لا يمكن درؤه على الولايات المتحدة .

## قضية شائكة

وجاء في التحليل الذي عرضه الموقع الإسرائيلي الإعلامي في الأنترنت أن "قضية بولارد ليست مسألة تجسس تقليدية لأنه أصبح عالقاً في دولاب مشاريع المخابرات التي تعود الى فترة الحرب الباردة . وطبيعة هذه المشاريع بدقة لا يعرفها إلا ما يزيد على عشرة أشخاص في واشنطن رغم أنهم جميعاً غير مطلعين على كامل الصورة . أما الشخصية المطلعة على كامل الصورة فهي الرئيس الأب جورج بوش والد الرئيس الجديد، والأب بوش كان نائباً للرئيس ريغان عندما افتضح أمر بولارد.

لكن بوش الإبن الرئيس لن يمسه أي شيء من قضية بولارد باستثناء الإحراج الذي سيتحمله والده فقط . ويكشف هذا المصدر الإسرائيلي على نحو غريب أن قصة بولارد أو اللغز فيها "لا يعرفه معظم رؤساء المخابرات العسكرية ولا جميع بقية من يعمل من أجل الإفراج عنه رغم أن تفاصيل معينة

وصلت اليهم حول لغز قضيته. لكن الأميركي الوحيد الذي يعرف كل تفصيل في قصة بولارد ولغزها هو رجل حكم عليه بالسجن مدى الحياة في أكثر سجن محكم من نواح أمنيّة في الولايات المتحدة في "آلينوود" (بنسلفانيا) لأنه أخطر جاسوس أميركي في تاريخ الولايات المتحدة وأكثر من ألحق الضرر الأمني بالولايات المتحدة ، وهو آلدريك إيمس الذي أدين عام ١٩٩٤ بالتجسس لصالح الإتحاد السوفياتي، وروسيا في عهديها . وبالإضافة الى إيمس، هناك جنرال روسي كان مسؤولاً عن الجاسوس إيمس يعرف عن لغز بولارد هو فيتالي يوريشينكو الذي كان في السابق رئيساً للقسم السوفياتي في مكافحة التجسس. فيوريشينكو يعيش الآن في شقة متواضعة في موسكو ويرفض الإلتقاء بأي أجنبي. فالخطأ الذي ارتكبه المدافعون الإسرائيليون عن الإفراج عن بولارد خلال حملاتهم هي أنهم عاملوه كجاسوس باع أسراراً أميركية الى إسرائيل. ورغم أنه فعل ذلك حقاً إلا أنه نقل أسراراً الى أطراف أخرى غير إسرائيل أيضاً وهذا هو سبب الخراب الكبير الذي لحق به . ففي حزيران عام ١٩٨٤ بدأ بولارد عمله كمحلل معلومات "لفرقة تحليل الأخطار" التابع لمركز "التحقيقات الجنائي وخدمات الإنذار من الأعمال الإرهابية" التابع للبحرية الأميركية في واشنطن. وكانت هذه الفرقة تتولى تحليل أكثر المعلومات حساسية وسرية مما يصل من ضباط السي آي إي والأقمار الصناعية. وقد نقل بولارد بعض هذه المعلومات السرية الى إسرائيل، ووجد معلومات سرية أخرى

حول الشرق الأقصى فعرضها على عملاء من تايوان لا صلة للمخابرات الإسرائيلية بهم ، بل ولا تعرفهم المخابرات الإسرائيلية أيضاً .

## وزع الأسرار هنا وهناك:

وكانت المشكلة أن معظم العملاء التايوانيين هؤلاء كانوا جواسيس مزدوجين يعملون أيضاً لصالح الصين الشعبية ومخابراتها . وعلى هذا النحو حصلت المخابرات التايوانية ، وكذلك الصينية الشعبية على أسرار أميركية حساسة سلمها بيده للتايوانيين . وبعد أن عرف بولارد أن نفس المعلومات وصلت الى بكين قرر توسيع سوق بيع المعلومات السرّية فبدأ يزود المخابرات الصينية ببعض الأسرار . ووصل في النهاية الى دفع زوجته الأولى آن أندرسون للإنضمام الى شركة للعلاقات العامة في نيويورك تعمل في تحسين صورة بكين في الولايات المتحدة . وكان بولارد يزود زوجته بالمعلومات السرية التي تصله لتحليلها في " مركز الإنذار المبكر من العمليات الإرهابية " (INS) لكي تقوم هي بتزويدها لهذه الشركة التي تعمل لصالح بكين من أجل تعزيز مركز الزوجة فيها في البداية . ولم يدرك بولارد ولا زوجته أن علاقتهما المزدوجة مع الصين الوطنية ، والصين الشعبية (العدوتين) هي أخطر لعبة في حلقات الجواسيس في تاريخ المخابرات الأميركية . وقد زعم الإسرائيليون أنهم لا يعرفون عن هذه العلاقة .

وكانت هذه الخلية من الجواسيس التايوانيين والصينيين مخترقة من خلال آلدريك إيمس الذي كان من كبار ضباط "السي آي إي" ويعمل جاسوساً لصالح السوفيات في ذلك الوقت أيضاً، ومن خلال صيني أميركي يعمل لصالح "السي آي إي" وإسمه لاري ووتاي تشين منذ الحرب الكورية في الخمسينات . وهو الذي كان مسؤولاً في "السي آي إي" عن جميع شبكات التجسس في الشرق الأقصى. وكان تشين الأميركي الصيني الأصل عميلاً مزدوجاً داخل "السي آي إي" خلال أربعين عاماً ويعمل لصالح الصين الشيوعية أيضاً. وكان إيمس وتشين ، كل على إنفراد ، يديران شبكات من العلماء والعملاء المزدوجين . وفي عام ١٩٨٥ تلقى إيمس معلومة من (الكي جي بي) في موسكو أن الأميركيين اقتربوا كثيراً من إمكانية الكشف عنه وعن علاقته (بالكي جي بي)- المخابرات السوفياتية- فقام إيمس بالإتفاق مع يوريشينكو الجنرال في المخابرات السوفياتية بطبخ خطة جهنمية عبقرية لكي يبعد الشكوك عنه ويبقى في منصبه كمسؤول عن التجسس على الإتحاد السوفياتي في (السي آي إي)، وهي الوظيفة التي كان يتولاها في المخابرات الأميركية . وفي آب من العام نفسه سمع العالم كله عن نبأ يقول إن يوريشينكو بنفسه طلب الدخول الى السفارة الأميركية في روما وأعلن أنه يريد اللجوء الى الولايات المتحدة . ولأن يوريشنكو يعتبر أكبر رتبة في المخابرات أو الجيش تفر من الإتحاد السوفياتي الى الغرب ، فقد أسرع الأميركيون بنقله من روما فوراً الى واشنطن للإطلاع على المعلومات التي يحملها .

وهكذا بلعت "السي آي إي" "الطعُمْ"، وتبين أن يوريشينكو قام خلال ثلاثة أشهر من استجوابه والاستماع الى ما لديه من معلومات بإعطاء السي آي إي قائمة بجواسيس مزدوجين من الأميركيين الذين يعملون لصالح السي آي إي وفي الوقت نفسه لصالح المخابرات السوفياتية. ومن بين من ضمتهم القائمة جوناثان بولارد ووتاي تشين الأميركي الصيني .

## مقايضة جاسوسية رابحة:

وكان من بين من استجوبه واستمع الى معلوماته آلدريك إيمس نفسه بسبب مسؤوليته عن التجسس المضاد على الإتحاد السوفياتي.وهكذا حققت القائمة غرضها بإبعاد الشبهه عن آلدريك إيمس وتحويلها الى اتجاهات أخرى.فإيمس كان على درجة كبيرة من الأهمية عند(الكي جي بي) ولذلك جرت التضحية بالصيني تشين الذي يعد جاسوساً مزدوجاً قديماً ويستحق التضحية به أمام قيمة إيمس الثمينة جداً. وفي ٢ تشرين ثاني عام ١٩٨٥ إستكملت الخطة بمرحلتها الأولى والرئيسة وبدأت مرحلة أخرى منها حين تبين أن يوريشينكو اختفى فجأة بعد أن كان في أحد المطاعم في جورج تاون وتناول العشاء هناك رغم حراسته الخفية الدائمة من قبل رجال (إف بي آي) و (السي آي إي). وعلى الفور ظهر يوريشينكو بعد ذلك في السفارة السوفياتية في العاصمة الأميركية واشنطن لإعادته الى موسكو. وهكذا اختتمت آخر خطوة في أغرب عملية فرار من الإتحاد السوفياتي واللجوء الى المخابرات الأميركية ثم الفرار

المعاكس والعودة الى موسكو بموجب الخطة الجهنمية . وبعد عودة يورشينكو جنرال المخابرات السوفياتية الى موسكو بأيام توقفت (السي آي إي) و (إف بي إي) عن إجراءات المتابعة والتنصت السري على الجواسيس الذين ظهرت أسماؤهم في قائمة يوريشينكو ومعها جوناثان بولارد والصيني ووتاي تشين وتم على الفور إعتقالهما بتهمة التجسس لجهات أجنبية وساهم آلدريك إيمس بالدور الفعال في إعتقال الجميع بالطبع. وكانت جريمة تجسس بولارد لصالح إسرائيل كافية لوحدها بالحكم عليه بالسجن مدى الحياة. وفي المقابل، تشكلت جبهة ضغط يهودية _ أميركية وإسرائيلية للمطالبة بالعفو عنه بعد ١٥ عاماً قضاها حتى عام ٢٠٠٠ في السجن (وما زال ) ولم تفلح جميع المساعي حتى الآن بإستصدار عفو عنه لأن المخابرات الأميركية مصممة على عدم السماح لبولارد ولا إيمس ، الذي إعتقل عام ١٩٩٤ وحكم عليه بالسجن المؤبد أيضاً ، برؤية نور الحرية مهما كانت الأسباب ما لم يقدم الإثنان جميع المعلومات السرية التي باعها كل منهما للجهات التي كان يعمل معها . فحتى الآن لا تزال المخابرات الأميركية بموجب ما لديها من معطيات تعتبر ان الإثنين ما زالا يخفيان معلومات مهمة ينبغي عليهما تفسيرها".

# المراجع


١-نايغل وست "لعبة الإستخبارات الدولية / الصراع الخفي في عالم التجسس". دار الحمراء. بيروت.الطبعة الأولى ١٩٩١.ص ١٦٢_١٦٣.

٢-محمد شريدة ."شخصيات إسرائيلية ". مركز الدراسات الإستراتيجية والأبحاث والتوثيق . بيروت. ص ٦٠_٦١.

٣-"المحرر العربي". العدد ٣٣١. من ١_٧ شباط ٢٠٠٢.ص ١٨.

٤-د. صالح زهر الدين "موسوعة أسرار من التاريخ ". الجزء الثاني . مؤسسة الرحاب الحديثة . بيروت ١٩٩٥. ص ٢٠٥_٢١٧.

# الفصل التاسع

## فضيحة الجاسوس الهندي
## "سواروب" تهزّ العالم.

ليس من المستغرب أن تستحوذ الهند على اهتمام الولايات المتحدة الأميركية ودول الغرب كما على الاهتمام الإسرائيلي بشؤونها الكبيرة والصغيرة على السواء، مثلما كان الاهتمام البريطاني بها لعشرات السنين ، حتى غدت "درّة التاج البريطاني" ذاته.

ومما لا شك فيه ، أن قضايا الجاسوسية والمخابرات هي العامل الأبرز دائماً _ بالإضافة الى العلاقات الأخرى ذات الطابع العلني- وذلك من أجل الوصول إلى ما لا تستطيع العلاقات السياسية والدبلوماسيّة والاقتصادية ... أن تصل إليه ، لكي يصبح هذا "المُمْتَلَك" بالتالي ورقة إبتزاز تستخدم في الوقت المناسب ضد الشخص المناسب أو الجهة المناسبة. ومن هنا كانت الشبكة الجاسوسية التي شكلها "راما سواروب" لصالح الولايات المتحدة وإسرائيل وألمانيا ، من أقوى الشبكات التي هزّت المجتمع الهندي ... والعالم آنئذ .

فمن هو " راما سواروب" ؟ وكيف انكشف أمره؟

كانت فضائح التجسس الثلاث التي اكتشفت في الهند خلال العامين الماضيين بمثابة لطمة عنيفة هزّت المجتمع الهندي خصوصاً وإن المتورطين فيها كانوا وزراء ورجال دولة وجيش وصحفيين وأساتذة جامعات وأعضاء برلمان.

وكانت أولها فضيحة الأخوة لاركينـــز التي تورط فيها ثمانية من كبار رجال الجيش واكتشفت في أواخر ١٩٨٣وكانوا يمدون المخابرات الأميركية بالمعلومات العسكرية عن طريق السفارة الأميركية في دلهي . وكان رجال المخابرات الأميركية آنذاك رفائيل مارياني ويعرف بإسم جوكي ورينولد فردريك ستالاتش ويعرف بإسم بن هاري ويذربي ويعرف بإسم جون ثم الرائد بال كينلي باتان ويعرف بإسم بد .

ثم كانت الفضيحة الثانية التي حوكم فيها كومار ناريه ومانيكلال في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٥.

أما بطل الفضيحة الثالثة _ أحدث وأكبر الفضائح _ فهو راما سواروب الذي كان يدير شبكة كاملة من بين أعضاء البرلمان والوزراء والصحفيين ورجال الجيش وكبار رجال الدولة في حكومة راجيف غاندي. واستقال على أثر هذه الفضيحة ثلاثة من وزراء الهند هم سنغ ديو وزير الأغذية والتموين

وشاندراكار وزير التنمية الريفية ورئيس تحرير صحيفة هندوستان سابقاً والدكتور سانجيفي راو وزير الألكترونيات .

ولئن كانت وقائع التجسس قد أصبحت أمراً عادياً في الآونة الأخيرة؛إلا أن المعلومات التي تكشفها التحقيقات في هذه القضايا من شأنها تبصير المواطن المسلم في كل مكان بالأساليب التي تتبعها المخابرات الأجنبية في السيطرة على بعض بلدان العالم الثالث،وتوجيه الأحداث فيها والتدخل في صنع قراراتها السياسية . فهي حقاً وقائع وأساليب طريفة جديرة بالقراءة والتسجيل .

في ٢٨ تشرين الأول ( أكتوبر) ١٩٨٥ قبضت السلطات الهندية على راما سواروب البالغ من العمر ٥٥ عاماً . ثم جاءت إعترافاته في ٢١٨صفحة نشرت في الهند حديثاً وفيها كثير من المعلومات المثيرة والمفيدة في آن معاً .

أعطى سواروب خلال إعترافاته أسماء عشرات من قادة حزب المؤتمر الحاكم والأحزاب السياسية الأخرى وأعضاء البرلمان ممن كانوا يشكلون حلقات إتصال تجسّسية خلال الأعوام القليلة الماضية . وكان من بين هذه الأسماء الصحفي الهندي اللامع خشونت سنغ واتال بهاري وأجبائي الزعيم المعارض؛وكانتي ديساي إبن موراجي ديساي رئيس وزراء الهند في الفترة من ١٩٨٠/٧٧. وعن طريق كانتي ديساي إستطاع سواروب معرفة ما تمّ في المباحثات التي جرت بين بريجنيف وديساي رئيس وزراء الهند ثم قام بإبلاغ هذه الأسرار الى دبلوماسيين أميركيين .

ومن بين مئات الأوراق والمستندات الهامة التي استولت عليها الشرطة من مكتبه ملف يحمل رقم PT-١ وفيه وثيقة بعنوان "باكستان مشوهة" كتبها المحامي الشهير لكهي الذي كان محامي الدفاع عن قتلة أنديرا غاندي ، ويدافع الآن أيضاً عن سواروب . كذلك وجدت الشرطة من بين المستندات خريطة عسكرية سرّية لباكستان .

وثيقة أخرى وجدت في مكتب سواروب عبارة عن تحليل تجاري أعدّه جاي شيكهار الأستاذ بجامعة نهرو حول تجارة الهند مع الإتحاد السوفياتي بالعملة المحلية الهندية . يقول هذا التحليل إن إلغاء هذا النظام سيفيد الهند ، ويضرب مثلاً بما كان من معاهدة مماثلة بين مصر والإتحاد السوفياتي وكانت النتيجة تدهور الإقتصاد المصري . وقد تبين للسلطات الهندية أيضاً أن المخابرات الأميركية كانت تمول مجلة "Research Journal" التي كان يصدرها شنكهار حول دول عدم الإنحياز .

وأهم ما في قصة سواروب الجزء الخاص بعلاقاته مع "إسرائيل" وأميركا حيث إعترف بأنه كان عميلاً لهاتين الدولتين . وكانت بداية عمله التجسسي في عام ١٩٥٤حين اتصل بدبلوماسي إسرائيلي إسمه كابسي كان يعمل في القنصلية الإسرائيلية في بومباي . وبدأ يتقاضى منه ٢٠٠روبية في الشهر

_وكانت مبلغاً كبيراً آنذاك _ علاوة على نفقات تعريفه على أعضاء البرلمان والصحفيين وترتيب مواعيد ولقاءات بينه وبينهم في دلهي .

وإستمر سواروب في تسريب المعلومات الى القنصل الإسرائيلي في بومباي،وكان من بين المهام الموكلة اليه إجراء اتصالات معينة بفتح قنصلية إسرائيلية في نيودلهي . ومن بين أنشطته تنظيم مقابلات في بومباي بين القنصل الإسرائيلي ووزير الدولة للشؤون الخارجية الهندي في حكومة حزب جناتا ١٩٨٠/٧٧. وكان سواروب نشيطاً في تغذية الدبلوماسيين الإسرائيليين في الهند بالمعلومات اللازمة وتمويل زيارات أعضاء البرلمان الهندي لـ"إسرائيل".

## التعاون مع "إسرائيل".. رسمي !

وكان مما واجه به سواروب سلطات التحقيق أن لديه أدلة دامغة في شكل مراسلات سرّية تؤكد دعوة المخابرات العسكرية الهندية لرئيس الأركان الإسرائيلي ورئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية عام ١٩٦٣ عقب الحرب الهندية الصينية ، ويؤكد أن المخابرات العسكرية الهندية أنزلتهما في الغرفتين رقم ٢٠٨ و ٢٠٩ في فندق أمبريال بدلهي بينما كان ينــزل هو في الغرفة رقم ٢١٠. ويزعم أنه كان آنذاك يعمل للمخابرات العسكرية الهندية ، وأن الحكومة الهندية احتاجت الى المساعدة الإسرائيلية نظراً لضعف مستوى الأسلحة الروسية المستخدمة في الهند .

ولعل هذه المعلومات تؤكد ما نشر حول العلاقات الهندية _ الإسرائيلية والتي كانت وطيدة منذ زمن بعيد واستمرت في كل عصر على ما هي عليه من قوة خلال حكومات نهرو وأنديرا غاندي وموراجي ديساي، وبالتأكيد في حكومة راجيف غاندي أيضاً . ففي حكومة جناتا ٧٧_١٩٨٠ قام سواروب بترتيب لقاء عام ١٩٧٨ بين رئيس الوزراء ديساي ووزير الدفاع الإسرائيلي موشي دايان . ومنذ ذلك الحين تولى سواروب مهمة نقل الرسائل السرّية بين دلهي وتل أبيب مرّات عديدة ، حتى أنه ذكر أسماء كبار رجال المخابرات الذين كان ينقل اليهم المعلومات في الهند . وكان الرقم السرّي لسواروب في المخابرات الأميركية هو "٧٢".

وكان يستخدم هذا الرقم حين اتصاله هاتفياً بالمسؤول عنه في السفارة الأميركية ، وكان يسأله هل يأتي ليتناول معه القهوة أي الساعة الحادية عشرة صباحاً،أم الشاي أي الساعة الثالثة بعد الظهر. وكانت لقاءاته برجال المخابرات الأميركية تتم في الغرفة رقم ٣٢؛وهي المكان الآمن المخصص للمخابرات الأميركية في مجمع السفارة الأميركية بنيودلهي . وقد قام سواروب بتدريب سكرتيرته الخاصة السيدة أنيتا سيتي على تبادل الرسائل مع رجال المخابرات الأميركية. وقد اشترى سواروب لهذا الغرض كيسي نقود نسائيين متماثلين وكانت أنيتا تتبادل كيسها مع كيس كريس سكرتيرة هانتر رجل المخابرات الأميركية حين تلتقي كل منهما بالأخرى في المحلات التجارية الملحقة بسينما أرشانا في نيودلهي .

## بداية التعامل:

أما علاقة سواروب بالمخابرات الأميركية فتعود الى الخمسينات حيث كان يصدر مجلة بإسم "الشباب" youth وتعرف على هندي إسمه كولاندي الذي عرفه على كينغ الأميركي الذي بدأ يعطيه راتباً شهرياً قدره ٤٠٠ روبية لقاء جمع المعلومات. ومنذ ذلك الحين وهو على صلة بالمخابرات الأميركية التي كان لها رجال عديدون في الهند تناوبوا مهامهم كدبلوماسيين داخل السفارة.

فبعد رحيل كينغ كان المشرف على سواروب دبلوماسي آخر إسمه فليك الذي كان مهتماً بمعرفة التطورات السياسية في الولايات الهندية المختلفة والعلاقات بين الحكومة المركزية وحكومات الولايات . ثم جاء بعده تودمان الذي استخدم سواروب في متابعة المشادات التي تحدث داخل البرلمان بين العضوين كرشنامينون ومالويا . كما إستخدمه في إثارة موضوعات معينة داخل البرلمان الهندي. بعد ذلك كان باكستر هو المشرف على سواروب وكان مهتماً بحزب سواتانترا الذي بدأ في الظهور آنذاك كقوة يحسب لها حساب تحت قيادة زعيمه مساني. وعلى هذا استخدم سواروب في التأثير على هذا الحزب وتمويل قادته عن طريقه. وكان يقوم بتزويد أعضاء البرلمان المنتمين لحزب سواتانترا بمعلومات عن موضوعات وجوانب مختلفة من السياسة

الخارجية الهندية لغرض الإستمرار في اختبار لوبي الحزب الشيوعي الهندي في البرلمان.

وتمّ تعيين سواروب عام ١٩٧٤ مندوباً لشركة الشرق الأقصى التجارية **Far Eastern Trade Services** التي تتخذ من تايوان مقراً لها ليكون هذا المنصب غطاء لأنشطته التجسسية. وتعتبر هذه الشركة غطاء لأنشطة المخابرات الغربية .وبدأ سواروب يتقاضى راتباً قدره مائة دولار؛ إرتفع فيما بعد الى خمسمائة دولار. ثم بدأ يعمل أيضاً مع لجنة المساعدة المهنية لرجال الجيش المتقاعدين. **Vocational Assistance Commission For Retired Servicemen** وهي هيئة معادية للشيوعية مقرها تايوان؛ وكذلك مع رابطة الشعوب الآسيوية المعادية للشيوعية والتي تعرف بإسم **Asian People's Anti-Communist League** ومقرها تايوان أيضاً. وقد إعتادت هذه الرابطة دعوة كبار رجال الجيش الهندي المتقاعدين الى تايوان .

وبعد رحيل باكستر من الهند جاء شنيدر ليتولى الإشراف على شؤون المخابرات الأميركية فعهد الى سواروب بمهام سياسية محددة . وفي عام ١٩٧٩ عهد إليه متعهده الجديد جيبني بتنظيم حملة دعائية ضخمة ضد روسيا ولصالح أميركا في محاولة للتأثير على الحكومة الهندية والرأي العام الهندي . وقد وافق له على مبلغ خمسة آلاف دولار مبدئياً. وتم تخطيط وتنفيذ هذه الحملة بإشراف مسؤول كبير في المخابرات الأميركية جاء الى الهند خصيصاً لهذا الغرض. وقد التقى هذا المسؤول بسواروب في منزل سفير ألمانيا الغربية في دلهي ووافق على

زيادة المبلغ المخصص لهذه الحملة الى عشرة آلاف دولار، منها ألفا دولار لسواروب . وقد دفعت السفارة الأميركية كل هذه المبالغ وكانت مهمته ترتيب لقاءات بين أعضاء البرلمان من مختلف الأحزاب والدبلوماسيين الأميركيين والألمان الغربيين . وكان الإحتفال بيوم تايوان الوطني مناسبة اتصالات منظمة ضخمة بالنسبة له.

## تورط ألماني :

ومن بين من أشرف على شؤون المخابرات الأميركية في الهند مؤخراً جيمس مور وهاري ويذربي ، الذي كان من أبرز الشخصيات في فضيحة تجسس الأخوة لاركينــز ، وطلبت الحكومة الهندية منه مغادرة البلاد في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٣. ولم يقتصر الأمر على المخابرات الأميركية ، بل امتد الى المخابرات الألمانية أيضاً، إذ كان من بين المتورطين في فضيحة سواروب،القنصل الألماني روف برايتنشتاين وفيشر السكرتير الأول السياسي، وقد طردا من الهند أيضاً . ويعمل روف الآن في بون بينما يعمل فيشر في سفارة ألمانيا الغربية في الفاتيكان . وتكشف اعترافات الجاسوس الهندي سواروب عن أن المخابرات الأميركية والإسرائيلية والألمانية الغربية قد عملت مجتمعة في تنسيق تام لتغطية وتنفيذ أنشطة تجسسية وتخريبية في الهند.

## البرلمان غطس دون أن يدري:

وعن طريق شبكة سواروب وإتصالاته بأعضاء البرلمان الهندي إستطاع إثارة أسئلة حول شؤون الدفاع والتجارة والصفقات والمعاملات التجارية والشؤون الخارجية والطاقة النووية مع دول معينة خصوصاً الصين وباكستان وروسيا . وبهذه الطريقة تمكنت المخابرات الأميركية من معرفة معلومات رسمية لم تكن تستطيع الحصول عليها بغير هذا الأسلوب . وتعلق المخابرات الهندية على هذا بأنه أسلوب من أساليب المخابرات الغربية التي تمارس أنشطتها في دول كثيرة غير تايوان . وكان تمويل حملات الدعاية الإنتخابية باباً من أبواب تعريف المرشحين للبرلمان بالدبلوماسيين الغربيين خصوصاً الألمان . ثم كان سواروب يعمل كحلقة وصل بين أعضاء البرلمان ومراكز التجسس الغربية في تايوان .

ومن بين العمليات التي نفذها سواروب الحصول على مائة توقيع من أعضاء البرلمان من حزب المؤتمر الحاكم في أيام انديرا غاندي ، يطالبون بالإعتراف بتايوان . وفوجئت أنديرا بمذكرة بهذا الطلب وعليها هذه التوقيعات . كذلك إستطاع نشر مقالات معادية للشيوعية وبها معلومات زودته بها المخابرات الأميركية . كان ذلك عن طريق إتصالاته مع الصحفيين وعن طريق الرسائل المنشورة في الصحف تحت أبواب رسائل الى رئيس التحرير وهذه الاعترافات بالطبع أدّت الى بدء السلطات الهندية التحقيق مع الصحف والمجلات التي ازدادت نسبة توزيعها مؤخراً بسبب عدائها للشيوعية.

وفي إطار أنشطة سواروب ضد الشيوعية والتي نفذها بتخطيط وتمويل أميركيين ، كانت تلك القضية التي رفعها في إحدى محاكم دلهي ضد قبول الهند لأربعة دبلوماسيين سوفيات اعتبروا فيما مضى أشخاصاً غير مرغوب فيهم بناء على اشتراكهم في أنشطة تجسس في الدول التي كانوا يعملون بها. وقد أسس في آذار (مارس)١٩٨٥ معهد الدراسات الإستراتيجية بنيودلهي الوثيق الصلة بمنظمات مماثلة في هلسنكي وفرانكفورت.

وعلاوة على تزويد المخابرات الأميركية بمعلومات عن رجال الجيش والحكومة وزعماء الحزب الحاكم وأحزاب المعارضة؛ قام سواروب بتزويدها بمعلومات عن المسلمين في الهند وإمتدت نشاطاته الى نيبال كذلك. كما نشر عدة كتب ضد الشيوعية أمدته بها المخابرات الأميركية منها كتاب "مائة الف عين للمخابرات الروسية " Eyes of the KGB ١٠٠,٠٠٠ للكاتب جوب يارين ـ إسم وهمي .

ولم تكن سفارات "إسرائيل" وأميركا وألمانيا الغربية هي مصدر التمويل الوحيد لأنشطة سواروب؛ بل كانت هناك مؤسسات ومنظمات ومعاهد أوروبية تقوم بإرسال أموالها اليه، مثل المؤسسة الأوروبية للبحث الإجتماعي **European Foundation of Sociological Research** الموجودة في مدينة فرانكفورت . ومكتب صحفي بإسم **Reportage Bureau** في مدينة هلسنكي ومن أجل هذا أسس سواروب مركزاً باسم

مركز الشرق والغرب East- West Center ؛وعن طريقه كان يزود مسؤول المخابرات في السفارة الأميركية بقصاصات من الصحف لإرسالها الى هذه المنظمات في الخارج . وكان يعطيه إيصالا بإستلام هذه القصاصات ليرسلها الى المنظمات والمعاهد المذكورة . ولقاء هذا العمل تقاضى سواروب ثلاثين ألف دولار في عام ١٩٨٤وحده. وكان مرتبه في المخابرات الأميركية ١٦٥٠دولار ومن تايوان ٨٠٠دولار ومن ألمانيا الغربية ١٨ألف دولار ومن فنلندا ١٢ألف دولار .

وهناك عنصر آخر في قضية سواروب هو مساعده المسلم جاويد صديقي الذي قبضت عليه السلطات الهندية مع سواروب ولا يزال موقوفاً. يقول صديقي أن القبض عليه مجرد حركة من الحكومة لتشويه الأقلية المسلمة في الهند . ويؤكد ذلك بأن الحكومة لم تقبض على السيدة أنيتا سيتي مديرة مكتب سواروب مع أنها حسب اعترافات مديرها كانت تقوم بتبليغ رسائل التجسس الى المخابرات الأميركية .

## عميل للمخابرات الهندية أيضا:

وأطرف جانب في فضيحة سواروب هو أنه اعترف بعمله أيضاً للمخابرات الهندية العامة والعسكرية على مدى العشرين عاماً الماضية . وإنه أمدها بمعلومات غاية في الأهمية في الفترة بين ١٩٦٢و ١٩٧٠. وأنه كان يعمل للمخابرات العامة الهندية حتى آب (أغسطس)١٩٨٥. أي أنه

ظل عميلاً ذا وجهين عشرين عاماً دون أن يكتشفه أي من الأطراف التي يتعامل معها . ويبدو أن موقف سواروب قوي للغاية حيث يساوم الحكومة الهندية لتفرج عنه؛ ويهدد بكشف فضائح عديدة متورطة فيها حكومة الهند خصوصاً فيما يتعلق بمعاملاتها مع "إسرائيل" إذا لم يفرج عنه. ويقوي وجود هذه الفضائح إمتناع الحكومة الهندية عن التعليق أو نفي ما زعمه سواروب.

بهذه الأساليب تتحرك المخابرات الغربية والشرقية في دول العالم الثالث لتحكم قبضتها عليها وما يحدث في الهند الآن قد يحدث في أي بلد عربي أو إسلامي .. لكن لا سبيل الى مراقبة هذه الأنشطة أو فتح الأعين عليها إلاّ بالوعي الإسلامي الذي قد يشكل تحصيناً أخلاقياً إزاء الأساليب اللاأخلاقية التي تتبعها عادة المخابرات في نشاطاتها التخريبية .

والجدير بالذكر، أنه توجد في الهند طائفة يهودية يقدّر عددها بـ ١٦ ألف نسمة ، يتمركزون في بومبي وضواحيها ، إذ أن قلّة عددهم لم تصل الى حد اعتبارهم أقلية طائفية . وقد سهلت عملية اندماجهم ، ولم تنجح جميع المحاولات الخارجية لتجميعهم في إطار مجموعة متجانسة. ويشيع الإسرائيليون أن سكان أقليم منيبور الهندي هم من اليهود . وقد توجّه الى هناك كل من الحاخام شالوش والياهو أبيجيل بهدف مقابلة هؤلاء السكان لتهويدهم وتهجيرهم الى "إسرائيل".

من جهة أخرى ، لم يكن هناك علاقات دبلوماسية بين الهند و"إسرائيل"، بل كان يوجد "ممثلية تجارية إسرائيلية" في بومبي، وتعتبر هذه الممثلية مقراً لمحطة "الموساد" _ الفرعية _ في الهند، وقد كانت هذه المحطة تشرف على بعض (مجنّدي الموساد) في باكستان المجاورة . وتقوم "الموساد" بجهود كبيرة لتحقيق عدة أهداف _في الهند _:

١-العمل على إقامة علاقات دبلوماسية مع الهند ، لما لها من تأثير سياسي ودبلوماسي في العالم _ وفي مجموعة دول عدم الإنحياز بشكل خاص _. ومن هنا كان تكليف "راما سواروب" عميل "الموساد" _ والذي ألقي القبض عليه _ السعي لفتح قنصلية إسرائيلية في نيودلهي . وكان هذا العميل _ رجل أعمال هندي _ قد نظم زيارة سرّية لموشيه دايان الى الهند عام ١٩٧٨ للإجتماع مع رئيس حكومة الإئتلاف وأحد قياديّي حزب "الجنتا" اليميني المعروف بميوله الغربية (موراجي دي ساي) _ كما ذكرنا من قبل _ والذي حكم الهند من سنة ١٩٧٧حتى سنة ١٩٧٩. وكان "سواروب" هذا قد تمّ تجنيده سنة ١٩٥٩، من قبل القنصل الإسرائيلي في بومبي . وكان "راما سواروب" قد اعتقل في شهر تشرين الأول/ أكتوبر سنة ١٩٨٥ بتهمة التجسس ، وكان يوصف بأنه "رجل اللوبي الإسرائيلي" والذي عمل تحت غطاء (رابطة شعوب آسيا المناهضة للشيوعية ) والتي تتخذ من تايوان مقراً لها.

وقد اضطرت فضيحة إلقاء القبض على "سواروب" وزيرين لتقديم استقالتهما _لعلاقتهما به_ وكان سواروب قد سلم معلومات سرّية (أمنية وسياسية) إلى عدة دول منها الولايات المتحدة الأميركية وألمانيا الغربية و"إسرائيل" وتايوان.

٢-العمل على زعزعة وضع الهند الداخلي والمساهمة في إثارة القلاقل والاضطرابات _ من خلال مساعدة بعض الأطراف الإنفصالية ، وتغذية الفتن الطائفية _ ومن هنا تبرز أهمية تواجد "الموساد" في سيريلانكا كمحطة يدار منها التخريب ضد الهند ، ويبرز أيضاً في هذا المجال متفجرة مدارس الهندي والتي هي من صنع الموساد _.

٣-إن هناك نشاطاً إستخبارياً مضاداً في الهند ، تشترك فيه "الموساد" وذلك للتعرّف على "الوضع الدفاعي" في الهند ومنشآتها . وبرز ذلك في اعتقال شبكة تجسس "كومار ناريه" _ كما تقدّم _ باعتباره رجل أعمال يعمل في شركة لصناعة آلات النسيج _ وفيها رجل أعمال فرنسي أيضاً _ وواضح هنا تورّط الإستخبارات الأميركية (سي آي إي) في هذه الشبكة بالإضافة الى خمس دول من حلف الأطلسي . وقد نشطت هذه الشبكة مدة أربع سنوات قبل اعتقالها ، حيث كان متورطاً فيها أكثر من (٦٠) مسؤولاً حكومياً وعسكرياً منهم ثلاثة مسؤولين في وزارة الدفاع الهندية .

٤-تحاول "الموساد وإسرائيل" مدّ خيوطها في الهند بكافة الأشكال والوسائل والأساليب . فلقد دعت قاضي المحكمة العليا في الهند "رام طملاني" لحضور المؤتمر اليهودي العالمي الـــ ٢٥ في القدس .

٥-كما تحاول" الموساد"_ بكافة الوسائل_ أيضاً التأثير على سياسة (غاندي _ الفلسطينية). إذ أن ترتيب أي نوع من العلاقات مع الهند يعتبر من مهام الموساد. ولقد ذكرت الأنباء أن "إسرائيل" طلبت إذناً من الهند للسماح لطائراتها بالانطلاق لضرب المفاعل النووي الباكستاني، وذلك لعدم تمكين أية دولة إسلامية أو عربية من بناء أي مفاعل نووي حتى لا يشكل ذلك أي خطر (عربي أو إسلامي) على دولة الإحتلال الصهيوني . ولقد استغلت "إسرائيل" العلاقات الحرجة بين كل من الدولتين المتجاورتين (الهند والباكستان)، لكن الهند رفضت ذلك بشدة .

هذا وإذا علمنا بأن الهند كانت منذ قيام الكيان الصهيوني ، "هدفاً إسرائيلياً" مهماً ، فإننا لا نستغرب بعدئذ تلك المعلومات التي تفيد بأن دافيد بن غوريون كان يضع صورة "المهاتما غاندي" في صدر مكتبه ... وطبعاً ليس حباً بهذه الشخصية المميّزة ، بل لهدف أبعد بكثير من هذه الصورة ومن صاحبها أيضاً ... إنه، ولا شك ، أسلوب المكر والخديعة اليهودي الصهيوني في "الإيقاع بالفخّ" واصطياد الطريدة ...

## المراجع


(١) راجع مجلة "العالم". العدد ١٤٩. السبت في ٢٠ كانون الأول سنة ١٩٨٦. ص ٨٠

(٢) د. وجيه الحاج سالم وأنور خلف " الوجه الحقيقي للموساد" . مرجع سبق ذكره. ص ٣٧٣-٣٧٥.

(٣) مجلة "شؤون فلسطينية" . العدد ٦٨-٦٩. تموز – آب ١٩٧٧.

(٤) جريدة "هآرتس" الإسرائيلية . في ١٩آب ١٩٨٥ و ١٩٨٥/١/٢٢.

(٥) جريدة "يديعوت أحرنوت" في١٩٨٦/١/٢٩.

(٦) جريدة "القبس" الكويتية في ١٩٨٥/١/٢٣.

(٧) وأيضاً كتاب**the children of Israel**

**black well ١٩٧١, The bene Israel of Bombay oxford Basi Shifra Strizo wer.**


وفي هذا الكتاب تفاصيل كثيرة عن تاريخ اليهود في الهند ، كما ذكر الباحثان وجيه سالم وأنور خلف .

# الفصل العاشر

## رئيس وزراء أسترالي جاسوس صيني.

يعمد الكثيرون أحياناً الى طمس بعض الحقائق إبتغاءً لهدف شخصي أو ما شابه ؛ وفي اعتقادهم أن طمس الحقيقة أو إخفاءها هو موت لها . لكنهم في هذا الإعتقاد مخطئون ، لأن الحقيقة لا تموت ، ولا يمكن أن تموت ، وإن نامت أحياناً ؛ وليس كل نوم موت .

وعالم المخابرات والجاسوسية عالم يضجّ "بالحقائق المنوَّمة"، ولكن إلى حين ، وليس بصورة أبديّة .وغالباً ما ينفض "صاحب العلاقة" عن نفسه غبار الماضي المخفيَّ ليبرز على حقيقته ، أو بالأحرى ليظهر الحقيقة على حقيقتها دون لفّ أو دوران ، مع أنه كان يفرط في إخفائها يوم كان مقتنعاً أن هذا الإخفاء واجب يفرض ذلك . كما يبادر آخرون أيضاً الى فضح حقائق كانوا يظنوّن فيما سبق أنّها أسرار ومحرّمات لا يجوز البوح بها مهما كانت الظروف ... وهكذا تطل الحقيقة بصورتها اللامعة رغم أطنان

التراب التي طمرت بها وحرمتها _ حتى _ من التنفس. والأمثلة كثيرة على الحالتين في كل زمان ومكان .

وليست قصة رئيس الوزراء الاسترالي "هارولد هولت"، وتجسّسه لصالح الصين عشرات السنين ، سوى أحد النماذج في هذا المجال .

فما هي قصة هارولد هولت هذا ؟

وكيف وقع في شبكة الجاسوسية الصينية ؟

وما هي نتيجة هذه القضية ؟

في مطلع العام ١٩٨٥، أصدر صحفي إنكليزي هو "انطوني جري" كتاباً جديداً في لندن وسيدني معاً ، كشف حقيقة اختفاء هارولد هولت، رئيس وزراء استراليا في صيف عام ١٩٦٧.

وقد اعتمد في كتابه هذا على وقائع ووثائق صحيحة _ كما قال _، نافياً الرواية التي أشيعت يومئذ عن غرق رئيس الوزراء ... ويؤكد أن مجموعة من رجال الضفادع البشرية التقطته وحملته الى غوّاصة صينية ، ثم اوصلته الى بكين ، لأن أمره انكشف ، وأصبح من الخطر على الصين أن تتركه يواجه مصير الجواسيس .

وإذا كانت أستراليا قد كذبت الخبر _ الكتاب، لكن المؤلف ( أنطوني جري) أجاب على حملة التكذيب قائلاً:" كيف أستطيع أن أكتب هذا من خيالي ؟ إن تحت يدي وثائق وأدلة قاطعة لا تقبل التكذيب ".

بدأت علاقة هارولد هولت مع الصين عام ١٩٢٩، حين أراد أن يعدّ بحثاً في الجامعة عن الصين ، فاستعان بالسفارة الصينية في ملبورن ، حيث قام القنصل "سنج" باجتذابه بمنحه كل المعلومات المطلوبة مع رجاء بإعطاء "سنج" نسخة من البحث!!! واعتبر هولت هذا الطلب تقديراً لنبوغه وأهميته .

وبالطبع ، فقد أثنى "سنج" على البحث وطلب من الشاب أن ينشره له في إحدى الصحف الصينية ، وبالتالي فقد دفع له مبلغاً خيالياً في ذلك الوقت مقابل نشر المقال . وتوالت المقالات... والأموال... وكان الناشر الوهمي هو الإستخبارات الصينية . وحدث أن انفصل والده عن والدته في هذه الفترة ، فانغمس هولت في اللهو ، وقد وفرت له مقالاته ما جعله ينفق بسخاء شديد ، ولا سيّما أنه كان من عاشقي الذات والإثارة وجذب الأنظار ... وهكذا استمر حتى تعلق بفتاة هي "زارا ديكتر" التي ملّت من هروبه فتزوجت عام ١٩٤٦من رجل آخر فأورثت هولت أزمة عاطفية كبيرة تجاوزها ظاهرياً حين تخرّج من الجامعة واشتغل محامياً . وحين أحب ثانية فوجئ بفتاته تتزوج والده الثري فانتهت علاقته مع أبيه. كل هذا دفعه الى المقامرة . وهذه دفعته الى القنصل الصيني الذي كشف له حقيقة الدور المطلوب منه . فدخل الطريق الصعب الذي لا عودة منه . وبدأ يعمل بنصح القنصل وتوجيهات المخابرات الصينية .

وحين جاءت حكومة "منـــزيس"، وهو إنكليزي الميول ، صعد نجم هولت فأصبح نائباً في البرلمان . وسرعان ما تغيرت البعثة الدبلوماسية الصينية ، فجاء القنصل الداهية "لي هنج" بدلاً من "سنج" الذي سرعان ما ورّط هولت في الجاسوسية المكشوفة للطرفين ، وراح يدفعه أماماً ويستنـــزفه دوماً . فكان على هولت أن يطرح في البرلمان الأسئلة التي ترسلها له الصين ، مثل: هل ستقوم أستراليا ببناء مدمّرة بحرية جديدة لحساب بريطانيا ؟. ثم توغّل النائب هولت أكثر حتى أنه راح يرسل صوراً كاملة عن اجتماعات وقرارات مجلسي النواب والوزراء الأستراليين الى الصين . وهكذا تحوّلت الشخصية الأسترالية الكبيرة الى حجر شطرنج سهل التحريك .

فجأة تتغير الوزارة في أستراليا وكذلك البرلمان بسبب أحداث الحرب العالمية الثانية ، فيخرج هولت بعيداً عن الضوء . لكن الأموال الصينية تظل تصله باستمرار . وتأتي المفاجأة الثانية من الصين حيث تتغير الأوضاع بقدوم "ماوتسي تونغ" وتقع تقارير هولت في يد المناوئين "لشان كاي تشيك" فيقرر هؤلاء مداومة الإتصال به ما دام مفيداً لهم .

وما إن تمر ثلاثة شهور (كانون الأول ١٩٤٩) على إعلان الصين كجمهورية ، حتى تجري في أستراليا إنتخابات جديدة يعود على أثرها حزب الأحرار الى الحكم ... ويعيد رجله اللامع هولت ليصبح الساعد

الأيمن لرئيس الوزراء "روبرت منــزيس".. الذي يمهد السبيل أمام هولت الذي يتسلم رئاسة الوزراء بدءاً من عام ١٩٦٥ حتى الإختفاء المدبّر عام ١٩٦٧.

خلال هذه الفترة ، إستطاع الوزير الأول ورئيس الوزراء فيما بعد أن يجعل الصين تحكم استراليا . وأن يسرّب للصين جميع المعلومات الأسترالية والدولية التي يحصلها من خلال اجتماعاته مع أنداده في العالم. كل هذا والأموال الصينية تتدفق عليه حتى أنه بحسب الوثائق قبض (٣٠) ألف جنيه بين ١٩٥٢و ١٩٥٥. وهومبلغ هائل في وقته . لقد سقط الرجل تماماً في يد الإستخبارات الصينية ، فلديهم من الوثائق ما يكفي جزء صغير منه لتدمير هارولد هولت ... فلا طريق أمامه إلا الإمعان في سيره والاستسلام النهائي والكامل .

وتجري الرياح مع بداية عام ١٩٦٧، بما لا تشتهي السفن ، فيدرك جهاز المخابرات الأسترالي الذي أسس في عهد روبرت منــزيس بطريقة إنكليزية قوية أن هولت غير أمين على الأسرار التي بوسعه معرفتها . فتجري عملية مراقبته بشدّة بدعوى حمايته ... وترغمه علاقته مع الصين على زيارة السفارة الصينية وتسليم المعلومات ... فيصار الى التشديد عليه حتى يدرك بنفسه انكشاف أمره! لكن لماذا لا يلقون القبض عليه ؟. يفتش عن الإجابة ، وحين يتأكد أنهم لا يريدون تفجير فضيحة تودي بسمعة البلاد ...يذهب في عطلة نهاية الأسبوع مع ثلة من رفاقه للإستجمام

والسباحة ويتوغل بعيداً عن زملائه ... ثم يغوص لتلتقطه الغوّاصة الصينية، بينما يتأكد أصحابه من غرقه ...

وتجري الحكومة البحث المكثف الوهمي عن رئيس وزرائها الغريق ... ثم تعلن الحداد على ميت ... يعيش بهدوء في ظل ثقيل في العاصمة الصينية: بكين .

وهكذا كوفئ هارولد على "خدماته" بإنقاذه من المراقبة... والشكوك... التي كان من الممكن أن توقعه في الفخّ الأسترالي . إلا أن "الفخّ الصيني" كان أكثر خبرة وذكاء ، فالتقطه في الوقت المناسب ليحيا بقية حياته بعيداً عن هواجس الإعتقال والسجن ... والفضيحة .

المرجع

(١)مجلة "الحرس الوطني" ( السعودية ). جمادى الأول ١٤٠٥ هـــ شباط/ فبراير ١٩٨٥م. ص ١٢٧.

# الفصل الحادي عشر

## قضية التجسس النووي والصاروخي
## على الولايات المتحدة الأميركية(*)

شكلت قضية التجسس النووي والصاروخي ضد الولايات المتحدة الأميركية، مسألة على جانب كبير من الأهمية والخطورة ، حيث كان بطلاها كلاً من مسؤول قسم مكافحة التجسس ضد الإتحاد السوفياتي "ألدريك إيمس" ومع ذلك كان هو جاسوس الإتحاد السوفياتي في هذا القسم ، و "روبرت فيليب هانسين". فما هو سرّ هذه القضية ؟ وكيف تطورت فصولها ؟

في ٩ أيار ٢٠٠١ عقدت اللجنة المعنيّة بنشاط المخابرات الأميركية في مجلس الشيوخ جلسة قدم فيها رئيسها ريتشارد شيلبي تقريراً بعنوان:"المخابرات والتجسس في القرن الواحد والعشرين" نشرت منه مؤسسة دراسات كاثرين أند شيلبي للدراسات الدولية (٦/٩/٢٠٠١) بعض النصوص جاء فيها : "خلال السنوات الأربع التي رئست فيها اللجنة تم عقد أربع جلسات نقاش حول مسائل التجسس المضاد والأمن، ومن

ضمن ذلك التجسس النووي، وسرقة الصين لتقنية صناعة الصواريخ، وقضية الجاسوس هانسين.

وهذه المسائل لا يتعين أن تشكل مفاجأة، فالتجسس أعتبر "ثاني أقدم مهنة" في العالم، وهو كما قال أحد المسؤولين في (السي آي إي) سابقاً "عمل على غرار أقدم مهنة في العالم لا شرف فيه ولا احترام"، (يقال إن أقدم مهنة في التاريخ كانت البغاء). فقد رافقنا التجسس منذ إرسال موسى عملاءه للتجسس على أرض كنعان، ومنذ إرسال الفلسطينيين القدماء "دليلة" لإكتشاف نقطة ضعف شمشون. وما زال الجواسيس موجودين في أيامنا هذه بالطبع. وأنا لا أحاول هنا عرض تاريخ التجسس منذ وضعت التوراة، لكنني أريد انتهار هذه الفرصة لعرض بعض المسائل المهمة في تاريخنا القريب، وبعض الدروس المستخلصة منه، وبعض التحديات الجديدة والقديمة التي تواجهنا في هذا العرض حول التجسس المضاد في القرن الواحد والعشرين. ودعوني أؤكد هنا أنه نظراً للطبيعة الحساسة جداً لمثل هذه المواضيع، خصوصاً وأن بعضها ما زال في إطار التحقيق المتواصل فسوف أتحدث بلغة عامة في معظم المسائل.

وأول ما سأتطرق إليه هو أنه بالإضافة الى قضية اعتقال ألدريك إيمس وهانسين والجاسوس الصيني وين هولي، ثمة عرض مستمر لاعتقالات أخرى وإدانات أخرى بتهمة التجسس والتجسس المضاد .

ففي تموز ١٩٩٧ تحدثت تقارير المخابرات عن اكتشاف ١٢٠قضية تجسس، أو قضية تتعلق بأنشطة جاسوسية ضد الولايات المتحدة الأميركية ما بين أعوام ١٩٧٥_حتى ١٩٩٧. ولا ننسى أن هذا العدد لا يشمل ما لم نكتشفه. فمنذ ذلك الوقت ظهرت بعض القضايا مثل بيتر لي وقضية "سكيلا كوت، وتروفيموف" ودافيد بوند أحد المسؤولين في وكالة الأمن القومي NSAوقضية دوغلاس غروت داخل (السي آي إي) وقضية ماريانو فاجيت جاسوس كوبا وفي النهاية قضية هانسين الأخيرة .

إن النجاح في مهام مكافحة التجسس أو الفشل فيها يتعلق بمدى استيعاب الدروس والعبر أو عدم استيعابها . وأنا سأركز هنا على بعض الدروس المستخلصة من أكثر القضايا التي نجم عنها تدمير كبير في وقتنا القريب. وهي قضية الدريك إيمس وتجسسه على البرامج النووية والصاروخية الأميركية وقضية هانسين الأخيرة .

## قضية إيمس أكبر كارثة تجسس:

إستخلصت التحقيقات التي جرت حول قضية إيمس في لجنة المخابرات التابعة لمجلس الشيوخ أن هذه القضية تشكل كارثة كبيرة. فقد تضمنت عناصر هذه الكارثة ما يلي :

١-فقدان التنسيق بين (السي آي إي) ومكتب التحقيقات الفيدرالي(FBI) (إف بي أي) .

٢–وجود مشاكل تربوية أساسية وتنظيمية في وكالة مكافحة التجسس داخل (السي آي إي).

٣–عدم انتباه عنيد للمشاكل التي تدل على عدم تناسب إيمس في مهمته أو منصبه الكبير ـ(كان إيمس مسؤولاً عن قسم مكافحة التجسس ضد الإتحاد السوفياتي ومع ذلك كان هو جاسوس موسكو داخل ذلك القسم المهم ) ـ

٤–الفشل الذريع في رصد اتصالات إيمس مع المسؤولين السوفيات وفي التنسيق بين أجهزة المخابرات للكشف عنها .

٥–الفشل في حصر تعيينات إيمس رغم الإشارات التي تدل على تصرفاته الغريبة .

٦–عيوب برنامج (البوليغراف ) (جهاز لكشف احتمالات الكذب) الذي فحص إيمس ولم يكتشف احتمالات كذبه.

٧–العيوب التي ترافق عملية الاطلاع على المعلومات السرية جداً. ولعل أكبر الأخطاء أو عناصر الكارثة تكمن في فشل (السي آي إي) في متابعة وكشف أي ظاهرة يمكن استخلاصها من تجسس إيمس، خصوصاً حين أدى ذلك الى تصفية المخابرات السوفياتية لعدد من الجواسيس الروس في موسكو بعد إبلاغ إيمس موسكو عن تجسسهم لصالح واشنطن في عام ١٩٨٥ و ١٩٨٦ .

ففي عام ١٩٨٦ ظهر تماماً (للسي آي إي)، كما جاء في تقرير التحقيق ، أن جميع جواسيسنا في موسكو إما تم اعتقالهم أو إعدامهم . ومع ذلك ، لم تكتشف "السي آي إي" أن إيمس هو الذي سلمهم قائمة الجواسيس إلا بعد ثماني سنوات (عام ١٩٩٤ حين اعتقل إيمس). وحتى مكتب (الإف بي آي) يتحمل هو أيضاً المسؤولية لأن اثنين من جواسيسه في موسكو إعتقلا بعد أن أبلغ عنهما إيمس في حزيران ١٩٨٥ ولم يقم بالجهد الكافي لمعرفة الأسباب . والغريب تماماً أن الجاسوسين التابعين لـــ "الأف بي آي " كانا من الضباط الكبار في (الكي جي بي ) وإنضم إليهما ثالث أخر، كان هانسين (الجاسوس الذي أعتقل عام ٢٠٠١ ) وكان يعمل لصالح موسكو على غرار إيمس في العهدين السوفياتي وما بعد إنهيار الإتحاد السوفياتي، وقد أبلغ عنهم لموسكو في تشرين أول عام ١٩٨٥ أي بعد أن سبقه إيمس في الإبلاغ عنهم ببضعة شهور. وأعدم السوفيات إثنين واحتفظوا بثالث في السجن. وكل هذا يحدث دون ملاحظة ما يجري .

## الصين تسرق الأسرار النووية الأميركية :

أريد الآن الإنتقال الى عملية التجسس الصينية ضد وزارة الطاقة وبرنامج الأسلحة النووية الأميركية. فعلى النقيض من "قضية إيمس" فشلت جميع التحقيقات المكثفة التي وجهت نحو قسم المعلومات عن الأسلحة النووية في حل المسائل الأساسية المهمة بهذا الشأن.

فالكل متأكد من وجود عملية تجسس بلا أدنى شك. وفي نيسان عام ١٩٩٩ توصلت اللجنة المعنيّة لتقييم الأضرار من عملية التجسس النووية الصينية الى نتيجة هي :"إن الصين حصلت عن طريق التجسس على معلومات في غاية السرية عن الأسلحة النووية الأميركية" لكن ما نجهله وما لم نستطع معرفته هو : كيف تم للصين الحصول على هذه المعلومات وممن ؟ وبسبب ذلك لم تتوفر لدينا معرفة ما يكفي من تلك القصة لكي نحاول تحديد واستخلاص العبرة المناسبة مما وقع.

ومع ذلك ، هناك الكثير مما نعرفه عن المشاكل الأمنية العامة وطرق مكافحة التجسس في مختبرات وزارة الطاقة النووية الأميركية التي تضم وثائق هائلة. وأنا لا أريد التطرق الى هذا الأمر بالتفصيل. لكنني أريد أن أؤكد هنا أنه على الرغم من تاريخ التجسس ضد المخابر النووية ، والقيمة الواضحة للمعلومات النووية الموجودة فيها، إلا أن برنامج مكافحة التجسس الخاص بوزارة الطاقة لا تتوفر فيه أدنى معايير الأمن. وهذا ما ذكره مدير البرنامج الأمني في تشرين ثاني عام ١٩٩٨. فقد أدلى بشهادة قال فيها إنه لا يوجد برنامج لمكافحة التجسس ولم يكن في وزارة الطاقة برنامج كهذا خلال سنوات طويلة وهذه مشكلة مخيفة جداً. لكنني أريد هنا توضيح أنه على الرغم من الإنتقاد الذي وجه نحو التحقيق مع (الجاسوس الصيني) وين هولي ونحو محاكمته، إلا أننا لا ينبغي علينا عدم رؤية الحقائق . فالدكتور وين هولي قام بنسخ متعمد لكميات هائلة من

المعلومات المتعلقة بالأسلحة النووية من كومبيوتر بما يعادل ٤٠٠ ألف صفحة من الأسرار النووية التي تمثل ثمرة ٥٠ عاماً من الأبحاث النووية وتساوي مئات المليارات من الدولارات من تكاليف البحث والعلوم النووية .

## التحقيق في قضية هانسن:

أعتقل روبرت فيليب هانسين في ١٨ شباط ٢٠٠١، وفي ٥ آذار الماضي توجهت لجنة شؤون المخابرات في مجلس الشيوخ الى المفتش العام في وزارة العدل بطلب تدعوه فيه الى إجراء مراجعة حول مسألة هانسين. وفي ٧ آذار سمح للجنتنا بتعيين لجنة تحقيق منفصلة . وبسبب التحقيقات المستمرة مع هانسين لا أستطيع عرض أي تفاصيل عن نشاطات هانسين إلا بحدود ما تم الإعلان والنشر عنه من قبل (إف بي آي) ووزارة العدل. وفي هذه المناسبة ثمة الكثير من المعلومات التي يمكن استخلاص الدروس والعبر منها. لكن من السابق لأوانه عرضها الآن . وما سأتحدث عنه هنا هو أن لجنتنا سوف تعد موجزاً عن قضية هانسين ومنصبه في (إف بي آي) وعما قام به من تجسس. لكن المسألة المهمة هي ان وزارة العدل تصف نشاطاته التجسسية منذ عام ١٩٨٥ وحتى١٩٩١، ومن عام ١٩٩٩ حتى

شباط ٢٠٠١ يوم اعتقاله. وهذا يوضح وجود ثمانية أعوام تشبه الثغرة في نشاطاته التجسسية.

هذا، وبالنظر الى ما كان يمثله هانسين من أهمية بالغة في قسمه ونطاق عمله، وما يترتب عليه من مخاطر وعواقب في الوقت نفسه، فقد بقي تجسسه لصالح الإتحاد السوفياتي وروسيا، لغزاً محيّراً للمخابرات الأميركية ومكتب التحقيق الفدرالي (F.B.I) على السواء، خصوصاً فيما يتعلق "بنوعية البضاعة" التي قدّمها هانسين في هذا الصدد.

ولكي تتعرف أجهزة المخابرات الأميركية على كل ما كشفه الجاسوس من معلومات للجهات الأخرى تقوم عادة بمساومته على تخفيف الحكم ضده إذا ما كشف كل ما لديه. أما القضاء الأميركي فيقوم هو أيضاً من جانبه بمساومة الجاسوس على تخفيف مدة العقوبة إذا تعاون مع إجراءات القضاء واعترف بدلاً من النكران وخلق الصعوبات القضائية في إدانته وما تكلفه هذه من أموال.

وكان روبرت هانسين، آخر جاسوس تم إعتقاله من قبل مكتب التحقيقات الفدرالي (إف بي آي) في مستهل عام ٢٠٠١، قد واجه هو وزوجته مثل هذه المحاولات من السلطات الأمنية والقضائية الأميركية . ففي ١٦ حزيران ٢٠٠١ كشفت شبكة (سي إن إن) العالمية للأخبار أن المخابرات الأميركية والقضاء أقنعا زوجته بالتعاون من أجل تحديد الوقت

الذي شعرت فيه أن زوجها يعمل لصالح المخابرات السوفياتية ثم الروسية لاحقاً. ولإقناعها بالتعاون تقوم الهيئة المسؤولة الآن بدراسة إمكانية إعطاء بوني زوجة روبرت هانسين الحق بإستلام التقاعد الشهري الذي يخصصه مكتب التحقيقات الفيدرالي لزوجها روبرت.

أما روبرت فقد أقنع بالإعتراف أمام القضاء بتهمة التجسس وبسلسلة التهم المرفقة في لائحة الإتهام مقابل إسقاط حكم الإعدام عنه والاكتفاء بالسجن مدى الحياة دون حق بالعفو.

وتقول (سي إن إن) ٦/١٦ إن "هانسين كان قد أقنع زوجته أنه باع حقاً معلومات مخابراتية أميركية أثناء عمله في مكتب (إف بي آي) للإتحاد السوفياتي عام ١٩٧٩. لكن ما زودهم به من معلومات كانت الغاية منه خداعهم والاحتيال عليهم . وذكرت زوجة الجاسوس هانسين للمحققين في المخابرات الأميركية أن زوجها لم يعترف لها عن نشاطه التجسسي إلا بعد أن راودتها الشكوك وناقشت الأمر معه. فوعدها أنه لن يعود لمثل هذه النشاطات من جديد. وشكلت هذه المعلومات الجديدة من الزوجة حالة اضطراب في ملف تحقيق هانسين والمعلومات التي أدلى بها لأن الأدلة لدى المحققين الأميركيين كانت توضح أن هانسين بدأ عمله التجسسي منذ عام ١٩٨٥، في حين أن زوجته تقول إنها تحدثت معه في هذا الشأن عام ١٩٧٩؟. والطريف هنا أن المخابرات الأميركية لا تعرف ما كشفه

هانسين للسوفيات من معلومات خلال الفترة الممتدة من عام ١٩٧٩ حتى ١٩٨٥ طالما أن زوجته تقول ذلك.

ولن يبقى في هذه الحال سوى الإعتماد على ما يمكن أن يقوله هانسين نفسه دون وجود ما يمكن للمخابرات الإستعانة به سوى زوجته. وتقول سي إن إن :"وذكرت مصادر أميركية أمنية أن، ما يفهم من إعتراف هانسين لزوجته عام ١٩٧٩ يشير الى أنه عندما كانت عائلة هانسين تسكن في سكارسديل ـ نيويورك ذهب هانسين بعد اعترافه لزوجته بالتعامل مع السوفيات عام ١٩٧٩ الى قسيس كاثوليكي إعترف له أيضاً وطلب الصفح، فأشار عليه القسيس بالتبرع بالمال الذي حصل عليه من السوفيات الى الجمعيات الخيرية.

## إعفاء القسيس من الشهادة :

وبعد فترة من الوقت أبلغ هانسين زوجته أنه تبرع بما حصل عليه من السوفيات الى جمعية (الأم تريزا). ومع ذلك يقول أحد المطلعين على التحقيق إن مكتب (إف بي آي ) لم يحاور القسيس المذكور علماً أن الخبراء في القانون يعتبرون أنه من الصعب توجيه أي إتهام لممثل الكنيسة.

ويقول بول روتشتاين رجل القانون من مركز جورجتاون : "بموجب القانون الأميركي يوجد هنا إمتياز خاص لأن هانسين قدم اعترافاً لراهب تعبيراً عن الندم وطلب الغفران. وهذا الإمتياز للراهب لا يمكن خرقه إلا

إذا حضر شخص ثالث واستمع الى اعتراف هانسين أمام الراهب . لكن الإعتماد على اعترافه لزوجته بالتجسس منذ عام ١٩٧٩ أمر يستدعي استجواب زوجته ولا يشكل خرقاً للعلاقة الخاصة أو الإمتياز المماثل بين الراهب والمعترف". ومع ذلك ما زال رجال المخابرات والقانون الأميركي عاجزين عن التثبت من صحة ما قالته بوني. كما أنه ليس لديهم أي سبب للإعتقاد بعدم صحتها بشكل كامل. وتؤكد هذه المصادر عدم وجود أي دليل على معرفتها بنشاط زوجها التجسسي بعد عام ١٩٧٩ ولذلك لن يوجه لها القضاء أي تهم بالتواطؤ.

وكانت لائحة الإتهام التي وجهت ضد هانسين تضم معلومات تفيد أنه حصل على ١,٤ مليون دولار نقداً من المخابرات السوفياتية والروسية إضافة الى قطع من الماس مقابل تزويدهم بمعلومات عن الحرب النووية وأجهزة التنصت والرصد الأميركية . ويشير الإدعاء العام الأميركي الى تسبب هانسين بمقتل اثنين من العملاء المزدوجين التابعين لـــ(السي آي إي) على أيدي المخابرات السوفياتية بعد أن كشف سرهما ".

## الأفضل أن يبقى حياً:

لكن مصادر أمنية أميركية أخبرت (السي آي إي) ٢٠٠١/٦/١٦ عن وجود خلاف بين رئيس "السي آي إي" جورج تينيت ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد حول مسألة إعدام هانسين أو إبقائه حياً، فتينيت يفضل

الإبقاء على حياة هانسين داخل السجن مدى الحياة في حين يدعو رامسفيلد الى الحكم عليه بالإعدام . ويبدو هنا أن عقلية تينيت تريد مواصلة الإستعانة بهانسين حتى بعد الحكم عليه بالسجن المؤبد لصالح مقارنة بعض المعلومات التي قد تتكشف مع مرور الوقت في الحرب التجسسية المستمرة بين روسيا وواشنطن . ومن المؤكد أن تينيت سيزداد تفضيله للإبقاء على حياة هانسين بعد الكشف عن سنوات عام ١٩٧٩-١٩٨٥ التي يتعين معرفة ما قدم خلالها هانسين من معلومات للسوفيات . وتقول هذه المصادر إن ما كشفته زوجة هانسين لن يؤثر على اتفاق الإدعاء العام مع هانسين بعدم الحكم عليه بالإعدام مقابل اعترافه وتعاونه مع الأدلة المقدمة ضده الى المحكمة .

## مراقبة دائمة:

وكان لاري تومبسون نائب المدعي العام الأميركي قد أعلن رغم ذلك أن قبول عقد اتفاق مع هانسين مقابل اعترافه صعب جداً أمام خطورة الخيانة التي اقترفها . لكنه أضاف :" حين نختار طريقة الإتفاق فسوف نصمم على أن تكون مصلحة الولايات المتحدة هي المستفيد الأول من هذا الإجراء مقابل كشف هانسين عن كل النشاطات التجسسية التي نفذها . ولا شك أن صفقة الإتفاق معه ستوفر لحكومتنا إمكانيّة التقييم الكامل لما قام به والنتائج التي ترتبت".

وكان هانسين الذي أعتقل في شباط الماضي متلبساً ، بعد كمين من (إف بي آي) أثناء وضعه رزمة من المعلومات قرب إحدى الحدائق ، قد ظهر أمام المحكمة في حزيران بثياب السجن والتفت إلى بعض الموظفين في (إف بي آي) التي كان يعمل فيه وابتسم أمامهم . وأثار هانسين متاعب داخلية وإرباكات شديدة لأجهزة الأمن الفيدرالي (إف بي آي). ويقول بلاتو كاشيريز محامي الدفاع عن هانسين والذي كان قد اختير للدفاع عن ألدريك إيمس أخطر جاسوس أميركي لصالح السوفيات والروس من قبل:"لقد ضمنت الإتفاقية مع الإدعاء العام نجاة هانسين من حكم الإعدام. وسوف يحكم عليه في جلسة مقبلة ستعقد في ٢٠٠٢/١/١١ بالسجن مدى الحياة . وكما قلت في المحكمة بدأت نشاطاته التجسسية في عام ١٩٧٩. لكن الحكومة لا تعلم شيئاً مما قام به منذ عام ١٩٧٩ وحتى عام ١٩٨١. ثم توقف هانسين عن التجسس عام ١٩٨١ ،وفي عام ١٩٩٢ لأسباب شخصية، ثم استأنف نشاطاته عام ١٩٩٩. ويقضي الإتفاق مع الإدعاء العام وعدم الحكم على هانسين بالإعدام أن يجتمع هانسين مع المختصين في (إف بي آي) و (سي آي إي) وغيرهم من رجال المخابرات وإطلاعهم على كل ما قام به والإجابة بصدق عن كل سؤال يوجهونه له .

ويقول كاشيريز :" إنني أشعر أن هانسين لم يقبل بهذه الشروط لكي ينجو من الإعدام فقط بل لأنه يرغب أيضاً بإصلاح الأمور ولذلك

سيتعاون كثيراً وسيتحدث عن كل شيء". لكن المدعي العام لا يصدق ذلك ويدعو الى وضع هانسين طوال سجنه تحت مراقبة دائمة لا تتوقف.

## المراجع

(١) نشرة مؤسسة دراسات كاثرين أند شيلبي للدراسات الدولية في ٦/٩/ ٢٠٠١.

(٢) "المحرّر العربي" . العدد (٣٠٦). من ٣-٩ آب ٢٠٠١. ص ١٦.

(٣) "المحرّر العربي". العدد (٣١٢). من ١٤-٢٠ أيلول ٢٠٠١. ص .١٦.

# الفصل الثاني عشر

## مخابرات الجيش اللبناني تهزم "الموساد" وتعدم عميلة "أحمد الحلاق " في بيروت.

منذ قيام دولة الإحتلال الصهيوني على أرض فلسطين العربية عام ١٩٤٨، كان للبنان و"شعبته الثانية" ( المخابرات اللبنانية ) دور مهم في مناهضة هذا الوجود ومقاومته . وطبيعي أن يكون للمخابرات والتجسس مكان أساسي في هذا المجال ضد هذا العدو .

هذا ، وتشير الوثائق المتعلقة بتلك الفترة أن "الشعبة الثانية "اللبنانية و"الشعبة الثانية" السورية ،وكذلك الأردنية ، كانت في تعاون وتنسيق بينها في هذه المسألة باعتبار أن العدو الصهيوني _ وإسرائيل _ هي العدو المشترك للعرب ككل ، ويجب تضافر الجهود في سبيل مواجهة هذا الخطر الذي يتجاوز هذه الحدود الجغرافية الى ما هو أبعد بكثير من الجغرافيا ... وهكذا كان .

وفي إحدى اللقاءات مع العميد المتقاعد في الجيش اللبناني "فرنسوا جينادري" أخبرنا عن دوره في تأسيس شعبة مكافحة التجسس الإسرائيلي،

حيث كانت بقيادته في تلك الفترة . كما كان ينشط "ميدانياً" في هذا الحقل ، وكثيراً ما دخل إلى فلسطين المحتلة مع "عملائه"من الفلسطينيين الذين كانوا يعرفون طبيعة الأرض ، كما يعرفون المداخل والمخارج معرفة دقيقة . وكانت "ترشيحا" نقطة اللقاء بين "المتسلّلين " و "المقيمين" الذين كانوا يزوّدون الضابط فرنسوا جينادري بالمعلومات والوثائق . الىأن اكتشف أمرهم أخيراً في عام ١٩٥٧، ولم يعد بإستطاعتهم الدخول كما في المرات السابقة ... فتغيّر الأسلوب والطريقة في الحصول على المعلومات ومتابعة الوضع الإسرائيلي مخابراتياً ...

من هنا يتوضح ، أن المخابرات اللبنانية نجحت في أحيان كثيرة في تضليل الموساد _ رغم تفوّقه _ كما نجحت في اعتقال شبكات جاسوسية له في لبنان والتي كان يعتمد عليها إعتماداً فائقاً _ كما هو الحال مع شبكة شولا كوهين مثلاً _، كما وجّهت ضربات مؤلمة لهذا الجهاز في أكثر من موقع ومناسبة . وتعتبر عملية اعتقال العميل " أحمد الحلاّق " واستقدامه من منطقة "الشريط المحتل" في جنوب لبنان ، إلى بيروت ، ومن ثم إعدامه ، من أهم العمليات التي حقق فيها جهاز المخابرات اللبنانية في الجيش إنتصاراً ساحقاً على جهاز الإستخبارات الإسرائيلية بجميع فروعها وتنوّعها.

فكيف تمت هذه العملية ؟ ومن هم أبطالها ؟

إتخذت مديرية المخابرات في الجيش اللبناني قراراً باعتقال الحلاق وسوقه محفوراً في تحدّ ظاهري للإستخبارات الإسرائيلية التي كانت مسؤولة عن سلامة عميلها ، وتوافرت معلومات أمنية دقيقة عن عودته من الخارج الى منطقة "الشريط المحتل" من جنوب لبنان ، وكلفت المديرية بشخص مسؤول فرع المخابرات في صيدا والجنوب آنذاك العميد الركن ماهر الطفيلي وضع الخطة المناسبة وإجراء اللازم ، فتوصل الى تسليم المهمة للمخبر رمزي سعيد نهرا ( والدته سمية خليل سويدي، مواليد إبل السقي في العام ١٩٦٢ رقم السجل ٦٥) الذي وافق على هذا الأمر على الرغم من عدم خلوه من المخاطرة وباشر التنفيذ .

يعيش رمزي نهرا الذي يجيد اللغتين الإنكليزية والعبرية ، في بلدته إبل السقي وتربطه صلات صداقة وتعارف مع عدد من المسؤولين في ميليشيا أنطوان لحد وجهازها الأمني ، ومن بينهم العميل محمد مصطفى الغرمتي الملقب بـــ" أبو عريضة " الذي كان موكلا بالحراسة على الحلاق ، وعرف نهرا أن أبا عريضة يسير مع شخص غريب ، فذهب اليه للتحقق مما إذا كان هو الحلاق نفسه المطلوب أم لا ، خصوصاً أن مديرية المخابرات أرسلت لنهرا رسماً شمسياً صغيراً له ، فإستقبله أبو عريضة وعرّفه الى صديقه ميشال خير أمين وهو الإسم المستعار للحلاق، فعرفه فوراً وفكر في طريقة تقربه منه فدعاهما الى تناول فنجان قهوة في منـــزله ووافقا .

إستعد رمزي نهرا للضيافة جيداً وكلف ابن بنت عمه المدعو فادي كوزال بالوقوف في مكان خفي في الطبقة الثانية من منــزله، وحمله كاميرا فيديو لكي يصور الضيفين من دون أن يشعرا به ، وبالفعل حضر أبو عريضة ومرافقه رمزي عكرة والحلاق والتقطت لهم الصور مع صاحب المنـــزل خلسة .

وبعد يومين أو ثلاثة دعاهما ثانية الى تمضية السهرة في منـــزله فقبلا.وقبل وصولهما دس رمزي نهرا آلات تصوير في الغرفة والآت تسجيل في جنبات "الصوفيات" لكي يسجل الحديث المتوقع تناوله بينهم . وحضر أبو عريضة والحلاق واسترسلا في شرب "الويسكي" والمشروبات الروحية و "المقلب" أيضاً. وبعد رحيلهما جمع نهرا معلوماته وشريط الفيديو والأحاديث وأرسلها بطريقة ما الى بيروت حيث تحققت مديرية المخابرات من أن ميشال أمين هو نفسه الحلاق وأعطته الضوء الأخضر للقيام بخطفه .

إستدعى رمزي صديقه وعديله لاحقاً بسام جرجس الحاصباني عند الساعة الثالثة من فجر يوم عيد الفطر بتاريخ ٢٠شباط (فبراير) من العام ١٩٩٦، وأبلغه بضرورة الاتصال بصلة الوصل بالمخابرات اللبنانية عبد الله همدر ، وحثه على نسيان قضية خطف الحلاق وذلك من أجل إبعاد الشبهات .

ثم وضع رمزي بالإشتراك مع شقيقه مفيد وصديقه ماهر سليم توما على مدى ثلاث ساعات متواصلة ، أي من الساعة الثالثة حتى الساعة السادسة فجراً، خطة محكمة للإنقضاض على الحلاق ، وعند الصباح إستعار رمزي سيارة من نوع "مرسيدس" صفراء اللون تخص صديقه غطاس طانيوس أبو سمرا لكونها تشبه سيارة العميل أبو عريضة ، سواء من حيث اللون أو من حيث الشكل والطراز وذلك للتمويه، واستقلها مع ماهر توما وتوجها بها الى منـــزل الحلاق في بلدة القليعة التي كانت شبه خالية من المارة ، مع أن العيد هو للمسلمين ، وصودف أيضاً آنذاك أن أبا عريضة كان يستريح في منـــزله من عناء السهر على الحلاق ويغط في نوم عميق . وصلا اليه ، سلما عليه وسأله رمزي عما إذا كان مستعداً لرؤية شقيقه مفيد لهرا الذي سبق الحلاق أن أبدى رغبة في التعرف اليه عن قرب ولم يتردد في الاستفادة من هذه الفرصة السعيدة ، فارتدى ثيابه ونسق هندامه وتزنر بمسدسه وتسلح بمشطين إضافيين باعتبار أن الإحتياطات لازمة وضرورية حتى في لحظات السعادة ، وهذا ما يدل على أن الحلاق نفسه الغارق في الولاء للإسرائيليين لم يكن مقتنعاً بالحماية المفروضة منهم عليه .

التفت الحلاق بكثير من الحذر الى رمزي المتربص به ، والذي فهم مغزى هذه النظرات المشرعة على اليقظة ، فناوله مسدسه الخاص لكي يزيد من جرعات الإطمئنان لديه فرفض أن يأخذه ، لكن هذه المبادرة كانت كفيلة

بالإجهاز على مخاوف الحلاق الذي تنفس الصعداء وركب السيارة معهما وتوجهوا الى الكمين المصطنع .

خلال الطريق تبادل الثلاثة أطراف الحديث الأخير. كان الحلاق جدياً في كلامه أكثر من المعتاد وأكثر من المنتظر ، كان شارد الذهن يستخرج من تجاربه المديدة في بساتين الحياة المثمرة والوعرة ، بوحا ناضجاً ينم عن خبرة كهل عركته الأيام والسنون . قال لرمزي :" بدي علمك مثل ..وين ما بتأمن خاف "، فرد الأخير مسبغاً عليه مسحات من الإطمئنان :" إبل السقي بيحميها النروجيين ، وما فيها مقاومة ولا ينشغل بالك ، وكمان مسدسك معك ، وهيدا مسدسي بدك ياه خدو. وعلى حاجز القوات النروجية رح نعطيك بطاقة هوية لإبرازها للعناصر حتى نقدر نمرق "

وهكذا كان فعبروا الحاجز بشكل طبيعي وسلام ، ومن المعروف أن القوات النروجية الموجودة آنذاك في بلدة إبل السقي لم تكن تدقق في هويات العابرين ، فمجرد التلويح بها يكفي لسلوك الطريق .

ولم يكن الحلاق يوم سعده عندما كان رمزي نهرا يحبك خيطان شباكه جيداً . فمن سوء حظه أن الطريق بين القليعة وإبل السقي كانت خالية تماماً من السيارات والمواطنين وهذا ما زاد من وتيرة نجاح عملية الخطف .

وصل الثلاثة الى منـــزل رمزي حيث كان الكمين منصوباً ، ركنت السيارة في المرأب وصعدوا الدرج الخلفي ، وأقفل رمزي النوافذ والستائر وصب أكواب من "الويسكي" للحلاق الذي جاراه ماهر توما في الشرب

ليؤنسه ودار حديث عام فقال الحلاق :" كنت مبارح في زيارة لعقل هاشم وأطلقت النار من المسدس وبدي نظفو ".

لبّى ماهر الطلب المستعجل ، أخذ المسدس منه نظفه وأعاده اليه وفي هذه الأثناء كان الفريق الآخر المؤلف من مفيد نهرا وغطاس أبو سمرا وفادي كوزال يتفحصون الطرقات ذهاباً وإياباً خشية أن تكون ثمة حواجز أمنية لميليشيا لحد منتشرة في المنطقة فتعيق الخطة وتؤجلها ، تحققوا من خلوها وعاد مفيد الى المنـــزل سراً ليأخذ مكانه المتفق عليه.

الأمور تسير على أحسن ما يرام ولم يعد ينقص سوى رنين ساعة الصفر. كانت عقارب الساعة تشير الى الرابعة والثلث عصراً ، ولم يعد يفصل عن إقفال معبر باتر _ جزين عند الساعة الخامسة سوى أربعين دقيقة بالتمام .

دخل ماهر توما الى المطبخ المجاور بحجة إحضار بعض المتاع ، وأشار على مفيد نهرا بتجهيز نفسه للسيطرة على الحلاق ، وضع في جيبه أصفاداً وعاد الى مكانه ليجلس الى يسار الحلاق المطوق من ناحية اليمين برمزي نهرا ، وما هي إلا لحظات حتى دخل عليهم مفيد شاهراً رشاشاً من نوع "أنيغرم" مع كاتم للصوت ، وصوبه نحو الحلاق صارخاً بوجهه " ولا حركة أحمد الحلاق نحن حزب الله والبيت مطوق ".

حاول الحلاق أن يستدرك الموقف، خصوصاً أنه غير معتاد على الإستسلام بسهولة فعاجله ماهر بضربة قوية بعقب مسدسه على رأسه،

فشجّه حتى تغسل بالدماء ، إستنجد الحلاق برمزي ، وصرخ به ليدافع عنه غير أن أصفاد رمزي كبلت اليد الأخرى للحلاق وقال له :" مش رح دافع عنك "، فأجاب الحلاق مستغرباً من دون أن تخور قواه :" ليش إنت مش مع المخابرات الإسرائيلية ؟" فقال له :" لأ" فرد الحلاق غاضباً ومتحدياً :

" إذا إنتو زلام فلتوني ".

أسكتوه وسحبوه الى غرفة مجاورة وضمدوا جروحه ، وعصبوا عينيه بلاصق خصوصي وقيدوه وأعطوه أربع إبر " فاليوم" لم تعط المفعول المرتجى، فأوثقوه جيداً خشية أن يفلت منهم وألصقوا فمه لئلا يصدر أي صوت يثير جلبة تفضح الخطة ووضعوه في صندوق سيارة من نوع "مرسيدس ٢٣٠" بيضاء اللون، وتولّى مفيد قيادتها وجلس ماهر الى جانبه،فيما واكبهم رمزي وفادي كوزال في سيارة أخرى من نوع "ب أم" وانطلقوا نحو المعبر الأخير في جزين .

خلال مرور السيارتين بالقرب من ثكنة الريحان إلتقيا بدورية إسرائيلية كانت تمشط الطريق . توقفت السيارتان جانباً . تحدث رمزي مع الجنود الإسرائيليين ، بلغتهم الأم العبرية ، ورفع لهم لوحة تعريف تحمل كلمات عبرية أيضاً كان " جيش الدفاع الإسرائيلي " يزوّد السيارات المدنية بها وقال لهم :" شاباك" وأفسحوا الطريق لتعبر السيارتان فيما الحلاق يئن في عتمة الصندوق .

عند مدخل مدينة جزين أنيطت قيادة سيارة "المرسيدس" بفادي كوزال وصعد ماهر ومفيد مع رمزي في السيارة الأخرى ، وسبقوه الى المعبر لتسهيل مروره . وصلوا عند الساعة الخامسة إلا خمس دقائق الى المعبر الذي كان بحراسة ثلاثة عناصر من ميليشيا لحد يتأهبون لإقفاله "رسمياً" أطلت سيارة "المرسيدس".. دقيقة واحدة ويغلق المعبر . رمزي ورفيقاه يغرقون في حديث مطول مع "اللحديين" الثلاثة يستدرجونهم الى نسيان الوقت . تمر السيارة بأمان ويظل الحديث المشوق دائراً بين هؤلاء ولم ينقطع إلا بعدما غابت السيارة عن الأنظار بحيث أصبح الحلاق في أيدٍ أمينة .. صار لدى القضاء .

لم تنته فصول العملية بعد .

يتوقف رمزي لحظة واحدة ، يبلع ريقه ويتابع :" عدنا الى المنـــزل لتنظيف الأرض من بقع الدماء وحضر بسام الحاصباني وسليم سلامة الى هناك حيث أخبرناهما بنجاح خطة خطف الحلاق".

تحركت "الماكينة" الإستخباراتية الإسرائيلية للعثور على الحلاق فلم تفلح ، مديرية المخابرات في الجيش اللبناني تعلن من بيروت انتصارها . وبعد ست وثلاثين ساعة يطرق العميل أبو عريضة منـــزل رمزي نهرا ويستدعيه على عجل للقاء المخابرات الإسرائيلية والمثول أمامهم . لا مجال هنا للفرار. قاده الى مستعمرة "المطلة" حقق معه وتوصل الإسرائيليون الى الإعتذار منه في بادئ الأمر .

كان مفيد نمرا وفادي كوزال الذي عاد في اليوم الثاني الى منطقة "الشريط المحتل" يختبئان في بيوت إبل السقي ، وبعد ثلاثة أيام من "السجن الإنفرادي" تمكنا من التسلل الى المنطقة المحررة والنجاة .

في هذه الأثناء كان جهاز "الشاباك" يحقق مع سليم سلامة الذي كان الثغرة في جدار القضية . لم يتكلم على مشاركته في تنظيف الدماء ، بحسب ما يعتقد رمزي . ويضيف " ولكنه أعطاهم معلومات عن تورطي". احضر "الشاباك" ماهر توما أمامه وعلى وقع التهديد والضرب إعترف بالحقيقة التي حملها الضابط الإسرائيلي برتبة عقيد "شابو" والمحقق "روي" واسمه الحقيقي "روعي" والضابطان "يوسي"و"داني" وضباط آخرون وواجهوا بها رمزي وأوقفوه . ثم جرى اعتقال إخوة بسام الحاصباني ووالد زوجته فاضطر الى تسليم نفسه ، وبعد تحقيق مطوّل في مركز "الشاباك" في مستعمرة "المطلة" إستمر سبعة وعشرين يوماً متواصلاً أوقف الأربعة رمزي وماهر وبسام وسليم إدارياً ونقلوا الى سجن "كفريونة" القريب من مستعمرة "ناتانيا" وأعيد التحقيق معهم ثانية فأنكر ماهر ورمزي ضلوعهما في عملية خطف الحلاق وبرأت المحكمة الإسرائيلية ، على غير عادتها ، الجميع من هذه "التهمة الشنيعة" ولكنها حكمت بالسجن خمسة وأربعين شهراً بجرم إعطاء معلومات للمخابرات اللبنانية والمخابرات السورية ، ولم يفرج عنهم إلا بفضل رجال المقاومة الإسلامية خلال عملية التبادل

الشهيرة في العام ۱۹۹۸، على أثر مقايضة المعتقلين وجثث الشهداء برفات وأشلاء جنود إسرائيليين قتلوا في عملية أنصارية .

وحده رمزي نهرا من "فريق عمله" أبعد عن بلدته الى المنطقة المحررة وذلك بعد عشرين يوماً من الإفراج عنه ، فيما مارس الآخرون حياتهم بشكل إعتيادي .

ينتهي رمزي نهرا من تفصيل روايته . يلتقط أنفاسه ويضحك قائلاً: " لو فلت الحلاق منا لكنا قتلنا"، ثم يستدرك ويقول :" كان قتل كمان " وينسحب من هذا اللقاء السرّي طاوياً صفحة من الذكريات التي لا تنسى والتي سيبقى لبنان يتحدث عنها على مدى الأجيال والى ما بعد زوال إسرائيل .

خلاصة القول ، أن العملاء والجنود الأسرائيليين كانوا خلال فترة الإحتلال لجنوب لبنان والبقاع الغربي على مدى إثنين وعشرين عاماً ، طُعْماً سائغاً للمقاومة الوطنية والإسلامية ، وجثثاً حيّة على طريق الاحتضار ، تتنفّس الموت الزؤام وملابساته ودوافعه في كل لحظة ، وتبلغ ذروتها عندما تباغتها المقاومة بعملية أو مواجهة أو عبوة ناسفة فتنهار خوفاً واضطراباً بلا أعصاب وبلا حراك .

وهذا ما دفع بالكثيرين من العملاء الى الفرار الى المناطق المحرّرة مفضلّين العقاب القانوني على الأتون الإسرائيلي ...

ويمكن التأكيد بأن القضاء اللبناني كان في الخندق الواحد مع المقاومة، وهو يقاضي المستسلمين والموقوفين ، وهي تقضي على المسترسلين في غيّهم وجورهم الذين يرفضون دخول باب التوبة والغفران والمثول أمام العدالة . ولكن أحكام المقاومة كانت أمضى وأسرع ولا تعترف بالأسباب التخفيفية والتدخلات السياسية حتى ولو كان الجرم صغيراً ، مع أن جناية الخيانة والعمالة كبيرة ولا تضاهى _ على حدّ قول علي الموسوي _ وهو على حق.

## المراجع


١) مقابلة من العميد المتقاعد فرنسوا جينادري في منـــزله في بيروت ، نهار الخميس الواقع فيه ٢٠٠٢/٨/٨، برفقة المقدم حسن أبو رقبة والأستاذ أمين مصطفى .

٢) علي الموسوي "شبكات الوهن/ عملاء إسرائيل في قبضة القضاء ". الجزء الأول . دار الهادي . بيروت. الطبعة الأولى ٢٠٠١. ص ٤٥–٨٠.

٣) جريدة "السفير". العدد ٨٩٠٧. الخميس ٢٤ أيار ٢٠٠١. ص١١.

# الفصل الثالث عشر

## فضيحة الموساد في سويسرا.

يتفاجأ البعض أحياناً عندما يرى أن في الجاسوسية أيضاً تمييزاً ومفاضلة ، أو بالأحرى "أبناء ستّ وأبناء جارية". هذا ما يحصل تماماً بين جواسيس الموساد في عملياتهم " النوعية " في دول العالم ، وبين جواسيس الدنيا الآخرين ، وبصورة خاصة ، جواسيس الدول العربية أو الإسلامية . فتقوم الدنيا ولا تقعد إذا تمّ إعتقال أي عربي أو أي مسلم في بلد أوروبي أو أميركي واتهم بالتجسس على الكيان الصهيوني، فيصبح عندئذ من أكثر الرموز " إرهاباً وتخريباً" في كل وسائل الإعلام _ الصهيونية والموجّهة صهيونياً_. أما إذا حصل العكس وكان المعتقل إسرائيلياً _ جاسوساً كان أم قاتلاً أم مخرّباً _ في أي بلد أجنبي ، فإن المطلوب أن يلقى أرقى أشكال المعاملة ، مثلاً :

ففي أيلول من عام ١٩٩٧ قام عدد من الجواسيس الإسرائيليين في عمان بمحاولة قتل علنية ضد خالد مشعل وأصابوه بذلك الجهاز القاتل ثم فروا إلى السفارة الإسرائيلية بعد مقاومة حراس مشعل وملاحقتهم للقبض عليهم . وبعد ترتيب دواء يلغي دور الجهاز القاتل وعودة مشعل إلى

صحته الطبيعية، أعيد الجواسيس الأسرائيليون الى تل أبيب دون محاكمة ودون إعتذار؟.

وإذا كانت حكومة النروج مثلت إستثناء راقياً في حماية القانون وحقوق الإنسان دون مواربة وخجل، حين قضت بالحكم بالسجن على مجموعة جواسيس إسرائيليين في أوروبا والتي قبض عليها بعد قتل مواطن مغربي هناك، فإن سويسرا المحايدة والتي تفتخر بأنها دولة فرض القانون على الجميع، ويضرب فيها المثل في سيادة القانون ، لم تستطع لا هي ولا قضاؤها أن يفعلا شيئاً تجاه جاسوس إسرائيلي قبض عليه في عام ٢٠٠٠ متلبساً بالجرم المشهود. وإليكم القصة كما نشرتها مختلف وسائل الإعلام السويسرية والأميركية.

"مستر موساد":

في ٣١ تموز عام ٢٠٠٠ حوكم جاسوس إسرائيلي قبض عليه أثناء قيامه بمساعدة مجموعة تجسس إسرائيلية أخرى بزرع أجهزة تنصت في منزل أحد المواطنين السويسريين من أصل لبناني. فقد شاهد الجيران في نفس البناء هؤلاء الإسرائيليين وأبلغوا الشرطة، وهذه عادة حسنة متبعة في سويسرا التي يعتبر فيها كل مواطن مسؤولاً عن سلامة بلاده وأمنها وعن المحافظة على القانون . لكن هذا الجاسوس رفض أمام المحكمة السويسرية

التصريح بإسمه الحقيقي وهذا ما دفع القاضي هانس فيريختيغير، رئيس محكمة الجنايات في سويسرا بإطلاق اسم من عنده عليه هو "السيد موساد" رغم أنه يعرف كافة تفاصيل عملية تجسسه. وكانت المخابرات الإسرائيلية قد زودت القاضي بسجل مزيف عن هذا الجاسوس الذي أطلق عليه قادته في الموساد إسم "ليجيند" (الأسطورة). فالموساد الإسرائيلي أرسل تفصيلاً عن هذا الجاسوس معترفاً بأنه يعمل في المخابرات الإسرائيلية وأن اسمه إسحاق بينتال وأنه من مواليد ١٠ تموز ١٩٥٤ دون ذكر لاسم والده أو والدته أو مهنتهما وأين يقيمان.

والطريف أن من سندعوه "مستر موساد" إعترف أمام القضاة بكل التهم المنسوبة إليه دون مواربة حين اعتقل في شباط عام ١٩٩٨ وهو يربط أجهزة الإتصال والتنصت في مترل اللبناني /السويسري في مدينة بيرن. وقال إن من كلفه بهذه المهمة هو شخص يدعى "دان". ولم يتمكن أو يرغب القضاة ربما بالدخول في تفاصيل تتعلق بأربعة إسرائيليين آخرين؛ (رجلان وإمرأتان) كان هو خامسهم . واعتقلت الشرطة هؤلاء الأربعة معه أثناء تركيبه للأجهزة في نفس المكان ونفس الليلة، لكن رجلاً وامرأة من بينهم زعما أنهما كانا يمارسان الجنس في المكان هناك. وزعمت إمرأة أخرى كانت بصحبة الإسرائيلي الآخر يحرسان بوابة البناء، أنها أصيبت

بنوبة قلبية، ما دفع الشرطة الى طلب سيارة إسعاف أقلتها هي والإسرائيلي الى المستشفى ثم فرا فيما بعد من هناك.

وعلى هذا النحو لم تلحق هذه العملية الخرقاء، والمحاكمة الغريبة أي نتائج سيئة بالموساد ولا بالـــ"المستر موساد"(بينتال) لكن سمعة "الموساد" التي كانت تخيف كثيراً والشهرة المزعومة به في الحصول على أدق المعلومات، أصيبت بضربة قاسية لأن اللبناني/السويسري كان قد سلم الشقة التي حاول الموساد وضع أجهزة التنصت فيها منذ زمن وطلّق زوجته السويسرية أيضاً وانتقل الى منزل آخر بعيد عنه. ولذلك سخر أحد ضباط المخابرات السويسريين من الإسرائيليين حين قال في شهادته أمام المحكمة إنه كان من الأفضل للموساد أن يطلب عبر القنوات الخلفية المعتادة من الشرطة الإتحادية السويسرية عنوان ذلك اللبناني / السويسري ورقم هاتفه قبل أن يتوجه الجواسيس الى شقة معزولة قديمة لم يعد يسكن فيها هدفهم المنشود.

وفي النهاية، أصدرت المحكمة السويسرية للجنايات قراراً بحبس السيد بينتال مدة ١٢ شهراً مع وقف التنفيذ وبمنعه من دخول الأراضي السويسرية لمدة خمس سنوات . وعلى الفور، اعتبرت بعض الصحف السويسرية أن هذا القرار كان "حكيماً" جداً ؟ ولم يطلب محامي الجاسوس

بينتال أي استئناف ضد هذا الحكم الذي يعد أول سابقة على جاسوس أجنبي يقبض عليه متلبساً ويعترف بالتهم المنسوبة إليه.

وكانت التهم على النحو التالي:

١-القيام بأعمال ممنوعة مخالفة للقانون في دولة أجنبية.

٢-القيام بمهام تجسسية سياسية.

٣-إستخدام أوراق ثبوتية مزيفة.

وقال رالف زلوتشوور محامي رجل الموساد بينتال إن التهم المنسوبة إليه هي محاولة زرع أجهزة تنصت على خط هاتف عبدالله عز الدين (المواطن السويسري) الذي يشتبه الموساد أنه على علاقة بحزب الله. والطريف أن كافة الأجهزة التي كان يستخدمها بينتال في مهمته هذه صادرتها الشرطة وهي بين يديه.

وفي معرض مداولات المحكمة قال القاضي فيبريختيغير إن بينتال "خرق السيادة السويسرية بأسلوب لا يمكن تحمله، وأنه كان على الموساد إبلاغ السلطة السويسرية المختصة بالمخابرات عن شكوكه. ومع ذلك ما زالت هناك نقطة في صالح المتهم وهي اعتقاده أن عمله هذا يبعد الخطر عن بلده إسرائيل . وكان ملزماً بإطاعة الأوامر واعترف بمعظم التهم الواردة في لائحة الإتهام".

ولعل هذا الجاسوس يمكن أن يدخل سجل "غينيز"... لأنه الأول في تاريخ العالم الذي لا يقضي في السجن إلا شهرين، وقامت إسرائيل بعد قضائه هذه المدة بدفع كفالة بقيمة ١,٢ مليون جنيه إسترليني لإخلاء سبيله ريثما تتم إجراءات محاكمته وصدور قرار الحكم. ولذلك عاد الى إسرائيل وقام بالسفر بعد ذلك الى سويسرا لحضور محاكمته بتهمة الجاسوسية بمرافقة ديبلوماسيين إسرائيليين . ومنذ ذلك الوقت توقع الجميع أن يصدر بحقه حكم مخفض جداً. وتقول مجلة "الجاسوس العالمي" إن سويسرا كانت ستتورط في التسبب بعلاقات متوترة مع إسرائيل لو أنها أصدرت قرار حكم مختلف، خصوصاً وأنها تعرضت لحملة إسرائيلية إتهمت فيها بإخفاء أموال الضحايا اليهود الذين قضوا على أيدي النازية في الحرب العالمية الثانية.

واعترف القاضي فيبريختيغير أن الحكم الصادر بحق بينتال كان مخفضاً جداً إذا ما قورن بقرارات حكم مماثلة قضت بالسجن ٢٠ عاماً على تهم كهذه. لكنه لم يعترف أن سبب ذلك هو الخوف من ابتزاز إسرائيل وحملتها على سويسرا. ولذلك لم يكن مستغرباً أن يعرب نائب المدعي العام السويسري فيليكس بايتريغير الذي لم يطالب إلا بإصدار حكم من ١٥ شهراً فقط على الجاسوس الإسرائيلي عن "تفهمه" وقبوله بالحكم لمدة ١٢ شهراً مع وقف التنفيذ. وقال إنه راض لأن الحكم أخذ بالإعتبار جميع

المسائل. أما رئيس الحكومة إيهود باراك في ذلك الوقت من عام ٢٠٠٠، فقد أبدى تقديره لدولة سويسرا الإتحادية وأثنى على المهام التي يقوم بها رجال الموساد في الخارج وما يتعرضون له من أخطار؟ (أي أخطار هذه ؟ الإفراج بكفالة مالية والسجن مع وقف التنفيذ ؟).

..حملة إسرائيلية لإبتزاز السويد:

ولعل أكثر ما يثبت الإبتزاز الإسرائيلي السياسي والتجسسي في هذا العالم هو محاولة إسرائيل الآن شن حملة على دولة السويد لأن المسؤولين في الحكومة السويدية أعلنوا عن رفض السويد الممارسات الإسرائيلية الوحشية ضد الشعب الفلسطيني. فقد بدأت حكومة إسرائيل تجمع الآن ملفاً يتعلق بأسماء يهود وضعوا أموالاً في بنوك السويد منذ الحرب العالمية الثانية ولم يحصلوا عليها في ظروف الحرب. وإسرائيل تعرف أن القانون السويدي لا يجيز المطالبة بأموال معينة في البنوك بعد مرور وقت طويل ومحدد بموجب القانون، لكن شارون رغم ذلك لا بد أن يكلف أجهزته بإعداد ما يمكن أن يستخدم ضد السويد حتى لو كان تلفيقاً.

ولذلك لن يكون من المستغرب في المستقبل القريب أن تشهد وسائل الإعلام الأوروبية حملة إسرائيلية واسعة ضد السويد ومحاولة إرهابها على غرار إرهاب سويسرا المحايدة إسمياً فقط .

والواقع ، أنه تبين في سياق تحقيقات متسارعة بشأن هذه العملية الفاشلة، أن هدفها كان زرع أجهزة تنصت على هاتف مواطن سويسري من أصل لبناني إسمه "عبدالله الزين" بعد الاشتباه في أنه من الإسلاميين . لكن هذا المواطن كان قد غادر المبنى قبل أربع سنوات ، بعدما انفصل عن زوجته السويسرية لأسباب دينية. ومن هنا تبين أن عملاء الموساد تحركوا بناء على معلومات خاطئة من مخبرين محليين.

وتبعاً لمصادر بريطانية، فإن الهدف من العملية الفاشلة، كان اغتيال إثنين من رجال الأعمال تتهمهم إسرائيل بتقديم العون الى "حزب الله". وأضافت المصادر التي استقت معلوماتها من مسؤول كان في محطة الموساد في بروكسل، أن أحد اللذين كان مقرراً إغتيالهما هو عبدالله الزين.

وأوضحت أنه بعد فشل العملية تم الإعلان أن الهدف كان زرع أجهزة تنصّت في شقته. كما أن العميل الذي اعتقل كان مجهزاً بأجهزة رشّ تحتوي السم الذي استخدم ضد خالد مشعل في عمان .

هذا، ويذكر أن سويسرا (الحيادية) تعرضت لحملة مبرمجة من قبل الكيان الصهيوني وجماعات مؤيدة له، بذريعة "سرقة ملايين الدولارات وكمية كبيرة من الذهب كانت مودعة في مصارفها خلال الحكم النازي بأسماء ذكر أنهم من اليهود". كما واجهت سويسرا إتهامات بالاحتفاظ

بذهب الرايخ الألماني الثالث في بنوكها والذي كان بعضه (ملكاً لضحايا النازية).

إضافة لذلك، لم تكن عملية بيرن الفاشلة هذه، أولى عمليات (الموساد) فوق الأراضي السويسرية . ففي عام ١٩٦٣ إعتقل عميلان لهذا الجهاز في بيرن لتهديدهم أحد أفراد عائلة ألماني من علماء برنامج تطوير الأسلحة في مصر. وفي العام ١٩٦٩ سجن عميل سريّ إسرائيلي يعمل في شركة (العال)، في السجون السويسرية شهوراً عدة، عقب إطلاقه النار على فلسطيني في مطار سويسري.

ومهما يكن من أمر، فإن فشل عملية سويسرا الموسادية وفضيحتها ، ليست الأولى في تاريخ الموساد ، ولن تكون الأخيرة. كما أنها تبرز هشاشة هذا الجهاز و "مستودع معلوماته" المحفوظة في "ستوكات" ينفض عنها غبار الزمن في أوقات غير مناسبة، وبعد فوات الأوان ، فيحصد الخيبة والإخفاق والفضيحة دفعة واحدة ، (وبالجملة وليس بالمفرّق ) ليحصل على "الحسم" المناسب.

## المراجع


١-"المحرر العربي".العدد ٣٣٢. من ٨ الى ١٤ شباط ٢٠٠٢ص ١٨.

٢-قصي عدنان عباسي "المخابرات الإسرائيلية ". دار علاء الدين. دمشق٢٠٠١ . ص ١٦٤ _ ١٦٦ .

# الفصل الرابع عشر

## أحداث ١١ أيلول في الولايات المتحدة
## ودور الجاسوسية الإسرائيلية فيها.

مهما حاولت الولايات المتحدة الأميركية بمختلف أجهزتها السياسية والعسكرية والأمنية أن تلصق تهمة "الإرهاب الدولي" بالعرب وبالمسلمين، وتتستر بالتالي على "إرهابها" هي، الرسمي تحديداً فضلاً عن إرهاب مافياتها ومنظماتها المتعدّدة ، كما تحاول التستّر أيضاً على "الإرهاب الإسرائيلي "، المدعوم أميركياً، وعلى شبكاته التجسسية في الولايات المتحدة الأميركية نفسها ،وعلى الولايات المتحدة ذاتها ، فإن هذه المحاولة "اللولبية" لن تبقى مستورة الى الأبد، لأن الحقيقة ، تبقى حقيقة كنور الشمس ، لا يمكن طمسها الى ما لا نهاية ، وستظهر أخيراً بشكل واضح يبهر العيون ويفتح الأذهان والعقول ، على وقائع ، كانت بالأمس القريب بمثابة "الطلاسم". وليست أكبر شبكة تجسس إسرائيلية في تاريخ الولايات المتحدة ، التي اكتشفت بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ ،سوى إحدى هذه العيّنات فما هي أسرار هذه الشبكة؟ وكيف تعاملت السلطات الأميركية معها ومع أخبارها _ داخلياً وخارجياً ؟-. وكيف كان رد الفعل الإسرائيلي ؟ .

في الحقيقة ، لقد كان لبعض الدوريات اللبنانية _ ومنها مجلة "المحرر العربي" دور بارز في تسليط الضوء على هذه القضية وفضح ملابساتها . ولقد مثلت في الواقع سبقاً صحافياً وإعلامياً في هذا الإطار تستحق من خلاله التقدير والإحترام في هذا المجال إنطلاقاً من ضرورة تعميم الحقيقة ونشرها "كالفضيلة" ، باعتبار أن نشر الفضيلة حلال _ كما يقال _ . ألم يقل كرم ملحم كرم في هذا الإطار "علمتني الحقيقة أن أكرهها فما استطعت ". ولا يكره الحقيقة _ فعلاً إلا أعداء الحقيقة فقط ، وأعداء الإنسان والإنسانية في كل زمان ومكان . ويأتي اليهود والأميركيون في طليعة هؤلاء الأعداء .

من هذا المنطلق ، يجدر بنا تبيان هذه الحقيقة ووضعها في الصورة التي يجب أن تكون فيها ، لتصبح في متناول أكبر عدد ممكن من الناس ، أينما كانوا ، في زمننا هذا ولكل زمن آخر ، حسب ما أشارت إليه "المحرر العربي" وغيرها ...

منذ يوم الثلاثاء (٥ آذار/ مارس ٢٠٠٢) والصحافة الفرنسية ، ثم العالمية والعربية ، ومحطات الإذاعة والتلفزيون وهي تطنطن بالخبر الثمين الذي نقلته كلها عن نشرة فرنسية إسمها "إنتلجنس أون لاين" المتخصصة في أمور الإستخبارات ، حول الكشف عن "شبكة إسرائيلية تتجسس في الولايات المتحدة ، وأن إسرائيل متورطة في أوسع عملية تجسس هناك،

وأن السلطات الأميركية إعتقلت أو أبعدت زهاء ١٢٠ من الرعايا الإسرائيليين في إطار هذه العملية التي لم تكشف قط حتى اليوم" على ما ذكرت صحف عربية ومراسلوها في باريس .

وإذا كان صحيحاً أمر اكتشاف شبكة التجسس الإسرائيلية هذه، فإن ما ليس بصحيح هو أن هذه الشبكة "لم تكشف من قبل قط".. لأن "المحرر العربي" هي الصحيفة الوحيدة التي نشرت أنباء اكتشاف هذه الشبكة ، وعن مصادر أميركية، قبل الصحافة الفرنسية وغيرها بثمانية وأربعين يوماً بالتمام والكمال .

ففي العدد ٣٢٩من "المحرر العربي" الصادر في الثامن من كانون الثاني ٢٠٠٢، وفي الصفحة ١٨، في باب عالم الإستخبارات، نشرت تفاصيل وافية، على مدى صفحة كاملة، عن هذه الشبكة تحت العناوين التالية :

مكتب التحقيقات الفيدرالي يكشف :

أكبر شبكة تجسس في تاريخ الولايات المتحدة .

موظفون إسرائيليون في الجيش والمخابرات معتقلون في أميركا رهن التحقيق.

ولكن الجديد في موضوع هذه الشبكة هو ملاحقة النشرة الفرنسية ما نشر عنها والتركيز على الربط بين نشاط أفرادها والمدن التي تواجدوا فيها والأوقات، وبين ما يقابل ذلك بالنسبة للمتهمين بتفجيرات واشنطن ونيويورك.

وهنا أيضاً نستطيع أن نقول : لا... لم يسبقنا أحد الى هذا الأمر، ففي العدد ٣١٣ تاريخ ٢١ أيلول/ ديسمبر ٢٠٠١، أي بعد عشرة أيام من التفجيرات ، نشرت "المحرر العربي" في الصفحة الرابعة تقريراً من واشنطن كانت عناوينه كالتالي :

إنها الجريمة المركبة ولن يعرف حقيقتها أحد :

" خطف الخاطفين .. لإرهاب العرب والمسلمين" ؟؟

هل كانت هناك مؤامرة إرهابية أميركية – إسرائيلية "صادرت" عملية خطف تقليدية ؟

أسئلة تدور همساً (حتى الآن) في أواسط التحقيق وشركات الطيران .

- هل تمّ زرع أجهزة خاصة في الطائرات الأربع التي تمّ فحصها وصيانتها قبل ٣ أيام تمكن عزل أجهزة القيادة عن سلطة الطيارين والتحكم بمساراتها لتنفيذ العمليات الإرهابية ؟

إن ما نشرته صحيفة "لوموند" الفرنسية حول" فضيحة تحاول واشنطن وتل أبيب طمسها ... إلخ " يصب في هذا المنحى، وذلك بدءاً من الأسبوع الأول من آذار ٢٠٠٢.

تفجرت هذا الأسبوع فضيحة ضخمة تحاول الولايات المتحدة وإسرائيل جاهدتين طمسها لأنها تكشف النقاب عن معطيات خطيرة تضرب الأسس الأميركية في الشرق الأوسط وتجاه ملف الإرهاب .

بدأت هذه القضية يوم الإثنين ٤ الجاري عندما أعلنت مجلة فرنسية متخصصة في شؤون التجسس هي "إنتلجنس أونلاين" التي يديرها الخبير الفرنسي غيوم داسكييه، أنها حصلت على تقرير أميركي سرّي، مرفوع إلى وزارة العدل الأميركية، يكشف عن وجود شبكة تجسس إسرائيلية واسعة في الولايات المتحدة .

هذا التقرير، الذي وضعته هيئة تحقيق شكلت خصيصاً لهذا الموضوع وساهمت فيها أجهزة أميركية عدة، مؤرخ في حزيران/ يونيو ٢٠٠١، أي قبل حوالي ثلاثة أشهر من عمليات ١١أيلول/ سبتمبر. وهو يؤكد أن الشبكة الإسرائيلية كانت ناشطة في الولايات المتحدة في النصف الأول من ٢٠٠١، وأنها تتألف من حوالي ٢٠خلية، كل منها تتشكل من٤ الى ٨ أعضاء.

معظم أعضاء هذه الشبكة تتراوح أعمارهم بين ٢٢ و٣٠سنة والنساء بينهم "جميلات جداً". ولقد لاحظت الأجهزة الأميركية أنهم جميعاً قد أدوا خدمتهم العسكرية في الجيش الإسرائيلي في وحدات المخابرات. ولقد دخل معظمهم الى الولايات المتحدة بتأشيرة "طالب"، متذرعين بأنهم يودون دراسة الفنون التشكيلية .

ولقد انكشف أمر هذه الشبكة لأن أعضاءها حاولوا مراراً التقرب من موظفين يعملون في "إدارة مكافحة المخدرات" (DEA)، ما استرعى انتباه قسم الأمن الداخلي في هذه الإدارة واسمه"مكتب التدابير الأمنية"(OSP).

ويشير التقرير إلى أنه قد تمّ إعتقال ١٢٠ إسرائيلياً في إطار هذه القضية وأن قسماً كبيراً منهم قد تمّ إبعاده إلى إسرائيل.

لماذا كانت هذه الشبكة الإسرائيلية مهتمة بـ"إدارة مكافحة المخدرات"؟ لأن هذا الجهاز يتمتع في الولايات المتحدة بصلاحيات واسعة جداً تخوله الدخول مباشرة الى أنظمة الكومبيوتر التابعة لوزارات عدة، مثل وزارة الدفاع ووزارة العدل ووزارة المالية.

ويفيد التقرير، الذي نشرت مجل "أنتلجنس أونلاين" مقاطع منه، أن الشبكة كانت تراقب عدداً من المواقع العسكرية الأميركية الحساسة جداً، مثل قاعدة سلاح الجو في مدينة أوكلاهوما . ولقد شعر أمن سلاح الجو الأميركي بذلك منذ أيار / مايو ٢٠٠١ وطلب مساعدة وزارة العدل.

وفور صدور هذه المعلومات في باريس، وبثها عبر موقع "أنتلجنس أونلاين" على شبكة الأنترنت، ونشرها عبر وكالة "فرانس برس" الدولية، بدأت تتوالى ردود الفعل المرتبكة .

فقد نفى ناطق رسمي بإسم الشرطة الفيدرالية الأميركية (FBI) في ٥ الجاري وجود الشبكة، قائلاً إنه لم يتمّ إتهام أي إسرائيلي في ٢٠٠١ بالتجسس في الولايات المتحدة .

كذلك، نفى الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الإسرائيلية في ٦ الجاري الموضوع برمته قائلاً إنه مجرد "هذيان".

غير أن ناطقة رسمية بإسم "إدارة مكافحة المخدرات" إعترفت في ٥ الجاري بأن "تصرفات مريبة قد لوحظت في مراكز عدة تابعة لنا" وأن "طلاباً" إسرائيليين قد حاولوا التعاطي مع موظفين في الإدارة.

كذلك، خصصت صحيفة "لوموند" الفرنسية المعروفة برصانتها، في عدد ٦ الجاري، أحد عناوين صفحتها الأولى وكامل صفحتها الثانية لتحقيق مفصل حول الموضوع، لاسيما من جانب علاقة هذه الشبكة بعمليات ١١ أيلول/ سبتمبر، كتبه سيلفان سيبيل، أحد صحافيي "لوموند" المتخصصين في شؤون الشرق الأوسط.

وهدّدت "أنتلجنس أونلاين" في ٦ الجاري بأنه في حال استمرت واشنطن في نفي الموضوع فإنها سوف تنشر على موقعها في شبكة الأنترنت النص الكامل للتقرير الأميركي، وهو يتألف من ٦١صفحة ويتضمن أسماء العلماء الإسرائيليين وسجل خدماتهم في الجيش الإسرائيلي ورقم قيدهم في المخابرات الإسرائيلية. وبالفعل، كان بالإمكان، في ٧ الجاري، الإطلاع على جزء من هذه الأسماء على موقع "أنتلجنس أونلاين" على الأنترنت.

ولقد حصلت "لوموند" من "أنتلجنس أونلاين" على النص الكامل للتقرير وطلب من "إدارة مكافحة المخدرات" ما إذا كان هذا التقرير صحيحاً أم لا، فاعترفت إدارة الـــ(DEA)بأن التقرير موجود فعلاً، ما يتناقض كلياً مع النفي الذي صدر عن الـــ(FBI).

والملفت للنظر فعلاً في هذا التقرير، حسب ما تقول "لوموند"، هو أن حوالي ثلث "الطلاب" الإسرائيليين، ولا سيما المسؤول الأساسي عن الإتصالات في هذه الشبكة، كانوا مقيمين في فلوريدا في النصف الأول من ٢٠٠١. وللتذكير، كان ١٠ من أصل ١٩من "إرهابيي" ١١ أيلول/ سبتمبر يقيمون في فلوريدا في النصف الأول من ٢٠٠١.

لذا، تتساءل كل من "لوموند" و "أنتلجنس أونلاين" عن الرابط ما بين الشبكتين : الشبكة الإسرائيلية وشبكة "القاعدة"، وعن ما إذا كان الإسرائيليون على علم بما كانت تحضره شبكة "القاعدة" وهل كان من اتصال بين الشبكتين ؟.

فمن الملفت للنظر أيضاً أن من بين الذين اعتقلتهم السلطات الأميركية غداة عمليات ١١أيلول/ سبتمبر بتهمة الضلوع في تنظيم العمليات، ثمة عشرات كانوا مقيمين في فلوريدا.

وتشير "لوموند" إلى معلومات حصلت عليها خارج إطار التقرير الأميركي، تفيد أن خمسة من بين الإسرائيليين الذين اعتقلوا كانوا مقيمين في مدينة هوليوود (وهي مدينة صغيرة من ٢٥ ألف نسمة تقع شمالي ميامي). وتلاحظ "لوموند" باستغراب أنه في الوقت ذاته الذي كان هؤلاء الخمسة في هوليوود، كان يقيم في المدينة نفسها خمسة من "إرهابيي" ١١ أيلول/سبتمبر من بينهم رأس المجموعة المصري محمد عطا.

وتضيف "لوموند" أن بعض "الطلاب" الإسرائيليين قد قدم الى ميامي برحلة مباشرة من مدينة هامبورغ الألمانية، أي من المدينة نفسها التي كان يقيم فيها عدد من "أرهابيّ" ١١ أيلول/ سبتمبر.

ويشدد التقرير الأميركي وكذلك التحقيق الخاص الذي قامت به "لوموند" على مدى علاقة "الطلاب" الإسرائيليين مع الشركات الإسرائيلية الناشطة في الولايات المتحدة في مجالات التقنيات المتطورة جداً لا سيما التنصت والبرامج المعلوماتية .

وتضيف "لوموند" أن الشبكة الإسرائيلية كانت على ما يبدو مهتمة، عبر إدارة مكافحة المخدرات (وعبر وزارة المالية الأميركية ربما)، بمراقبة تمويل "القاعدة".

مجمل هذه المعطيات يسمح لنا بالتساؤل : هل استخدم "الطلاب" الإسرائيليون هذه التقنيات والوسائل لمراقبة شبكة "القاعدة"؟ هل كان لهم دور في تنظيم عمليات ١١ أيلول/ سبتمبر ؟ وهل تسمح البرامج المعلوماتية المتطورة بالتأثير على مسار طائرة إما من خارجها وإما عبر برمجة آلياتها داخلياً ؟.

ويبدو حسب "لوموند" أن السلطات الأميركية كانت على قناعة كاملة بأن الشبكة الإسرائيلية كانت تراقب شبكة "القاعدة". وتساءلت السلطات الأميركية لماذا لم تعلمها إسرائيل بذلك ؟ وتقول "لوموند" نقلاً عن الخبير الأميركي في شؤون التجسس كارل كامرون قوله : إن السؤال

ليس ما إذا كان الإسرائيليون على علم بما كان يتم تحضيره، إذ ليس من الممكن أنهم كانوا يجهلون ما يتم تحضيره، بل السؤال هو لماذا لم ينقلوا المعلومات المفيدة التي كانت بحوزتهم الى الأميركيين ؟؟.*

هذا، وقد كشفت أنباء "عالم التجسس" الدولية في ٣٠ كانون الأول ٢٠٠١،أن مكتب التحقيقات الفيدرالي(إف. بي. آي)(FBI)، عثر في ٢٠ كانون الأول من عام ٢٠٠١ في أعقاب الاستنفار الذي اضطر اليه على أكبر شبكة تجسس يتم اكتشافها في تاريخ الولايات المتحدة. وتقوم وزارة العدل الأميركية باحتجاز ما يقرب من مئة إسرائيلي في السجون الأميركية تبين أن لهم صلات بالموساد والمخابرات العسكرية .

وتضم هذه الشبكة موظفين كباراً في شركتين إسرائيليتين تقوم حالياً بتنفيذ معظم العمليات الرسمية للتنصت عبر أسلاك الاتصالات، ومد شبكات للهيئات المكلفة بالمحافظة على القوانين سواء كانت هيئات على الصعيد المحلي ، أو الولاية، أو الهيئات الإتحادية . فالقانون الأميركي للتنصت على الاتصالات كان قد أجازه وسمح به إجراء خاص سمي بـ" إجراء الإستعانة بالاتصالات لحماية النظام والقانون" كاليا :CALEA" لكن التدقيقات كشفت أن هذا النظام أو الإجراء تمَّ خرقه و "تفخيخه" من قبل مجموعات تعمل في الجريمة المنظمة داخل إسرائيل. وداخل المخابرات الإسرائيلية، و"الموساد" الإسرائيلي. وكان كل من المدعي العام

للدولة جون آشكروفت، ومدير "إف. بي. آي." روبرت مويللير قد تمّ تحذيرهما في ٢٠٠١/١٠/١٨ عن طريق رسالة وصلتهما باليد بعث بها المسؤولون في هيئات حماية القانون المحلية، والاتحادية جاء فيها :" إن قدرات الإستطلاع والمراقبة الإلكترونية الحالية التي تستخدمها هيئات حماية القانون أصبحت أقل فاعلية اليوم مما كانت عليه عندما بدىء بتنفيذ إجراء "كاليا" ذاك. فشبكة التجسس الإسرائيلية وفرت للمجموعات الإجرامية في الولايات المتحدة إمكانية استخدام نظم التنصت بشكل معاكس وضد المخابرات الأميركية وعمليات الشرطة والأمن. وربما نجم عن هذا الرصد غير القانوني من قبل مجموعات الجريمة مقتل عدد من المتعاونين مع الشرطة المزروعين داخل تلك المجموعات، وهذا ما تسبب بإحباط خطة وضعتها الشرطة والـ"أف بي آي" لشن حملات مفاجئة على منظمات تهريب المخدرات وترويجها.

## تعاون بين التجسس العالمي وشبكات الجريمة المنظمة:

بعد اختراق أنظمة التنصت الأميركية على الاتصالات إضطرت أجهزة المخابرات الأميركية الى شن حملة ضخمة طاردت فيها على مستوى العالم كله الجواسيس الذين تسببوا بهذا الاختراق. وأصبح المسؤولون في المخابرات الآن على قدر كبير من الشك بأن شبكة التجسس هذه قامت بتقاسم وبيع المعلومات للعديد من الدول الأخرى، وقد أبدى دوغلاس

براون رئيس شركة "حلول إستخلاص المعلومات من اللغات الأخرى" (MDSI) الأميركية ملاحظة واضحة في هذا الاتجاه حين قال :" هذا هو سبب إعلان بوتين رئيس روسيا بشكل غير مبال وبجعجعة كبيرة عن إغلاق مركز التنصت الروسي "لوردز" في كوبا. فإلى جانب الفوائد التي جناها من زيارته الى واشنطن لم يعد الروس يهتمون بهذه الفوائد الآن. فقد جمعوا الآن نظاماً أقل ثمناً وأكثر فاعلية للتنصت. وأنا لا أدري فيما إذا كانت الشركة الإسرائيلية هي العنصر الذي تسبب في هذا الاختراق، فنحن لم نعرف بعد كل شيء". وقال براون:" بعد كل النحيب والصراخ من نظام "إيكيلون" (للتنصت الإلكتروني عبر شبكات الكومبيوتر)ومن نظام "كارنيفور" إنتشرت الانتقادات المحلية والخارجية ضد التنصت الأميركي الإلكتروني، وبالغت في قدراته من أجل القضاء عليه وتفتيته. لكن هذه الانتقادات قللت من قيمة عجز وعدم كفاءة من يدير أجهزة مخابراتنا وبقية أجهزة الأمن في عهد كلينتون – آل غور. فقد استخدم أحد المسؤولين في المخابرات كومبيوتر منــزله الشخصي لخزن وثائق فائقة السرّية ، ولم يستطيع مسؤول آخر معرفة كيفية تخزين بريده الإلكتروني وفتحه، أما المسؤول الكبير عن كل شيء فكان يجري مكالمات "جنس" في الهاتف عبر خط مفتوح مع إحدى موظفاته.

وكشف براون أن الأوروبيين والروس إهتموا بالتركيز على مفاتيح هذه الأنظمة العملية من أجل معالجة المعلومات التي جرفوها وقاموا بتخزينها

وقال "إن الروايات التي تربط المخابرات الألمانية وفضيحة (ل) لا تقدم إلا فصلاً صغيراً رغم أن عالم برامج "سوفت وير" الأوروبية لاحظ كل شيء". ويذكر أن الروس لا ينافسهم إلا القليل من الألمان أو البولنديين في تصميم أنظمة قادرة على تحليل اللغات المختلفة التي يتم التنصت عليها .

وتقول أنباء عالم التجسس الدولي في الولايات المتحدة إن اكتشاف "إف. بي. آي." لشبكة التجسس الرئيسة داخل الأراضي الأميركية أخذ يزيد من توتر العلاقات المتوترة أصلاً حول هذه المواضيع بين واشنطن وإسرائيل.

فعلى الرغم من النفي الإسرائيلي لأي تورط في اختراق وسرقة نظام التنصت الأميركي على الاتصالات، ما زالت "السي. آي. إي" ومكتب "إف بي آي" يحققان في العلاقات الحكومية المباشرة لعدد من الموظفين الإسرائيليين في الجيش والمخابرات والذين تمّ اعتقالهم بأمر من وزارة العدل الأميركية داخل أراضي الولايات المتحدة .

## نظام التنصت الأميركي انتاج إسرائيلي:

تقوم المخابرات الأميركية الآن باستجواب شركة إسرائيلية هي "كومفيرس اينفوي سيز" وهي من الشركات التي تقدم لها الحكومة الإسرائيلية دعماً مالياً ويديرها إسرائيليون متخصصون في تقنية الاتصالات. فهذه الشركة هي التي قامت بتزويد أجهزة الأمن الداخلي

الأميركي بمعظم معدات تقنيات وبرامج التنصت. فأجهزة الكومبيوتر التي تبيعها الشركة والبرامج التي تعدها مربوطة بشبكة هاتف أميركية من أجل تأمين تعقب وتسجيل وخزن المكالمات عبر التنصت على الاتصالات، وفي الوقت نفسه يقوم هذا النظام بنقلها الى المحققين والمحللين في الأمن والقضاء. والاختراق الذي يعتقد أن هذه الشركة الإسرائيلية وفرته هو أنها اعطت هذا النظام لمجموعات الجريمة المنظمة فأصبحت هذه المجموعات لديها القدرة على التنصت على اتصالات أجهزة الأمن والقضاء واتخاذ الحيطة والحذر المسبقين لإفشال أي إجراء عملي ضدها .

فقد تمّ من خلال هذا الاختراق إفشال أكبر ضربة تقرر أن يقوم بها رجال شرطة "لوس أنجلس" للقبض بالجرم المشهود على أكبر عصابة مخدرات في المدينة. وكل ذلك بسبب التنصت المسبق الذي توفر لهذه العصابة على الاتصالات بين مراكز الشرطة وأفرادها وأجهزتها.

وبعد افتضاح هذا الأمر حملت هيئات أمنية خاصة وسياسيون أميركيون المسؤولية للتشريع القانوني الذي اتخذه الكونغرس حول صلاحية الأمن والقضاء بالتنصت على من يريد دون الحصول على إذن مسبق.

وكان هذا التشريع يهدف بعد أحداث ١١ أيلول إلى توسيع صلاحيات الأمن والقضاء لزيادة النجاح في إحباط العمليات "الإرهابية" وفرض النظام والقانون. وفي هذا الصدد قالت السيدة ليزا دين نائبة رئيس قسم "السياسة التكنولوجية" في "مؤسسة الكونغرس الحرّة": " منذ بداية تشريع

هذا القانون حذر اليمين واليسار الكونغرس ومكتب التحقيقات الفيدرالي من هذا القانون خصوصاً عند تطبيقه عن طريق "كاليا :CALEA"لأنه سيدمر الاتصالات الخصوصية بين الأفراد أنفسهم وبين أجهزة الحكومة". ويقول براد جانسين، من المؤسسة نفسها :" إن هذه الوسيلة ليست معدة من أجل منع الجريمة، لأن تكثيف عمليات التنصت لا يعني تحقيق الأمن بل إنه يعرض الأمن القومي للخطر". ويؤكد جانسين قائلاً :" وعل سبيل المثال، لم يستطع نظام "FINCEN:فينسين" للتنصت والرصد على المستوى المالي والمصرفي الكشف عن الأعمال المالية والتجارية التي كانت تقوم بها منظمة "القاعدة"، كما لم يستطع ذلك النظام العثور على محمد عطا قبل صعوده الى الطائرة.فلم يتم الكشف عن الحسابات المالية لبن لادن إلا عن طريق فاتورة "آلة الصرف الأتوماتيكي" التي نسيها عطا في سيارة الأجرة التي استأجرها. وهذا ما قاد مكتب التحقيقات الفدرالي إلى معرفة حساب بن لادن.

ويقول جانسين : "إن اخترق نظام التنصت هذا يلحق أضراراً بالاقتصاد الأميركي خصوصاً عندما يعرف العالم كله أن أنظمة اتصالاتنا غير آمنة. ونحن لا نستطيع منافسة منتوجات أقل نوعية مما ننتجه حين تقوم دول أخرى بتصدير برامج وتقنيات آمنة أكثر مما لدينا. فهذه نيوزيلاندا والهند وتشيلي تعرض منتوجات أمنية توفر حقاً أمناً وسلامة حقيقيين".

ويذكر أن وفداً رفيع المستوى من أجهزة المخابرات العسكرية الإسرائيلية والموساد سيصل هذا الأسبوع الى الولايات المتحدة بدعوة من واشنطن وربما يعود أحد أسباب الإجتماع به هو هذه الشبكة الإسرائيلية ومضاعفات ما قامت به ..

وبالنظر الى خطورة هذه المسالة _ أمنياً ومخابراتياً وسياسياً _ بين الولايات المتحدة الأميركية والكيان الصهيوني ، فقد أضطر رئيس الأركان الإسرائيلي شاؤول موفاز على رأس وفد عسكري ومخابراتي الى معالجة هذه القضية مع المسؤولين الأميركيين ، وإبقائها سراً بين الجانبين، وذلك بعد أن كشفتها واشنطن واعتقلت أكثر من مئة إسرائيلي ، طالباً التعامل مع هذا الموضوع في إطار المصالح المشتركة.

هذا، وقد تطرقت مجلة "المحرّر العربي" إلى هذه المسألة تفصيلياً فكتبت تقول في عددها رقم (٣٣٠) ما يلي:

بحث الجنرال شاؤول موفاز رئيس أركان الجيش الإسرائيلي الذي زار واشنطن في ٢٠٠٢/١/١٢ على رأس وفد عسكري ومخابراتي مع المسؤولين الأميركيين وفي مقدمتهم كوندوليزا رايس وريتشارد أرميتاج وبول وولفوويتز نائب وزير الدفاع، مجموعة من القضايا العسكرية والوضع في المنطقة والعلاقات الإسرائيلية الأميركية.

وعلمت "المحرر العربي" أن الموضوع الذي استأثر بالإهتمام ودار حوله البحث وأحيط بالكتمان والصمت هو شبكة التجسس الإسرائيلية التي اعتقلت في الولايات المتحدة الأميركية واعتبرت أكبر شبكة تجسس في تاريخ أميركا؟!.

وكانت أنباء سابقة تم التعتيم عليها إعلامياً ذكرت إن مكتب التحقيقات الفدرالي إكتشف في أعقاب أحداث ١١ أيلول وإستنفار طاقاته وعناصره أكبر شبكة تجسس في تاريخ أميركا، وتقوم وزارة العدل الأميركية باحتجاز ما يزيد على مئة إسرائيلي في السجون أكدت التحقيقات الأولية أن لهم صلة بأجهزة مخابرات عسكرية أجنبية _إسرائيل؟ ..

وقد ضمت الشبكة ، التي سبق لـ "المحرر العربي" أن انفردت بالكشف عنها ، موظفين كباراً في شركتين إسرائيليتين تقوم بتنفيذ معظم العمليات الرسمية للتنصت عبر أسلاك الاتصالات ومد الشبكات للهيئات المكلفة بالمحافظة على القوانين، سواء منها المحلية أي الولاية ، أو الوطنية أي الفدرالية.

وكانت الحكومة الأميركية قد أجازت الاستعانة بالاتصالات لحماية النظام والقانون _ أي التنصت _ غير أنها اكتشفت أن هذا النظام تم

اختراقه وتفخيخه من قبل مجموعات تعمل في الجريمة المنظمة داخل إسرائيل والمخابرات الإسرائيلية.

وتقول المعلومات المتوفرة التي أكدها المسؤولون في هيئات حماية القانون المحلية والاتحادية لكل من المدعي العام للدولة، وزير العدل _ جون أشكروفت ، ومدير الـ"أف بي آي" روبرت مويللير، بأن شبكة التجسس الإسرائيلية التي اخترقت نظام التنصت قد وفرت للمجموعات الإجرامية في الولايات المتحدة إمكان استخدام نظام التنصت بشكل معاكس وضد المخابرات الأميركية والشرطة والأمن ، ما أدى إلى مقتل عدد من المتعاونين مع الشرطة المزروعين داخل تلك المجموعات وإحباط خطط وضعتها الشرطة والـ"أف بي آي" لشن حملات مفاجئة على منظمات تهريب المخدرات وترويجها .

وتقول الأنباء الواردة من واشنطن إن اكتشاف هذه الشبكة الإسرائيلية أخذ يزيد في توتر العلاقات المتوترة أصلاً حول هذه الموضوعات.

وتؤكد مصادر "المحرر العربي" إن رئيس الأركان الإسرائيلي موفاز قد نفى للمسؤولين الأميركيين أي تورط إسرائيلي رسمي في اختراق وسرقة نظام التنصت الأميركي، غير أن مسؤولي السي أي إي والأف بي آي ما زالوا غير مقتنعين بهذا التأكيد، ويحققون في العلاقات المباشرة لعدد من الموظفين الإسرائيليين في الجيش والمخابرات الذين تم إعتقالهم.

وقد طلب موفاز في نهاية أحد الإجتماعات إبقاء هذا الموضوع خارج الضوء ومعالجته بصمت لما يمكن أن يعكسه على العلاقات الإسرائيلية ـ الأميركية . وقال : لنفترض أن هناك صلة ما لبعض هذه العناصر الإسرائيلية بعمليات التجسس ، فإن التعامل معها يجب أن يبقى سراً. وستقوم إسرائيل من جانبها بالتحقيق والتأكد وتزويد واشنطن بالمعلومات التي تفيد التحقيق.

هذا، ولم يعد خافياً على أحد، دور الموساد في أحداث ١١ أيلول الأميركية . كما أن أجهزة المخابرات الأميركية وكبار المسؤولين الأميركيين يعلمون تماماً طبيعة هذا الدور والمخططين له والمنفذين أيضاً، وصولاً للأهداف الكامنة خلفه . ولولا ذلك، لما قامت السلطات الأميركية باعتقال هذه الشبكة الموسادية التي تعتبر الأكبر في تاريخ الولايات المتحدة وطمس أخبارها والتستّر عليها حتى لا تنتفي بالتالي صفة "الإرهاب " عن العرب والمسلمين ، ثم عن أسامة بن لادن تحديداً، ومن ورائه أفغانستان كهدف صهيوني أميركي مشترك (وهو سيناريو معدّ سابقاً قبل وقوع أحداث ١١ أيلول بسنوات ). وقد جاءت هذه الأحداث ـ المخطط لها بدقة صهيونياً ـ لإستفزاز مشاعر الشعب الأميركي والجيش الأميركي لكي يبدأ القتال ضد الجهة المحدّدة سلفاً من قبل اللوبي الصهيوني لسحقها ، وبهذا فإنهم يدفعون الأميركيين لدفع المال والرجال لتحقيق أهدافهم. وهكذا أصبح الشعب الأميركي بكل مقدراته تحت إمرتهم .

لذلك فقد كان الصهاينة هم المشتبه بهم بالدرجة الأولى في هذه الأحداث، بالتعاون مع أنصار لهم من داخل الولايات المتحدة .

في هذا الإطار تناول الحكم الدولي في الخلافات الدولية المحامي الدكتور رفعت مصطفى هذه المسألة، مشيراً الى أن "المشتبه بهم " فيها هم : الموساد أولاً والطيارون العسكريون ثانياً الذين خدموا في البحرية الأميركية أثناء حرب الخليج الثانية ، فقال تحت عنوان "المشتبه بهم" في هذه الاعتداءات على أميركا :

أولاً: الموساد الإسرائيلي ، حيث خطط لهذه الاعتداءت كي تتمكن الصهيونية من تنفيذ برامجها التي تحدثت عنها انفاً، وبدلالة :

١-إن هذه الاعتداءات كانت ذات دقة عالية في التوقيت والهدف وهناك أشخاص من ضمن جهاز الطيران الأميركي في الملاحة الأرضية تعاملوا مع الجهة المنفذة كي تتمكن هذه الأخيرة من تحقيق أهدافها .

٢-أكثر من أربعة آلاف يهودي وعدد كبير من الإسرائيليين المزدوجي الجنسية الذين يحملون الجنسيتين الأميركية والإسرائيلية معاً وهم من العاملين في المبنى ، قد تلقّوا أوامر من الحكومة الإسرائيلية بعدم التوجه الى المبنى فما معنى هذا ...؟؟.

٣-لقد دخل المبنى عشرون يهودياً قدموا من خارج الولايات المتحدة من أصقاع العالم وتم إخلاؤهم قبل الهجوم حين دخولهم في التاسعة صباحاً. فما معنى هذا ...؟!.

٤-ليس هناك أي صهيوني قد أصيب من جراء هذا الهجوم ...؟؟؟.

٥-إستخدمت الصهيونية جوازات سفر كندية مزورة ولبنانية مسروقة في عملياتها في الأردن وتونس... وهي تلعب الدور نفسه في الولايات المتحدة الأميركية ... ؟؟!. وإن أسماء الأشخاص الواردة على اللوائح هي في الأساس لوائح مزورة ... !؟؟؟.

٦-باع الصهاينة أسهمهم بالبورصة في منهاتن (نيويورك) قبل يومين من الهجوم واستغرب التجار هناك هذه السرعة في بيع الأسهم الصادرة لحسابهم من الشركات الأميركية ...؟؟!!.

٧-ضبطت المخابرات الأميركية خمسة إسرائيليين قد وضعوا أدوات التصوير على سطح إحدى الشركات الإسرائيلية في نيوجرسي مركزة على مبنى التجارة العالمي قبل ان يضرب، وحين تم ضربه تم ضبطهم وهم يقومون بعملية التصوير من خلال تلك الآلات .

٨-هناك أربعة صناديق سوداء داخل الطائرات أين هي الآن ؟؟ لماذا لم يتم الإعلان عن مضمونها ؟؟؟ لو كان هناك أي أثر يظهر الجريمة لسارعت الإدارة الأميركية للإعلان عنه .. ؟ إلا أنه يبدو أن هذه الصناديق تخضع الآن لعملية مونتاج لتوجيه الإتهامات بالتسلسل لتصبح تهمة جوالة مثل قضية لوكربي .. ؟؟.

ثانياً : الطيارون العسكريون الذين خدموا في البحرية أثناء حرب الخليج الثانية قد تعرضوا لإشعاعات ناتجة عن استخدام أسلحة اليورانيوم المستنفد

(بثت قناة الجزيرة برنامجاً كاملاً عن هؤلاء العسكريين الذين خدموا في البحرية الأميركية أثناء حرب الخليج). وقد بدا الكثير منهم في حالة يائسة من الحياة لأن البنتاغون أي الإدارة الأميركية العسكرية لم تلتفت لوضعهم ولم تهتم بهم نهائياً ولم تعوضهم ولم تهتم بأسرهم، لهذا جاءت هذه الضربة للبنتاغون لأنه مركز القيادة العسكرية الأميركية ثم جاءت الضربة لمركز التجارة العالمي لأن الرأسماليين الكبار قد حصدوا الأرباح الهائلة من حرب الخليج الثانية وتقدر بمليارات المليارات لهذا كان الإنتقام قد انصب على البنتاغون ومركز التجارة العالمي وذلك من خلال تحول الكثير من الطيارين إلى طيارين مدنيين في الخطوط الجوية الداخلية الأميركية وبالتالي فإن قيامهم بأعمال إنتحارية كان ناتجاً عن اليأس الذي أصابهم والتدمير الجسدي نتيجة الأمراض التي سميت بأمراض حرب الخليج. أما تحديد الأهداف فقد كان انتقاماً ممن لم يبالوا بهم وبوضعهم من جهة ، والذين حصدوا الأموال الهائلة من جهة أخرى.

ويبدو أن الموساد الإسرائيلي قد اتفق مع بعض هؤلاء وأغروهم بأن يعوضوا لأسرهم أموالاً طائلة (ومن المفترض أن يكون هذا التعويض من قبل البنتاغون ) للقيام بهذه الأعمال بدلاً من أن يموتوا على الفراش هماً وغماً ومرضاً ....

والأيام القادمة كفيلة بتوضيح هذه القضايا على حقيقتها، باعتبار أن الحقيقة لا تموت مهما طال الزمن .

# المراجع

١- "المحرّر العربي" : _ العدد ٣١٣. تاريخ ٢١ أيلول ٢٠٠١.

_ العدد٣١٥.من ٥_١١تشرين الأول٢٠٠١ص٢٢

_ العدد٣٢٩.من١٨_٢٤كانون الثاني ٢٠٠٢ص١٨

_ العدد٣٣٠.من٢٥_٣١كانون الثاني ٢٠٠٢ص٢

_العدد٣٣٥.من ٨_١٤آذار٢٠٠٢. ص١١.

٢-صحيفة (لوموند) (Le monde) . تاريخ ٦آذار ٢٠٠٢.

٣-مجلة "أنتلجانس أونلاين". تاريخ ٤ آذار ٢٠٠٢.

٤-مجلة "عالم التجسس" . في ٣٠ كانون الأول ٢٠٠١.

٥-أنظر مقال المحامي الدكتور رفعت مصطفى في مجلة "المحرر العربي" .

العدد ٣١٥. من ٥_١١ تشرين الأول ٢٠٠١ . ص٢٢.

# الفصل الخامس عشر

## حكم القضاء الروسي
## على الجاسوس السوفياتي.

في السابع والعشرين من حزيران ٢٠٠٢، نشرت الصحيفة الأميركية "فيلادلفيا أينكوايرر" نبأ حول إدانة الجنرال السابق في المخابرات السوفياتية "كي .جي.بي" في العهد السوفياتي "أوليغ كالوغين" الذي كان آخر منصب له في جهاز ال "كي جي بي " هو رئيس قسم مكافحة التجسس عام ١٩٩٠، بالخيانة، وبالحكم عليه بالسجن لمدة ١٥ عاماً ، لن يقضيها بالطبع، لأنه موجود في واشنطن منذ زمن. ولذلك صدر الحكم غيابياً ولن تعقبه بالطبع إجراءات محاولة إستعادته من الولايات المتحدة .

فما هي هذه القضية ؟ ولماذا حكمت موسكو على الجنرال السابق في المخابرات السوفياتية بعد أكثر من عشر سنوات على سقوط الإتحاد السوفياتي ؟

قضت محكمة موسكو التي تمت فيها إجراءات المحاكمة السرية المغلقة بتجريده من رتبتة العسكرية وأوسمته. أما التهمة التي وجهت إليه فتمثلت في "نشره معلومات سرية في عام ١٩٩٤ حين كتب وأصدر ووزع كتاباً حمل عنوان "الدائرة الأولى ".ففي ذلك الكتاب تحدث كالوغين عن طبيعة

عمل "كي جي بي" وظروف عمله فيها وعن أميركيين جواسيس جندهم "كي جي بي" وطرق تجنيدهم.

وحول هذا الكتاب ذكرت مصادر من "السي آي إي" أن إحدى الإشارات الأولى لوجود عميل كبير في مكتب التحقيقات الفيدرالي الأميركي "إف بي آي" ظهرت في ذلك الكتاب وساهمت باعتقال أخطر جاسوس أميركي لصالح موسكو بعد ألدريك إيمس ، وهو روبرت هانسين الذي أعتقل قبل سنتين متلبّساً حين همّ بتسليم معلومات لرجل مخابرات روسي في إحدى الحدائق عام ٢٠٠٠. وكانت الخطة المتبعة في ذلك الوقت هي تخبئة رزمة المعلومات تحت التربة في مكان متفق عليه. وعندما وصل هانسين الى الحديقة وشرع بإعداد المكان كان كمين من زملائه في "إف بي آي" في انتظاره واعتقاله متلبّساً.

وقد عقب كالوغين على صدور الحكم بسجنه ١٥ عاماً في مقابلة مع راديو روسيا قائلاً إن الولايات المتحدة لن تسلمه لموسكو، واعتبر أن محاكمته لم تكن سوى بدافع الإنتقام من زملائه لأن الأحداث التي وصفها في كتابه حول عمله خلال ٢٢ عاماً في "كي جي بي" لا تدينه لأنها عامة ولم تكن تتعرض للتفاصيل الجوهرية. ورغم ذلك ذكر إيفجيني بارو محامي الدفاع في المحكمة ، أنه سيقدم إستئنافاً لصالح موكله ضد هذا القرار.

والمعروف أن كالوغين عمل في قسم مكافحة التجسس منذ عام ١٩٧٣ حتى عام ١٩٨٠، وكان والده في المخابرات السوفياتية في عهد

ستالين. ويتمتع كالوغين الآن بثراء وحياة رفاه واضحة ويعمل مستشاراً خاصاً للشركات الأميركية، وابتكر بالمشاركة مع رئيس "السي آي إي" السابق وليام كولبي، لعبة تجسس تستخدم في ألعاب الكومبيوتر ويقوم بإدارة جولات تجسس سياحية حول مدينة واشنطن بصحبة جاسوس أميركي سابق. وكان أول إتهام وجه لكالوغين بخيانة الدولة عام ١٩٩٠ حين بدأ عهد "بيروسترويكا" غورباتشوف وبداية التدمير الذاتي للنظام السوفياتي. ففي ذلك الوقت شارك كالوغين رغم أنه ما زال في منصبه في "كي جي بي" في تظاهرات تأييد للديموقراطية الغربية فاضطرت قيادة "كي جي بي" لفصله وتجريده من رتبته العسكرية.

لماذا هو وليس غيره ممن هدموا النظام ؟

وبعد سقوط الإتحاد السوفياتي وتحول موسكو الى الإقتصاد الحر وإنتاج النظام الديموقراطي الغربي، أعيدت لكالوغين رتبته العسكرية وراتبه التقاعدي . وشارك في ترشيح نفسه مع إيغور غايدار باسم "منظمة العسكريين الديموقراطية" في إنتخابات قيادة "حركة روسيا الديموقراطية" . ويقول سيرجي يوغوف، أحد الكتاب الصحفيين الروس في صحيفة برافدا: "وهكذا يدان كالوغين ويصدر قرار بحبسه في حين أن باكاتين رئيس "كي جي بي" السابق الذي دمر جهاز المخابرات الروسية ، وكذلك غورباتشوف ويلتسين وبيريزوفسكي وهو يهودي روسي، وغوزينسكي، يهودي روسي آخر، لا يزالوا أحراراً".

وكان كالوغين قد أجرى في كانون الثاني /يناير عام ١٩٩٨ مقابلة مع محطة "سي إن إن" إعترف فيها أنه كان من المتحمسين للفكر الشيوعي والنظام الإشتراكي السوفياتي، ولذلك إنضم على غرار والده الى سلك المخابرات. وكانت طريقة إعداده للعمل التجسسي ضد الولايات المتحدة قد تم ترتيبها من خلال منحة دراسية كطالب جامعي في جامعة كولومبيا منذ إنتهاء دراسته الثانوية لدراسة الصحافة. وفي فترة دراسته الجامعية لم يطلب منه المسؤولون عنه التجسس، بل إنجاز مهمتين هما : التعرف عن كثب على طبيعة النظام الأميركي والجمهور والسياسة والإعلام فيه، والمهمة الثانية إقامة أكبر قدر من علاقات الصداقة العادية الطبيعية مع زملائه ومع الشخصيات الجامعية هناك ودون التنويه أو التلميح لأي مسألة مريبة تثير الشكوك بينهم: الصداقة لمجرد الصداقة موقتاً وكمرحلة أولى ويقول كالوغين :"تعين عليّ إقامة مثل هذه الصداقات من أجل بناء تربة خصبة لعملي بين هؤلاء في المستقبل". وبعد تخرّجه من جامعة كولومبيا أرسلته "كي جي بي" عام ١٩٦٠ الى الولايات المتحدة بصفة مراسل لراديو موسكو، وكان المراسل السوفياتي الوحيد الذي يغطي أنباء الولايات المتحدة والأمم المتحدة في نيويورك. وعمل بهذه الصفة أربعة أعوام كان أثناءها يجمع المعلومات ويحاول تجنيد بعض الأميركيين. ويقول في هذا الصدد: "كنت أهتم بالتركيز على الشبان الواعدين، وفي ذلك الوقت كنت شاباً في العشرينات وهذا ما كان يطلبه منه المسؤولون". وفي

عام ١٩٦٤ عاد الى موسكو وبقي سنة فيها ضمن مكتب المخابرات السوفياتية . وفي عام ١٩٦٥ رتبت له وزارة الخارجية السوفياتية غطاء للعمل في السفارة في واشنطن حيث كان يتولى منصب نائب رئيس المخابرات السياسية في تلك الساحة ويضطلع بدور رئيس محطة لـ"الكي جي بي" من ناحية عملية. لكن الصحفي الأميركي جاك أندرسون إكتشف دوره هذا واضطرت المخابرات السوفياتية الى نقله، ولو لم يتمّ كشفه لأصبح رئيساً للمحطة هناك. ويتذكر كالوغين تلك الفترة قائلاً :" ربما كانت تلك السنوات أكثر سنواتيَ المثمرة. فمنذ عام ١٩٦٥حتى عام ١٩٧٠وأنا أعمل كسكرتير صحفي وضابط علاقات عامة وألتقي بعشرات الصحفيين الأميركين والأوروبيين أضللهم أحياناً بمعلومات مزيفة. ولكي لا أفقد ثقتهم أقوم أحياناً أخرى بإعطاء بعض التفاصيل الموجزة الصحيحة التي لم تضر في حينها. لكن مهمة نائب رئيس محطة "الكي جي بي" وفّرت لي إدارة عدة خلايا تجسس أميركية كان أحد أبطالها جون ووكر الذي جاء الى السفارة السوفياتية في خريف عام ١٩٦٧ ورتبت العلاقة معه وإستمر جاسوساً لصالح موسكو مدة ١٨عاماً. (يذكر أنه إعتقل وحكم بالسجن قبل الحديث عنه). وقمت بإدارة عمل بعض الجواسيس الآخرين في نفس السفارات الغربية الموجودة في واشنطن وفي أوساط الصحفيين، وأوساط الأكاديميين الأميركيين. ولذلك أعتقد أن السنوات الخمس التي عملت خلالها في واشنطن جعلتني أفضل ضباط "كي

جي بي" بموجب أدقّ معاييرها. ولهذا السبب إستدعتني موسكو رغم أنني ما زلت شاباً في ذلك الوقت، وعينتني نائب رئيس قسم مكافحة التجسس في "كي جي بي". وفي عام ١٩٧٤رقيت الى رتبة جنرال وكان عمري ٤٠ عاماً فقط".

## مشهد طبيعي قلب تفكيره ..

ويتحدث كالوغين عن زيارة رافق فيها عام ١٩٧٩رئيس "كي جي بي" الى تشيكوسلوفاكيا قائلاً :" في صيف جميل قام وفد "كي جي بي" بصحبة نظيره التشيكي بزيارة عبر نهر الدانوب الى الحدود التشيكية – النمسوية في قارب. وفي منطقة لا تبعد كثيراً عن براتسلافا توقفنا لتفحص السياج الحدودي الشائك الذي يفصل تشيكوسلوفاكيا عن النمسا. وكان النمسويون يقومون بنـــزهات على ضفة النهر والدخان يتصاعد من مواقد اللحم والأطفال يلعبون وكان المشهد رائعاً يدل على الرضى والسلام. أما نحن فكنا واقفين صامتين على جانب السياج الشائك الذي امتدت على طوله أبراج الحراسة والجنود بأسلحتهم الظاهرة للعيان. وكان التناقض بين الجانبين حاداً جداً، وكنت أشعر أن جميع أعضاء الوفد السوفياتي الأمني كان يفكر بنفس ما يفكر به الآخر، أي أن النمسويين هم الأحرار في حين أننا نحن الذين نعيش في سجن كبير. وهنا أنا لا أنسى ما حدث لغروتشكوف رئيس "كي جي بي" حين كان يحملق في الضفة المقابلة لنهر الدانوب وبدأ يهمهم قائلاً:

" حسن، نعم"وسحر المشهد أمامه. فبالتأكيد أن غروتشكوف أراد قول ما نفكر به جميعاً لكنه كان عاجزاً عن التفوه بحقيقة أن نظامنا السوفياتي متعفن". ويتساءل الكثير من المراقبين في روسيا والغرب عن السبب الذي دعا القضاء الروسي والمخابرات الروسية الى محاكمة الجنرال كالوغين الآن وفي هذا الوقت بالذات طالما أن ما جاء في كتابه يتعلق بالعهد السوفياتي البائد ؟. هناك إعتقاد لدى البعض بأن المخابرات الروسية تريد منع صدور أي معلومات علنية أخرى حول العهد السوفياتي ونشاطاته الأمنية في العالم خصوصاً وأن عملاء سابقين للـ" كي جي بي" قد يكونوا الآن في موقع حساس رغم إنتهاء عهد عمالتهم ومركزهم السابق بكل ما يعنيه ذلك من قلة الأخطار. فالطمع بالمال قد يدفع ضباطاً سابقين في "كي جي بي" بنشر كتب تضر بآخرين لا يجد بوتين من مصلحته الآن التسبب بإيذائهم.

المراجع


١-صحيفة "فيلادلفيا اينكوايرر" في ٢٠٠٢/٦/٢٧.

٢-صحيفة "المحرر العربي". العدد ٣٥٢. من ٥-١١تموز٢٠٠٢ ص ٢٠.

٣-أوليغ كالوغين "الدائرة الأولى". الطبعة الأولى ١٩٩٤.

# الفصل السادس عشر

## السرّ الغامض في وفاة ضابط
## الـ" سي آي إي"في موسكو.

ليس من السهل أن ينجح أي ضابط مخابرات في الفرار من بلده، خصوصاً بعد أن يخضع لتحقيق يشتم فيه رائحة التجسس. ولكن ذلك لم يكن صعباً على الضابط السابق في وكالة المخابرات المركزية الأميركية "سي آي إي" أدوارد لي هوارد. حيث ذكرت صحيفة "واشنطن بوست" في ٢٠تموز ٢٠٠٢ أن هذا الضابط الذي يبلغ من العمر خمسين عاماً، كان قد تعرض لتحقيق معه ثم تمكن من الفرار الى موسكو في شهر أيلول من عام ١٩٨٥ بعد إحتمالات تجسسه لصالح الإستخبارات السوفياتية. وقد توفي في الثاني عشر من تموز ٢٠٠٢ في ظروف غامضة، حسب ما ذكر أحد أصدقاء عائلته، الذي أفاد أن هوارد سقط من على سلّم منـــزله في العاصمة الروسية وكسرت رقبته. فكيف كانت هذه القضية ؟

كان هوارد قد انضم الى الـ" سي آي إي" في عام ١٩٨١، وفي عام ١٩٨٣ بدأت الوكالة تعده هو وزوجته التي كانت هي أيضاً من الضباط فيها لمنصب في موسكو والقيام بمهامه التجسسية فيها. ولأن"السي آي

إي" إعتادت أحياناً على تقديم ضباطها لإجراءات الفحص والتدقيق التي يخضعون فيها لجهاز إلكتروني يستخدم للكشف عن مدى وجود أكاذيب في أقوالهم قبل إرسالهم الى مهمة كبيرة كهذه، فقد أظهر هذا الجهاز وجود كذب وخوف في أقوال هوارد، وتمّ إبعاده عن هذه المهمة بالذات. على الأقل كان هذا ما أعلنته الـ" سي آي إي" رسمياً بعد فراره عام ١٩٨٥ الى موسكو. وبالإضافة الى ذلك الزعم، ذكرت تقارير الوكالة أن هوارد مدمن على الكحول ولا يمكن توظيفه في تلك الوكالة الحساسة. لكن الـ"سي آي إي" ساعدته رغم ذلك بموجب ما سربت من أنباء في العثور على وظيفة في وكالة حكومية تابعة للدولة في مدينة (سانتا فيه) (شمال مينسوتا). ومع ذلك تورط بمشاكل مالية بعد مواصلة الشرب اليومي للكحول، فاستغل إجازة سافر خلالها مع زوجته الى فيينا – في النمسا وإتصل بعملاء سوفيات في تلك المدينة عام ١٩٨٤ وقدم هناك، كما تقول المخابرات الأميركية، المعلومات التي كان يعرفها أثناء إعداده للعمل في موسكو قبل طرده مقابل مبلغ من المال.

## شكوك في رواية الـ" سي آي إي":

هذه القصة تبدو غير مقنعة تماماً، والـ"سي آي إي" كان لها مصلحة في عرضها على هذا النحو، في حين أن المخفي منها "أعظم". ويستدلّ من المصادر الصحفية الأميركية وخصوصاً "واشنطن بوست" أن قصة هوارد ستظل غامضة ما دامت لا تتحدث زوجته عن حيثيات فيها أو ما دامت

المخابرات السوفياتية لا ترغب بالكشف عن بعض تفاصيلها الرئيسية. ويزداد الغموض حين نجد أن هوارد كان قد تعرض لتحقيق مكثف من مكتب التحقيقات الفيدرالي "إف بي آي" قبل شهر من فراره من قلب الولايات المتحدة الى موسكو.

ففي شهر آب/ أغسطس من عام ١٩٨٥ فرّ الى الولايات المتحدة طالباً اللجوء السياسي أحد كبار ضباط المخابرات السوفياتية فيتالي يورشينكو، وأصبح تحت إشراف الــ"سي آي إي" وقيل إنه زودها بمعلومات تفصيلية عن جواسيس أميركيين داخل "السي آي إي" يعملون لصالح المخابرات السوفياتية. ومن بين الأسماء ورد إسم هوارد الذي تعرض لاستجواب من "إف بي آي" من دون أن يعثر على دليل عليه. ويبدو أن يورشينكو لم يقدم لهم سوى معلومات تضليلية وبعضها ضمن حدود معينة يدل على صدقه خصوصاً تجاه هوارد، لكن قصة فرار يورشينكو إنتهت بعد شهر واحد بعودته للفرار من الــ"سي آي إي" الى المخابرات السوفياتية مرة أخرى، وهذا ما أثار أكبر ريبة وألحق ضربة بالــ"سي آي إي" تفوق قصة لجوئه إليها ثم الهرب الى موسكو بعد أن سلم نفسه لسفارة موسكو في واشنطن.

وتبين، بعد إعتقال أكبر جاسوس سوفياتي في قيادة الــ" سي آي إي" نفسها وهو ألدريك إيمس، مسؤول دائرة مكافحة التجسس السوفياتي في الوكالة عام ١٩٩٤ واعترافه أن المخابرات السوفياتية رتبت مسرحية فرار

ولجوء يورشينكو الى الولايات المتحدة لكي تبعد الشبهة عن ألدريك إيمس بعد إزدياد شكوك حوله. فعندما وصل يورشينكو الى مقر الوكالة وقدم معلوماته كان أحد الذين أصغوا الى معلوماته هو إيمس نفسه، ولا شك أن الإثنين على إطلاع بوضع كل منهما. وحين اهمكت قيادة "السي آي إي" بالمعلومات التي قدمها يورشينكو، وهو الذي يحتل منصباً كبيراً في الـــ"كي جي بي" إبتعد الخطر عن إيمس، لأن " السي آي إي" ستعتقد أنه لو كان إيمس مشتبهاً به لقدم يورشينكو معلومات عنه، خصوصاً وأنه ثبت بعد ذلك صحة معلوماته حول هوارد الذي فرّ في أيلول عام ١٩٨٥ قبل فرار يورشينكو المثير.

## لكن كيف فرّ هوارد ؟

بعد أن قدم يورشينكو بعض المعلومات عن هوارد والى حد غير تام، للتسبب باعتقاله ومحاكمته، قرر مكتب "التحقيقات الفيدرالي" وضع مراقبة دائمة على هوارد ومنـــزله وأسرته وسيارته وتنقلاته أينما كانت علّه يعتقله متلبّساً أو يكشف عن العملاء الذين يزوّدهم بالمعلومات. وجرى التنصت على جميع مكالمات هاتف منـــزله من دون أن يدري بالطبع، وإن كان سيتوقع ذلك، خصوصاً وأنه كان ضابط "سي آي إي"؛ ففي اليوم الذي فرّ فيه أعدّ دمية بحجمه يمكن طيّها ونفخها وبحيث تكون بزّته عليها عند نفخها وحملها بحقيبة صغيرة، وخرج مع زوجته في سيارهما تاركاً المقود لزوجته وجلس هو بجانبها لتناول العشاء في الخارج.

وعند عودهما لاحظ رجال الـ "أف بي آي" الذين كانوا يراقبون عودهما الى المنــزل في نوبة أخرى لمن رافق سيارهما من رجال "أف بي آي" وشاهد وجودهما في المطعم أن السيارة كانت تقودها إمرأته وهو (الدمية) موجود بجانبها حين دخلت السيارة كاراج المنــزل لكن هوارد لم يكن لا في السيارة ولا في البيت، لأنه غادر السيارة عند أحد المنعطفات بعد وضع الدمية دون أن يلاحظ ذلك أحد ممن كان يراقبه أو يتعقب سيارته. ولكي تنطلي القصة تماماً على رجال المخابرات الإتحادية (إف بي آي) قامت زوجته من داخل المنــزل في الليلة نفسها بالإتصال بأحد المكاتب ووضعت أمام سماعة الهاتف شريط تسجيل يطلب تحديد موعد للإجتماع بمدير ذلك المكتب عند صباح اليوم التالي. ولأن رجال "أف بي آي" كانوا يتنصتون على مكالمات هاتف المنــزل إزدادت الطمأنينة بوجوده في المنــزل. لكن هوارد كان في تلك الليلة متوجهاً نحو المطار حيث انتقل الى دالاس وبعدها إنطلق بطائرة أخرى خارج الولايات المتحدة. وبعد أن وصل الى هلسينكي في فنلندا قام بعبور الحدود الفنلندية باتجاه أراضي الإتحاد السوفياتي. ووصل بعد ذلك الى موسكو ومنحته المخابرات السوفياتية شقة وفيلا صغيرة في الريف.

وبعد هروب هوارد الناجح هذا إضطرت "السي آي إي" الى إجراء تغييرات في كيفية تجنيد الأميركيين فيها وفي طريقة التعامل مع من يشك أثناء تدريبهم بعدم صلاحيتهم أو ضعفهم أو وجود ثغرات في شخصيتهم

قد يساء إستخدامها. وعمدت إدارة المخابرات الى عدم تسريح مثل هؤلاء المجندين فيها مباشرة وفوراً، ولجأت بدلاً من ذلك الى إعطائهم وظائف لا علاقة لها مباشرة بالعمل السرّي لفترة من الوقت تنعدم خلالها أخطار تسريبهم للمعلومات فيتم تسريحهم بعد ذلك. وفي موسكو إعتاد هوارد منذ أيلول ١٩٨٥على الإنتقال من موسكو الى مدن أخرى أو مناطق ضمن النفوذ السوفياتي في المناسبات. وكانت زوجته تزوره ويلتقي بها لأن المحكمة الأميركية لم تحاكمها بتهمة التواطؤ مع زوجها في فراره. وكانت تصطحب معها إبنهما أيضاً في كل سنة. وكانا يلتقيان في بانكوك في آخر مرة قبل وفاته... إن تأكدت وفاته وقصتها . فالناطق بإسم الــ" سي آي إي". قال في١٩/٧/٢٠٠٢ إن الوكالة تلقت أنباء عن وفاة هوارد قبل أسبوع لكنها لا تستطيع تأكيدها بعد .

## ... وماذا قدم للسوفيات ؟

لكن السؤال الذي يطرح هو ماذا كان أهم ما قدمه هوارد للسوفيات ؟.

تقول صحيفة "واشنطن بوست" إن هوارد زوّد موسكو بإسم عميلين مهمين للــ" السي آي إي" أحدهما ضابط سرّي لها في موسكو نفسها، وآخر عالم سوفياتي مهم من المختصين في تقنية "التنصت والتسلل السرّي". وقامت موسكو بعد الكشف عنهما بطرد الضابط من موسكو ربما لأنه كان يتخفى بستار ديبلوماسي يصعب الكشف عنه وباعتقال العالم السوفياتي وإعدامه فيما بعد.

وهناك من يعتقد أن ترتيب هوارد لفراره جرى بأوامر من المخابرات السوفياتية لكي يتم إشغال قيادة "السي آي إي" بقضية وبمعلومات يورشينكو الذي تزامن لجوؤه الى أميركا مع هرب إيمس ربما لتحويل إنتباه الوكالة عنه، إن لم يكن لتعزيز الثقة به. وقد نجحت هذه المسرحية السوفياتية لمدة تسع سنوات، لأن إيمس رقي في منصبه من ضابط مسؤول عن التجسس في بعض دول أميركا اللاتينية الى مسؤول عن دائرة مكافحة التجسس السوفياتي في قيادة الـ"سي آي إي" وهو المنصب الذي كان يشغله عند اعتقاله عام ١٩٩٤ وإدانته بالتجسس لصالح موسكو في العهدين السوفياتي، والروسي على السواء. بل إن إيمس سلم الى السوفيات عدداً من الجواسيس الروس الذين كانوا يتعاملون مع "السي آي إي" من داخل أراضي الإتحاد السوفياتي.

وتقول صحيفة "واشنطن بوست" (٢٠٠٢/٧/٢٠) إن موت هوارد يشير الى نهاية أحد أبرع قصص التجسس في عالم الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي .

المراجع

١-"واشنطن بوست" بتاريخ ٢٠تموز ٢٠٠٢.
٢-"المحرر العربي". العدد (٣٣٥). في ٢٦تموز – ١ آب ٢٠٠٢ ص ٢.

# الفصل السابع عشر

## كاسترو يهزم ثماني رؤساء أميركيين
## ووكالة مخابراتهم.

قليلون جداً في التاريخ، هم الأفراد الذين هزموا عدداً من رؤساء الدول. فكيف إذا كان شخص إسمه "فيديل كاسترو" إستطاع أن يقهر دولة عظمى كالولايات المتحدة الأميركية وثمان من رؤسائها، ووكالة مخابراتها المركزية، على مدى نصف قرن من الزمن، رغم كل جبروتهم وقوتهم وعبقريتهم التي لم تدّخر جهداً ولا طريقة للتخلص منه والقضاء عليه ؟.

وبالفعل فإن جون كينيدي، ليندون جونسون، جيرالد فورد، جيمي كارتر، رونالد ريغان، جورج بوش، بيل كلينتون، وحالياً جورج بوش (الإبن) ... جميعهم إعتلوا كرسيّ الرئاسة الأميركية تراودهم أحلام القضاء على الزعيم الكوبي فيديل كاسترو. لكن الأحلام بقيت أحلاماً، وانتهت ولاياتهم الرئاسية ( باستثناء بوش الإبن) وابتلعهم النسيان، فيما بقي كاسترو صامداً في موقعه في وجه الأمواج الأميركية العاتية.

ولعلّ أكبر هزيمة منيت بها أجهزة المخابرات الأميركية كافة منذ الخمسينات حتى الآن هي إخفاقها وفشل محاولاتها كافة خلال ما يزيد على أربعين عاماً في اغتيال الزعيم الكوبي. فمنذ الفشل الأول الذي منيت به "السي آي إي" في عملية خليج الخنازير الشهيرة في نهاية الخمسينات (كنا قد تناولناها تفصيلياً في جزء سابق من هذه الموسوعة) أصبح الفشل الدائم والهزيمة ما يحالف "السي آي إي" وأجهزة المخابرات المركزية الأميركية الأخرى كافة.

فكاسترو أصبح في القرن الماضي والقرن الجديد أحد أهم الرموز التي تدل على هزيمة الولايات المتحدة وخصوصاً أجهزة مخابراتها وأجهزة المخابرات الحليفة لها في قارة أميركا اللاتينية. وإذا كان من المألوف أن نسمع بمؤامرات إغتيال تصدر أوامرها دولة ما لأجهزة مخابراتها، فإنه من غير المألوف أن نسمع أن شركة ما هي التي قامت بتمويل كافة نفقات محاولات إغتيال الزعيم الكوبي.

ففي ٢٢آب ٢٠٠٢، كشف الصحفي البريطاني "دانكان كامبيل" مراسل صحيفة "غارديان" في لوس أنجلوس أن شركة (باركادي) لصناعة وإنتاج الخمور وخصوصاً مشروب الروم (RUM) الكحولي هي التي قامت بدفع تكاليف ونفقات "السي آي إي" لاغتيال فيديل كاسترو خلال ما يزيد على أربعين عاماً، بل ولقلب نظام الحكم الكوبي مهما كلف ذلك، ومهما كانت الطريقة. وفي كتاب ظهر حديثاً في الولايات المتحدة، تبيّن أن

الشركة الأميركية (باركادي) دفعت مبالغ هائلة لمجموعات يمينية متشدّدة ولقادة أميركيين في الإدارة الأميركية و "السي آي إي" لاغتيال كاسترو وقلب نظام الحكم الكوبي وتحويل كوبا الى محمية أميركية.

وقبل الحديث عما تكشفه صحيفة "غارديان"، نستعرض هنا أهم ما كشف عنه من سجلات المخابرات الأميركية من المحاولات الفاشلة لاغتيال الزعيم الكوبي الثوري منذ أكثر من أربعين عاماً.

ففي كتاب ألّفاه وجمعا وثائقه "جوناثان فانكين" و "جون والين" تحت عنوان "أكبر ستين مؤامرة دولية" صدر عام ١٩٩٦ عن سيتاديل بريس، يكشف الكاتبان أن جلسات التحقيق التي جرت حول فضيحة "ووترغيت" ( التي أبعدت ريتشارد نيكسون عن سدّة الرئاسة الأميركية) تطرقت للتحقيق في مؤامرات الإغتيال التي حاولت أجهزة المخابرات الأميركية تنفيذها، فظهر السجل التالي حول كوبا وفيديل كاسترو: ففي آب ١٩٦٠ قام مكتب الـــ" السي آي إي" الخاص بالأدوية والسموم بتسميم عدد من السيجار الكوبي الذي يعتاد فيديل كاسترو تدخينه، ووضعت داخله مادة سامة جداً عند طرفه الذي يمضغ أو يوضع في الفم. لكن هذه المحاولة لم تنجح ولم يقع كاسترو في فخها. وكانت قد وضعت هذه السجائر في مخدعه أثناء وجوده في الأمم المتحدة لكنه لم يستخدم أيّ منها. وعلمت شرطة نيويورك بعد فشل هذه المحاولة أن "السي آي إي" فشلت في وضع متفجرات مميتة داخل عدد من السيجار لكي يستخدمها

كاسترو وتنفجر فيه. وفي فترة الستينات نفسها حاولت "السي آي إي" وضع مادة تدفع المرء الى الهلوسة إذا إختلطت بلعابه وفمه داخل عدد من السيجار الذي يشبه تماماً ما يدخنه كاسترو. وكان الهدف هو إظهار كاسترو بعد تدخينه السيجار كرجل مجنون فيسهل إبعاده عن السلطة. وحين فشلت هذه المحاولة قامت "السي آي إي" بمحاولة تشويه وجه كاسترو وذلك عن طريق وضع نوع من أملاح "الثاليوم" داخل حذائه يؤدي الى التسبّب بسقوط متسارع للشعر في الوجه والحاجبين ورموش العين والجسم ولتشويه وجهه وإرباكه. ولم تنفع هذه المحاولة وتمكن كاسترو من إفشالها أيضاً .

وحين علمت "السي آي إي" أن كاسترو مولع بالغطس تحت الماء، مع إستخدام أوعية التنفس الخاصة بالغطاسين، قامت بتكليف القسم الفني فيها بشراء ثياب غطس بحري كاملة ووضعت داخل أنبوب التنفس الإصطناعي مادة قاتلة ينفذ مفعولها عبر الإستنشاق. بل وأعدّت "السي آي إي" ثياب أو بدلة الغطس على نحو يتسبّب لكل من يرتديها بمرض جلدي قاتل تتسرّب جراثيمه عبر مسامات الجلد ولا يمكن لأحد شفاء كاسترو منه، وفشلت هذه المحاولة أيضاً. وكان من المقرر أن يقوم محامٍ أميركي من الذين كلفوا في الستينات بإجراء مفاوضات مع كوبا لإطلاق سراح المعتقلين من عملية خليج الخنازير، بتسريب جهاز الغطس هذا الى معدات غطس الزعيم الكوبي إذا لم يقبله كاسترو هدية. لكن "السي آي

إي" أقلعت عن هذه الطريقة لخطورة مضاعفات إكتشافها المتوقع حتى لو مات كاسترو.

ومع ذلك ، واصلت "السي آي إي" محاولاتها لإستغلال هواية كاسترو بالغطس، وأعدّ قسمها التكنولوجي قنبلة خاصة يمكن وضعها قرب المنطقة التي اعتاد كاسترو على الغطس فيها داخل البحر، وعند انفجارها يصبح كاسترو بين الأموات. لكن عدم النجاح في وضعها في ذلك المكان واحتمال إكتشافها دفعا المختصّين في "السي آي إي" الى الإقلاع عنها واختيار طريقة أخرى مثل اغتياله عبر إطلاق النار من بندقية قنص متطورة ومن مكان بعيد. وفي عام ١٩٨٧ إعترف "فيليكس رودريغيز" أحد عملاء "السي آي إي" في أميركا اللاتينية أثناء إستجوابه من قبل لجنة خاصة من الكونغرس أعدّت للتحقيق في فضيحة "إيران _ كونترا" أنه كلف باغتيال كاسترو قبل ذلك عن طريق بندقية قنص متطورة عام ١٩٦١ ومجهزة بأضخم عدسة تيليسكوب مكبّرة، وفشلت هذه المحاولة أيضاً.

لكن أخطر ما قامت به "السي آي إي" كان قد تمثل في محاولة تُعدّ من أغرب ما ظهر وما يحمله من دلائل مثيرة. فحين كان الجنرال "إدوارد لاندسديل" مسؤولاً عن كل عمليات التآمر على كوبا وكاسترو تفتق ذهنه عن طريقة غريبة يمكن لها كما رأى أن تثير ثورة مضادة وفوضى ضد قيادة كاسترو. فالجنرال يعرف أن الكوبيين من المسيحيين الكاثوليك، وفي هذا الإتجاه تماماً أراد التلاعب على معتقداتهم. فأعدّ خطة يظهر فيها

"السيّد المسيح" من البحر ويمكن للكوبيين رؤيته ليلاً من الساحل وبعد ترتيب أضواء تطلقها سراً غواصة بحرية أميركية في السماء وعلى شكل قدّيس يشبه ما علق في أذهان الناس من صورة لوجه المسيح بموجب الأيقونات والرسوم، ويقوم عملاء "السي آي إي" داخل كوبا بإثارة الناس بحجة أن "المسيح" يريدهم أن يتحركوا ضد النظام الشيوعي الكوبي. لكن أسباباً غير معروفة حالت دون تنفيذ هذا المخطط الغريب جداً.

أما الجديد في محاولات إغتيال كاسترو، فقد نشره الصحفي الكولومبي "هيرناندو كالفو أوسبينا" في كتاب جديد حمل عنوان "باركادي الأميركية، وحربها الخفية ضد كاسترو". ويقول الكتاب كما نشرت عنه صحيفة "غارديان" في ٢٢ آب ٢٠٠٢ مايلي:" تعد شركة باركادي من أقدم وأكبر منتجي خمور "الروم" (RUM) الروحية وأكثرها مبيعاً في العالم حين نشأت عام ١٨٦٢ في سانتياغو في كوبا على يد أحد الفرنسيين وشريكه الإسباني من كاتالونيا، وهي تبيع ٢٣٠مليون قارورة لمئة وسبعين دولة".

والطريف أن عدداً من أصحاب الأسهم في شركة (باركادي) ومدرائها أصبحوا من أوائل المؤسسين عام ١٩٨١للمؤسسة الكوبية الأميركية الوطنية (كانف) (CANF) التي كانت تقود التنسيق مع "السي آي إي" من أجل الإطاحة بفيديل كاسترو. ثم توسعت أعمال هذه المؤسسة فشاركت في نشاطات "السي آي إي" في نيكاراغوا ضد الساندينيين الثوريين أثناء ولاية الرئيس رونالد ريغان ، وهذا ما كشفته فضيحة

"إيران _ كونترا". وكانت هذه المؤسسة في مقدمة من تولّى الدفاع عن حق الولد الكوبي "إليان كونزاليس" بالعيش في أميركا ضد رغبة والده الذي يريده في كوبا. وثمة من يعتقد أن شركة (باركادي) نفسها أصبحت جهازاً يعمل في كل ما تطلبه "السي آي إي" على الرغم من أنها لم تكن تهتم في البداية إلاّ في كوبا وكاسترو.

ففي عام ١٩٦٦أعلنت "باركادي" عن دعمها بكل ما يمكن للتشريع الذي وضعه ريتشارد هيلمز ضدّ أي شركة أجنبية تعمل في كوبا أو تتعاون مع الشركات الكوبية منها. حتى أن أعضاء في الكونغرس أطلقوا على تشريع هيلمز "مشروع قانون باركادي". وعلى الفور بدأت "باركادي" بحملة لجمع التبرعات لصالح ريتشارد هيلمز حين قرر إعادة ترشيح نفسه للكونغرس. وحين جاء "أوتو رايش" الذي دافع بشدّة عن مقترحات هيلمز ضد كوبا جرى تعيينه في إدارة جورج بوش مساعداً لوزير الخارجية الأميركية لشؤون أميركا اللاتينية رغم معارضة لجنة الخارجية التابعة للكونغرس. والجدير بالذكر، أن "رايش" كان يعمل قبل تسلّمه هذا المنصب مستشاراً لدى شركة "باركادي"والمدافع عن مقترحاتها داخل أروقة إتخاذ القرار الأميركي. ويقول "كالفو أو سبينا" أن رايش كان يعمل وكأنه رئيس للمؤسسة الكوبية _ الأميركية الوطنية. وكان من آخر النشاطات التي قامت بها شركة "باركادي" بالتنسيق مع "السي آي إي" دعم فكرة بوش بوضع كوبا ضمن قائمة الدول التي تقول واشنطن أنها

"داعمة للإرهاب"، لكن هذه المساعي لم تفلح كثيراً بعد أن صوّت مجلس النواب الأميركي بأغلبية ٢٦٢صوتاً على مشروع قانون يخفف القيود على السفر الى كوبا ويخفف بعض الحظر عليها .

هذا ، وبالنظر الى المسافة القريبة جداً بين كوبا والولايات المتحدة، فقد شكلت العبارة التي أطلقها فيديل كاسترو منذ بداية إنتصار ثورته الإشتراكية على أميركا والتي تقول:" يكفينا الفخر بأننا، على فم الولايات المتحدة الأميركية ، أقمنا الإشتراكية "، شكلت تحدياً خطيراً لأميركا، ولا تزال، حتى أنها تحوّلت الى "كابوس" أقلق _ ولا يزال يقلق_ رؤساء أميركا، دون أن يتمكنوا من نجاح مخططاتهم _ القديمة الجديدة _ في القضاء عليه ...

وانتصاره ، بالفعل، هو من أكبر هزائم الولايات المتحدة ووكالة مخابراتها المركزية ( السي آي إي) على الإطلاق.

## المراجع


١-صحيفة " غارديان" في ٢٠٠٢/٨/٢٢.

٢-جوناثان فانكين وجون والين " أكبر ستين مؤامرة دولية" منشورات سيتاديل بريس ١٩٩٦.

٣-هيرناندو كالفو أوسبينا "باركادي الأميركية وحربها الخفية ضد كاسترو". ( أوسبينا هو صحفي كولومبي).

٤-مجلة "المحرر العربي". العدد ٣٦٠. من ٣٠آب – ٥ أيلول. عام ٢٠٠٢ .ص ١٨.

٥-تيري ميسان "١١ أيلول ٢٠٠١الخديعة المرعبة". ترجمة سوزان قازان ومايا سلمان. دار كنعان للدراسات والنشر. دمشق. الطبعة الأولى ٢٠٠٢. ص ١٢٧ وما بعدها.

# الفصل الثامن عشر

## " القرصنة الألكترونية"

## بين

## "التجسس التقني" و"تقنية التجسس"

شهدت البشرية منذ سنوات تقدماً تقنياً وتكنولوجياً، قلّما عرفه عصر من العصور السابقة من قبل، حتى بات هذا التقدم ثورة قائمة بذاتها في عالم الإتصالات والعلاقات الدولية، كما أصبح العالم بفضلها بمثابة "قرية كونية" فعلاً. وكانت الولايات المتحدة الأميركية من أوائل الدول التي تبوأت مكانة هامة في هذا المضمار.

هذا ، وفي معرض التنافس بين كافة أجهزة المخابرات الأميركية ، أثبت التقدم التقني والتكنولوجي الأميركي عدم جدوى فعاليته المطلقة عندما بقيت معلومات على جانب كبير من الأهمية والخطورة محصورة في أجهزة عدد قليل من مسؤولي وكالة المخابرات المركزية( سي. آي. إي.) وحدهم، بإعتبارها إحتكاراً لهم، خصوصاً فيما يتعلق بأسماء تعتبرهم الولايات المتحدة " إرهابيين دوليين" مطلوبين لــ" العدالة الأميركية"، لكن هذه الأسماء لم تعمّم في لائحة على كل أجهزة الكومبيوتر الأميركية في

المطارات والمرافئ والحدود البرّية وغيرها... لذلك عجزت التقنية الأميركية وكمبيوتر "إدارة الطيران الإتحادية" عن التقاط أسماء هؤلاء "الإرهابيين" الذين تمكنوا من تنفيذ الهجومات ضد أهم مراكز القوى الإقتصادية والعسكرية المتمثلة بمركزي التجارة العالمي والبنتاغون "رمزيّ الثراء والقوة" في كل من نيويورك وواشنطن. ولم تنفعهم بالتالي معلوماتهم المدفونة في أجهزة الـــ( سي. آي. إي.) دون غيرها، فكانت الفضيحة الكبرى تتناول كل أجهزة الأمن الأميركي على اختلافها دون تمييز بين جهاز وآخر، ومهما حاولوا رمي المسؤولية من واحد الى آخر ... وهذا فشل بالغ الأهمية لأعرق جهاز مخابرات دولي في هذا الفن . وفي الوقت نفسه، كانت هذه التفجيرات بمثابة الفضيحة لكل الإنجازات التقنية والتكنولوجية الأميركية على اختلافها ... وهنا تكمن أهمية "العنصر البشري" كأساس في كل شيء قبل التكنولوجيا وبعدها ... هذا في الوقت الذي عجزت فيه كل التكنولوجيا والتقنية الهائلة عن كشف عمليات الحادي عشر من أيلول سنة ٢٠٠١قبل وقوعها ... وماذا تنفع الأجهزة بعد وقوع الكارثة ؟.

ولعل أهم ما حملته عمليات التفجيرات التي وقعت في نيويورك وواشنطن في ١١ أيلول ٢٠٠١ من مظاهر الفشل الذريع للإدارة الأميركية يكمن في الهزيمة التي ألحقتها بأجهزة المخابرات الأميركية، وخصوصاً مكتب التحقيقات الفيدرالي (إف بي آي) والمخابرات الأميركية (السي آي إي).

وإذا كان ريتشارد شيلبي رئيس لجنة شؤون المخابرات في الكونغرس قد اعتبر مهمات وهيئات المخابرات الأميركية هي بمثابة خط الدفاع والهجوم الأول ، فلا شك أن يوم ١١ أيلول سيظل يذكر مدى التاريخ ، بفشل هذين الخطين في الدفاع، وفي الهجوم. ولذلك لم يكن غريباً أن تتجه جميع الإنتقادات الى هذه الأجهزة والدعوة الى إجراء حساب داخلي وإصلاح فيها .

وقد ظهر في وسائل الإعلام والبيانات الأميركية ما يؤكد هذا الفشل في الكثير من المواقع الإلكترونية الصحفية ومطبوعاتها الكثيرة.

ففي شبكة ( سن سبوت) تقول " لاورا سوليفان" في ٢٠٠١/١٠/١٣:
عندما وصل الشابان خالد ونواف اللذان فجرا الطائرة في مقر وزارة الدفاع الى مطار دالاس الدولي في ١١أيلول للصعود الى الرحلة ٧٧، لم يكن المسؤولون في الطيران يعرفون أن إسميهما كانا ضمن قائمة المشتبه بهم بصلات في النشاط الإرهابي. فهذه القائمة لم تكن كما تقول مصادر المخابرات الأميركية متوفرة عند "إدارة الطيران الإتحادية" (FAA.) التي يمكن أن تعمّم الأسماء التي تضمها القائمة على شركات الطيران الأميركي، وربما تحول دون نجاح خالد ونواف، في تدمير مبنى مهم في البنتاغون (وزارة الدفاع الأميركية) .

فمنذ عشرات السنين كانت قوائم الأسماء والمعلومات من المشتبه بهم في مثل هذه النشاطات تعتبر من أسرار الدولة في واشنطن ولا يدرسها ويطلع

عليها سوى وكالة المخابرات التي قامت بإعدادها. لكن الأمر أصبح مختلفاً بعد عملية ١١أيلول، وبعد تعيين وزير الأمن الداخلي، والدعوة الى تنشيط التنسيق وتبادل المعلومات وتعميمها على مختلف أجهزة المخابرات. بل إن هذا التعاون أصبح بعد ذلك التاريخ ملحاً وملزماً. وهذا ما دعا اليه مباشرة وببالغ الأهمية الرئيس جورج بوش في أعقاب التفجيرات".

لكن الأمر لم يتوقف عند هذه التفجيرات فحسب، لأن الولايات المتحدة حملت إلينا بعد ذلك أنباء متزايدة حول تسلم عدد من الأميركيين رسائل "الأنتراكس" (الجمرة الخبيثة)، ولم تستطع أجهزة المخابرات معرفة مصادرها أو المشتبهين بشن هذه الحملة. وإذا كانت بعض التقديرات تشير الى ضلوع اليمين الأميركي المتطرف في هذه العمليات، أو الى أسامة بن لادن ومجموعاته كما تشير وكالة الأنباء الأميركية، فإن هناك من يشير أيضاً الى احتمال أن تكون عملية "رسائل الأنتراكس" معدّة من قبل الأجهزة الأميركية السرّية لغاية تتجاوز ما تثيره هذه الزوبعة داخل الولايات المتحدة .

تعود "لاورا سوليفان" الى موضوع أجهزة المخابرات وتقول :" بدأ مكتب التحقيقات الفيدرالي بعد التفجيرات ينشر القوائم المفصلة عن المشتبهين بالنشاط "الإرهابي" المتعلق بالطائرات. واشتملت بعض القوائم على معلومات تفصيلية مثل العناوين وأرقام "التأمين الإجتماعي" وأرقام "بطاقات الإعتماد المالية".

لكن "ماري شيافو"، نائبة المفوض العام لإدارة المواصلات، تؤكد أن الحصول على قوائم من مكتب التحقيقات الفيدرالية كان يجري في الماضي وُيعطى لإدارة الطيران الإتحادية. فالوكالات الإتحادية تعتمد في حصولها على مثل هذه المعلومات من أجهزة المخابرات، وتتلقى قوائم ضمن أسماء يراد منعها من ركوب الطائرات . ومع ذلك، تقول السيدة شيافو، فإن "الكثير من هذه القوائم لم تصل المعلومات الواردة فيها الى حدّ منع هذه التفجيرات. وهذه المعلومات لا يفترض أن تكون سرّية، لكن ضباط المخابرات لا يدرسونها إلاّ حين يتطلب الأمر البحث عن واحد من القائمة. ولا شك أن إجراء التنسيق حول المعلومات السرّية صعب جداً وهو لم يتمّ تنفيذه أيضاً ".

وتقول "لاورا سوليفان" في مقالها هذا :" وبغض النظر عن الخصوصية والسرّية في الأمن ، إعتادت وكالات المخابرات الأميركية مثل "وكالة الأمن القومي" (NSA)، و "هيئة الجمارك الأميركية"، و "السي آي إي" و " إف بي آي" على التفكير المنفصل والتنافس فيما بينها، وعلى مواجهة شبكة صعوبات في شبكات الكومبيوتر، لأنها خلقت مخازن معلومات هائلة ومختلفة وبرامج كومبيوترية لا يتوفر فيها الإنسجام" .

ويعترف الأدميرال "توم بروكس"، المدير السابق للمخابرات البحرية، قائلاً :" هل لدينا قدرة على عقد مؤتمر أو تشاور عبر الإتصالات

الألكترونية في الكومبيوتر والدخول الى شبكة معلومات كل منا ؟ إن الإجابة لا بالطبع ".

ويذكر أن المخابرات البحرية هي واحدة من ثلاث عشرة وكالة مخابرات موجودة في الولايات المتحدة. ويؤكد بروكس :" إن ما حدث في كثير من الأحيان هو أن كل وكالة تقوم بالتحليل لوحدها حول الموضوع نفسه دون أن تعلم بأن الوكالة الأخرى تقوم بالتحليل نفسه. إن مثل هذه المسائل تتعلق بالثقة وبعوامل فنية ".

وتعود معظم هذه المشاكل الى عشرات السنين الماضية حين تشكلت هذه الوكالة ووضعت لكل منها مهام تختلف عن الأخرى. فوكالة الأمن القومي تمّ تكليفها في الخمسينات بالقيام بمهام التنصت وجمع المعلومات وإعطاء مهمة التحليل لوكالة أخرى. لكن هذه المهمة جرى تجاوزها عندما صمّم قادة هذه الوكالة على ضرورة فهم ما يلتقطونه ويجمعونه من التنصت فدخلوا في مهمة التحليل أيضاً.

أما "السي آي إي" وفروع المخابرات العسكرية الأخرى، فقد توصلوا الى نتيجة عدم الإعتماد على الآخرين في جمع المعلومات التي يعتبرونها مهمة لهم . وبعد أن أصبحت كل هذه الأجهزة لا تعتمد على بعضها البعض ، ظهرت ثقافات واتجاهات مختلفة في عملها المخابراتي .

لكن رغم ذلك ، ظهر نوع من التحسّن في العلاقات بين عدد من وكالات المخابرات الإتحادية في السنوات الماضية. ففي عام ١٩٩٥جرى

تكليف "جيفري سميث" المستشار العام للسي آي إي. سابقاً ونظيره في مكتب التحقيقات الفيدرالية (إف بي آي) وبعض الضباط الكبار في "السي آي إي" بالإطلاع المشترك على المعلومات ومصادرها في بعض المسائل المحدّدة. وكانت هذه الخطوة قفزة هائلة بالمقارنة مع أيام رئيس الـ "إف بي آي" إدغار هوفر ورئيس "السي آي إي" ريتشارد هيلمز في الستينات اللذين لم يجتمعا خلال عشر سنوات إلا مرتين فقط . ويقول الجنرال"ميشيل هايدين" من قادة "وكالة الأمن القومي" إنه اعتاد التحدث مع "جورج تينيت" رئيس الـ"سي آي إي" كل أسبوع مرة في هذه السنة (٢٠٠١). وكانت أجهزة المخابرات هذه تتقاسم وتطلع معاً على المعلومات من خلال برامج كمبيوتر خاص وسرّي أنشئ قبل سبع سنوات عبر موقع أنترنت خاص جداً يسمى (أنتيلينيك. Entelink).لكن هذا البرنامج أصبح بطيئاً وقلّ إستخدامه بعد الإشتباه بأن الجاسوس الأميركي "روبرت هانسين" الذي اعتقل في شباط ٢٠٠١، و"برايان ريغان" يحتمل أنهما إستخدماه في الحصول على معلومات سرّية وتزويد موسكو بها .

لكن هذه الشبكة أو الموقع مغلقة أمام مكتب التحقيقات الفيدرالية وأجهزة الأمن الداخلية الأميركية .

ومع ذلك ، ظهرت مشاكل جديدة بين هذه الوكالات عندما حاول المسؤولون الإتحاديون الحصول على بيان تفصيلي للأنظمة التي تعمل

بموجبها وكالات المخابرات ، ولأنظمة التعاون التي ستحكم أعمالها مع بعضها البعض .

وكان تحقيق هذا الغرض صعباً جداً على الوكالات، فبقيت أوضاعها على حالها. وهناك وكالات يمنع عنها قانونياً الكشف عن معلومات قد تطلبها المحاكم ويطلع عليها المحلفون في المحكمة ، أو إعطاء معلومات يمكن أن تخرق قانون المحافظة على خصوصية المواطن الأميركي التي يكفلها الدستور. فمنظمات الدفاع عن الحريات في الولايات المتحدة تراقب عن كثب أي تغيير يطرأ، ويتيح كشف معلومات من هذا القبيل، أو يتيح وجود أنظمة توفر للوكالات التنصت على المواطنين الأفراد أو تعقبهم دون إشعارات مسبقة قانونية قضائية. وحين بدأ "ريدج" عمله كرئيس لمكتب (إف بي آي) إعترف قائلاً :" أن الميدان الوحيد الذي ستقلقنا عملية حمايته هو الميدان الذي نعمل فيه"؛ أي العمل ضمن قاعدة عدم المساس بحرية الفرد المواطن الأميركي. ومع ذلك، سيظل إنفصال وكالة عن أخرى وعدم التعاون معها أو التنسيق يثير المخاوف. فالكل يعرف أن مكتب التحقيقات الفيدرالي (إف بي آي) إتهم الـ"سي آي إي" بالتقصير الشديد مع قضية "ألدريك إيمس" وبقائه تسع سنوات دون اعتقاله لأنها لم تبلغ مكتب "إف بي آي" بوضعه تحت المراقبة بعد الإشتباه بنشاط تجسسي يقوم به لصالح موسكو. ويؤكد " ستيفين أفترغود" المحلّل في شؤون المخابرات في "إتحاد العلماء الأميركيين" أن "الموجود لدى هذه الوكالات

هو المنافسة والخصومة الحادة وهي أهم المسائل البارزة التي تتصف بها علاقاقما، وسوف تبقى أصعب المسائل التي لا يمكن حلّها".

هذا، ونظراً لأن الصين الشعبية تمثل الهدف الرئيسي والسمين للولايات المتحدة في آسياالتي وضعتها إدارة الرئيس جورج بوش في مقدمة جدول عملها، فإنه من الطبيعي أن يصبح ما تقوله "السي آي إي" عما تقوم به الصين مبرراً ويحمل وزناً مهماً وخطيراً في نظر واشنطن. وبناء عليه تقول وكالة المخابرات المركزية (السي آي إي) بموجب ما نشرته صحيفة "لوس أنجلوس تايمز" الأميركية في ٢٠٠٢/٤/٢٤، أن المسؤولين في المخابرات الأميركية يعتقدون أن الجيش الصيني يعمل على شنّ هجمات باستخدام أنظمة "كومبيوترية ألكترونية" واسعة ومكثفة ضد شبكات الكومبيوتر الأميركية والتايوانية، وخصوصاً ضد أنظمة الإتصالات العسكرية الكومبيوترية التي تعمل عبر الأنترنت لتخريبها. ويؤكد هؤلاء المسؤولون أن معلومات سرّية جداً وصلت الى "السي آي إي" بهذا الشأن.

وبالإضافة الى هذا ، تعدّ السلطات الأميركية نفسها للتصدّي لاحتمالات قيام الطلبة الصينيين باختراق مواقع الأنترنت الخاصة بالولايات المتحدة في الأسابيع المقبلة. وكان التحذير من هذه المحاولات قد وصل الى المسؤولين من "السي آي إي".

وعلى الرغم من القلق الذي أبداه المسؤولون الأميركيون من محاولات فردية يقوم فيها الطلاب الصينيون بتشويش ومحومواقع الشبكات الخاصة

الإتحادية، إلاّ أن واشنطن لم تربط هذه المحاولات بعمل متعمد من الحكومة أو بشنّ حرب إحتمالات كومبيوترية صينية على شبكات الولايات المتحدة وأنظمة إتصالات الكومبيوتر فيها. لكن التقرير الجديد الذي أعدّته "السي آي إي" يوضح أن المحلّلين في المخابرات بدأت تتزايد مخاوفهم من أن سلطات بكين تخطط فعلاً لتشويش أنظمة الكومبيوتر الأميركية وإلحاق الضرر بها عن طريق تعقّب وملاحقة المواقع الأميركية وإدخال الفيروسات الى أنظمة عملها. ورغم أن تقييمات المحلّلين في المخابرات تشير الى عدم إمتلاك الصين القدرة الفنية الحديثة والمتطورة للتسبّب بالأضرار لواشنطن وتايوان، إلاّ أن الصين بنظرهم تعدّ نفسها لتحقيق هذا الهدف. ويقول تقرير "السي آي إي" أن الجيش الصيني "وضع لقواته الخاصة مهمة تتضمن تخريب أنظمة الإتصالات الكومبيوترية القابلة للتخريب".

ومع ذلك، أعربت سفارة الصين الشعبية في واشنطن عن إصرارها (في ٢٤/٤/٢٠٠٢) بأن حكومتها لا تقوم إلاّ بإجراء أبحاث كومبيوترية ذات طبيعة دفاعية محضة. وأكد "لاري وو" أحد الدبلوماسيين الصينيين في سفارة بكين في واشنطن، أن "سياسة الحكومة الصينية لا تهدف الى تشويش أو قطع أنظمة إتصالات الكومبيوتر الخاصة بأي دولة أخرى. لكننا نقوم بإجراء أبحاث على أمن أنظمة الكومبيوتر الخاصة بنا بالطبع من أجل الدفاع عن النفس ومعرفة كيف يمكن لهواة تعقّب المواقع والدخول عليها خرق أنظمة الكومبيوتر الصينية، لكي نتمكن من حماية أنفسنا منها. وليس

للصين أي توجّه أو موقف هجومي ضد تقنيات الكومبيوتر وأنظمة إتصالاته التابعة للدول الأخرى".

لكن عددا من المختصين في شؤون الأمن والجيش يعتقدون أن ما توصلت اليه "السي آي إي" من إستنتاجات يتفق تماماً مع ملاحظاهم بأن الصين تعدّ أبحاثاً خاصة بأنظمة إتصالات الكومبيوتر من أجل شنّ هجوم كهذا. وفي هذا الصدد يقول" جيمس مالفينسون" وهو من كبار المحلّلين الأميركيين في مختبر "راند" للمعلوماتية ومن الذين تخصّصوا في دراسة قدرات الصين في مجال "الإتصالات الكومبيوترية" : "ينبغي حقاً أن نشعر بالقلق تجاه هذه المسألة. فتايوان التي تعتبرها الصين الشعبية إقليماً مرتداً أو عميلاً يبدو أنها أصبحت قوة جذابة لاهتمام بكين في مجال تعقّب المواقع واختراقها وإدخال الفيروسات إليها".

ومن السيناريوهات التي يفترض إحتمال حدوثها يرى مالفينسون أنه " إذا قررت الصين الشعبية تنفيذ تهديدها المزمن بغزو تايوان، فمن الممكن في هذه الحال أن يحاول الجيش الصيني نشر حرب تشويش واسعة ومكثفة بواسطة أنظمة إتصالات الكومبيوتر ضد أنظمة إتصالات الكومبيوتر الأميركية والتايوانية العسكرية لإبطاء أي جهد تبذله القوات الأميركية في عملية تدخلها لحماية تايوان".

ويبدو أن حرب تشويش الرادارات التي كانت الجيوش تقوم بها قديماً قبيل شنّ أي هجوم عسكري ، أصبحت الآن حروب تشويش أنظمة إتصالات الكومبيوتر هي التي تحل محلها في عصر الأنترنت وشبكات الكومبيوتر .

ويذكر أن العلاقات بين واشنطن وبكين تعرضت الى نقطة توتر بعد اصطدام طائرة تجسس أميركية مع طائرة مقاتلة صينية ، والى أزمة دولية حول إعادة الطائرة الأميركية وملاحيها الأربعة والعشرين . فقد اعتقلتهم بكين لمدة (١١) يوماً، ولم تسلّم الطائرة التي فككتها إلاّ بعد أشهر قليلة من عودة الملاحين .

وتقول صحيفة "لوس أنجلس تايمز" أن الأشهر الأخيرة شهدت نوعاً من الحرارة في العلاقات بين إدارة بوش وبكين ، بعد أن أبدى الصينيون تعاونهم في الحرب ضد "الإرهاب". لكن هذا لم يمنع بكين من الشعور بالغضب بسبب ما اعتبرته عروضاً سخية قدمتها واشنطن لتايوان . وقد ورد في تقرير لـــ" السي آي إي" مناقشة ترى أن تايوان والولايات المتحدة ما زالتا هدفين أساسيين للجيش الصيني بموجب تحليلات جميع المحلّلين المسؤولين في المخابرات.

ويقول التقرير :" إن القوات المسلحة الصينية لم تستطع بعد إمتلاك القدرة على إمتلاك مخططها في تخريب وتشويش أنظمة اتصالاتنا واتصالات تايوان الكومبيوترية بواسطة الفيروسات حتى الآن. لكن هذه المقدرات الصينية أصبحت مماثلة لتلك التي يستخدمها هواة تعقّب المواقع والإتصالات

واختراقها . ولذلك تستطيع بكين خلق تشويش محدود وموقت على القطاعات التي تستخدم أنظمة الإتصالات الدولية الأنترنت وشبكاتها .

وبالإضافة الى هذا ، حذّر مسؤول حكومي أميركي رفض الكشف عن هويته من عدم المبالغة الشديدة في هذه المسألة ، لأن الخطر الفوري الذي تشكله بكين على أنظمة إتصالات الكومبيوتر ما زال حتى الآن محدوداً . لكنه أكد مع ذلك قائلاً :" لكننا رغم ذلك نبدي حقاً إهتماماً تجاه هذا الخطر، والقصة كلها تتلخص في أن الصين لم تتوصل بعد الى المقدرة الكافية في هذه الحرب الحديثة".

وإذا كان الإستخدام الواسع لأنظمة إتصالات الكومبيوتر وشبكاتها المحلية والدولية يمكن أن يعرض للخطر أي دولة ، فإن القرن الحالي يمكن حقاً أن يشهد معارك كومبيوترية ألكترونية أو معارك "السايبيرنيتكس" ( كما يسمّونها)، قبل شنّ الحروب العسكرية البرية والبحرية والجوية على الأرض . وهذا ما سيدعو في النهاية الى إنشاء فروع مخابرات أو تجسس خاصة بـــ" السايبيرنيتكس" من العلماء المتخصصين في علوم إتصالات الكومبيوتر وأنظمتها وطرق عمل شبكاتها .

وبالفعل ، يعتبر التسلّل الألكتروني المتطور حرباً لا يقلّ خطرها عن الحروب العسكرية والإقتصادية والبشرية بل ويفوقها خطورة أحياناً. وقد يصحّ أن يطلق على هذا التسلّل صفة "القرصنة" بكل ما تحمله من معنى.

هذا ، وفي كتابه عن "حروب المستقبل" يشير الباحث نديم عبده الى هذا الموضوع، خصوصاً بين الولايات المتحدة الأميركية والصين الشعبية، فيقول :" لقد الهمت واشنطن الصين بقرصنة البرامج الكومبيوترية وبعدم إتخاذ الحكومة أي إجراء لمحاربة هذه الآفة، وترفض الحكومة الصينية هذه التهمة وتتهم واشنطن بإثارة هذه القضية وبتضخيمها لكي يكون لها حجّة للتدخل في شؤونها الداخلية ..." ويضيف نديم عبده قائلاً :" إن واشنطن تثير دائماً قضية الملكية الأدبية في مفاوضاقما التجارية في البلدان النامية أو الإشتراكية، والسبب في ذلك واضح ، وهو أن الولايات المتحدة هي المنتجة الأولى للبرامج الإلكترونية (الكومبيوترية) في العالم، وتتخوف من فقدان هذا المركز إذا ما نجحت دولة أخرى في تطوير برامج ناجحة ورائجة من الناحية التجارية عن طريق نسخ البرامج الأميركية أو عن طريق تقليدها. وقبل بضع سنوات، نشب خلاف بين الولايات المتحدة والبرازيل حول هذا الموضوع، حيث طالبت البرازيل واشنطن بفتح أسواقها أمام برامجها. فرفضت أميركا ذلك بحجة أن البرامج البرازيلية لم تكن سوى نسخة مقلّدة من البرامج الأميركية".

والجدير بالذكر، أن النزاع بين الولايات المتحدة والصين الشعبية حول هذه المسألة، يعتبر حلقة في سلسلة مترابطة الحلقات ومتداخلة مع بعضها البعض بشكل لا يجوز القطع والتفكك فيها. كما أنها أكبر بكثير من مجرد نزاع تجاري أو قانوني بين الدولتين. ذلك لأن الولايات المتحدة تدرك تماماً

مدى خطورة الصين على مختلف الأصعدة، في الوقت الذي كان فيه الإتحاد السوفياتي قوياً وموحداً ومتماسكاً، فكيف الحال بعد انهياره إذن ؟.
فالصين الشعبية _ في نظر الأميركيين _ تعتبر الدولة الوحيدة _ كما يشير الى ذلك عبده أيضاً _ التي يمكن أن تنافس الولايات المتحدة من الناحية الأيديولوجية كمركز إستقطاب للدول النامية بعد زوال الإتحاد السوفياتي سنة ١٩٩١، خصوصاً وأن الصين لم تتنكر قط للنظرية الإشتراكية على الرغم من اتباعها الخط الرأسمالي في أكثر من مجال إقتصادي وتجاري.
والمعروف أن تأخر الإتحاد السوفياتي السابق في اللحاق بالدول الغربية في المجال الكومبيوتري كان من أبرز الأسباب التي أدت الى التخلف السوفياتي من الناحية التكنولوجية، وكان ذلك التأخر من دواعي ضعف الإتحاد السوفياتي وفقدان هيبته الدولية، وفي النهاية إنهياره ... ولم يقع الحكام الصينيون في الخطأ الجسيم الذي وقع به السوفيات على هذا الصعيد " بل انهم يشجعون قيام صناعة قوية في الكومبيوتر بالصين، ويقدمون الحوافز من أجل إستقطاب الإستمارات في هذا المجال بالصين. ومن المحتمل أن هذا الواقع _ كما يقول عبده _ لا يروق كثيراً للخبراء الإستراتيجيين الأميركيين الذين يفضلون أن تلقى الصين المصير نفسه الذي لاقاه الإتحاد السوفياتي ...باعتبار أن بعض المحلّلين والخبراء الأميركيين في الشؤون الصينية، يتوقعون تفكك الصين الى سبع كيانات بعد وفاة الحكام الحاليين

(والعديد من هؤلاء طاعن في السن ) ويؤكدون أن هذا المصير الأسود هو لصالح الولايات المتحدة والدول الغربية ...

ومن الطبيعي إذ ذاك أن يسعى الأميركيون الى محاولة الحدّ ما أمكن من إكتساب الصين للتكنولوجيا الكومبيوترية .والسؤال هو : هل تنجح أميركا في مخططاتها هذه إزاء الصين ؟ والجواب أنه سوف يكون من بالغ الصعوبة على الولايات المتحدة أن تتمكن من منع الصين من تطوير صناعة كومبيوترية، فواشنطن ربما تتمكن من قطع علاقتها التجارية مع بكين، إلاّ أنها لا تستطيع قطع علاقة الصين باليابان أو بدول أوروبا الغربية، ولن يصعب على الصين إستيراد أجهزة كومبيوترية من تلك البلدان خصوصاً وأن الصين قد أقامت منذ الآن أسساً متينة للصناعة الكومبيوترية الخاصة بها ...

وإذ كان من الصعب على الصين حالياً أن تدخل في منافسة ضارية مع الولايات المتحدة في المجال الكومبيوتري الألكتروني المتطور تجارياً، إلاّ أن الصينيين يتعلمون بسرعة _ كما يقول نديم عبده _ وقد ينقلب ميزان القوى وجميع المعطيات رأساً على عقب في السنوات المقبلة ... وربما يكون قلق الأميركيين في محله بالنسبة الى المستقبل.

والحقيقة أن هذه الحرب غير العسكرية (والتي تُوظَّف _ ربما _ المعلومات المُقَرصَنَة من خلالها لأغراض عسكرية) لم تقتصر على الصين وحدها، ولا

على الولايات المتحدة الأميركية وحدها أيضاً، بل قد عرفت في الإتحاد السوفياتي سابقاً وفي روسيا حالياً، وفي فرنسا، وفي بريطانيا وألمانيا، ألخ ...

ففي فرنسا مثلاً، ومن خلال التحقيقات التي أجراها مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI) ووكالة الإستخبارات المركزية (CIA) إنه ألقي القبض على أعضاء في جهاز الإستخبارات الفرنسية، بعد أن ضبطوا متلبّسين بجريمة التجسس على أكبر شركات الكومبيوتر الأميركية، خصوصاً شركتي"آي بي أم"(IBM)وتكساس أنسترومنتس(texas Instruments)، وذكر أن الجواسيس الفرنسيين كانوا قد تمكنوا من الدخول الى قواعد البيانات الخاصة بيالمعلومات الداخلية للشركتين، وذلك بغية الكشف عن خططتهما وأسرارهما الصناعية ...

وتعكس هذه القضية ، التي هي ليست فريدة من نوعها بكل تأكيد، الدور المتعاظم الذي بات يلعبه الكومبيوتر في قطاع الجاسوسية الحديث، والأهمية التي تعلقها دوائر المخابرات لاكتشاف الأسرار الصناعية الكومبيوترية _ على حدّ قول نديم عبده في كتابه "أمن الكومبيوتر"_.

وبالفعل لقد باتت ممارسة أعمال القرصنة المعلوماتية من أهم مهام دوائر المخابرات في العالم ، وذلك من أجل الحصول على المعلومات الحيوية حول البلدان المستهدفة، وهي غالباً مخزنة في قواعد بيانات،وكذلك للحصول على الأسرار الصناعية في المجالات الرئيسية، وخصوصاً في صناعة الكومبيوتر نفسها. وقد تجلّت أهمية المعلوماتية في النشاطات المخابراتية في

أن وكالات الأمن والمخابرات باتت تحرص على أن يكون لديها فرق خاصة بالقرصنة المعلوماتية، وأن التطبيقات المعلوماتية باتت إحدى أهم المواضيع في برنامج التدريب الذي يخضع له التلاميذ الجواسيس ...

ومن خلال نموذج الجواسيس الفرنسيين _ الذي أشرنا اليه أعلاه _ يتبين أن التجسس الصناعي في المجال الكومبيوتري لم يعد شأن الشركات الخاصة وحدها _ ولا شأن اللصوص الأفراد من قراصنة _ وإنما بات يندرج ضمن سلم أولويات دوائر المخابرات .

في هذا الإطار، يشير الباحث نديم عبده ( في كتابه أمن الكومبيوتر)، إنه عند نزوح الألوف من مواطني ألمانيا الشرقية (سابقاً) الى ألمانيا الغربية (سابقاً أيضا ) في صيف ١٩٨٩فإن أوساط حلف شمال الأطلسي "الناتو" ( Nato) تخوّفت من تسرّب عدد كبير من الجواسيس بهذه الطريقة، وأن يتوظفوا في دوائر وزارة الدفاع الألمانية الغربية، حيث يستطيعون بسهولة زرع الفيروسات في البرامج المعلوماتية الخاصة بالحلف، وممارسة أعمال القرصنة للحصول على الأسرار العسكرية ، حيث من المعروف أن ألمانيا كانت تعتبر بمثابة خط الدفاع الأول للحلف في حال حصول هجوم شيوعي على الدول الغربية، وتتركز فيها معظم أنظمة المراقبة والتنصت وقواعد الصواريخ الإستراتيجية. وتقول بعض الأنباء أن دوائر حلف "الناتو" طلبت من حكومة بون التيقّظ وأخذ أقصى درجات الحيطة والحذر وإجراء مراقبة شديدة وتدقيق في حالات جميع المرشحين لشغل وظائف في

الدوائر الأمنية ، فكان الجواب الألماني أن الحكومة متنبهة تماماً الى هذه الناحية، وأن خطر الهجوم الشيوعي قد تلاشى كثيراً على كل حال في ظل سياسة البيروسترويكا وأن الموضوع هو شأن ألماني بالدرجة الأولى، مع الإشارة الى أن المانيا الشرقية (سابقاً) كانت تعتبر إحدى أكثر الدول الإشتراكية (سابقاً أيضاً) تقدماً في مجال المعلوماتية ...

ومن هنا نفهم كيف يسعى الخبراء العسكريون في الوقت الحاضر ليس الى تطوير البرامج الأمنية لحماية أنظمته من الإصابة فحسب، وإنما أيضاً الى مجابهة الجهات المعادية أيضاً عن طريق تطوير فيروسات متطورة يمكنها أن تلحق أكبر قدر من الأضرار في البرنامج والمعدات المعلوماتية.

اما بالنسبة لروسيا، فلقد أكد "أوليغ غورديفسكي"، وهو عميل سابق في وكالة المخابرات السوفياتية ( كي جي بي) (KGB) لجأ الى الغرب، بأن ٤٠% من ضباط هذا الجهاز على الأقل متورطون في "جرائم معلوماتية" من قبيل القرصنة أو زرع الفيروسات الكومبيوترية. وأكد أن الوكالة تمكنت في وقت ما من التعرف الى شيفرة الإتصالات السرّية الخاصة بـ ٦٨بلداً ومنها بلدان مثل الولايات المتحدة وفرنسا وغيرها من الدول الأعضاء في حلف شمالي الأطلسي "الناتو" (Nato) وأكد غورديفسكي بأن جهاز المخابرات في النظام الروسي الذي خلف الإتحاد السوفياتي السابق مستمر في هذه الممارسات، ويعمل على تطويرها. وهناك عدة تقارير أخرى تؤكد هذه المعلومات ، إلاّ انه لا بدّ من الإشارة الى أن الحالة

الفوضوية التي تتخبط فيها روسيا في نهاية التسعينات تعني أن الدولة الروسية لا تسيطر على الوضع، وإن عصابات القرصنة المعلوماتية الروسية قد تتصرف على نحو جماعات مستقلة فيما بينها وتعمل لحسابها الخاص وليس لحساب الدولة الروسية الغائبة من الناحية العملية. كما حصلت عدة حالات للقرصنة تعرضت لها دوائر الجيش الفرنسي، مع إتهام الفرنسيين للأميركيين بالقيام بهذه الأعمال علماً أن الأميركيين أيضاً يوجهون إتهامات مماثلة الى الفرنسيين.

أما في بريطانيا، فإن وكالة يونيراس (UNIRAS ) هي التي تتولى الإفادة عن حوادث القرصنة التي تستهدف أنظمة الكومبيوتر الحكومية، ومعالجة هذه الحوادث، ولقد شكلت هذه الوكالة سنة ١٩٩٢، وصلاحيتها غير محصورة بالأمن المعلوماتي وحده. والأمر اللافت هو إن هذه الوكالة لم تقر بوجود أي حالة ناجحة للقرصنة إستهدفت الأنظمة الحكومية البريطانية، وذلك في الوقت الذي تعترف فيه الولايات المتحدة بحصول ألوف الحوادث الناجحة التي استهدفت وزارة الدفاع الأميركية وأنظمتها . ويعتقد الخبراء بأن هذه النتيجة "الخارقة" يجب أن تقلق البريطانيين بدلاً من أن تطمئنهم ، حيث أن عدم إكتشاف حوادث القرصنة وزرع الفيروسات ربمايدل فقط على أن هذه الحوادث كانت متقنة الى درجة أنه لم يتم كشفها، أو أن علماء "يونيراس" كانوا مهملين لواجباتهم لم ينتبهوا لها ...

هذا ، والمعروف أن دوائر الأمن، وكذلك الشركات الخاصة، باتت تستعين حالياً بخدمات قراصنة معلوماتيين لإختبار مستوى سلامة الأنظمة الأمنية الكومبيوترية، مع الإشارة الى أنه تمّ إلقاء القبض على العديد من هؤلاء القراصنة في البلدان الغربية، وتمّ الحكم عليهم بعقوبات سجن تمتد لسنوات طويلة... وقد تعود قساوةهذه الأحكام الى "ترهيب" القراصنة من الأفراد لكي لا يعتدوا على الأنظمة الحساسة من جهة ، و"لترغيبهم" للعمل لحساب الدوائر الحكومية وليس ضدها من جهة ثانية. وينتظر أن تتحسن الأنظمة الأمنية الكومبيوترية في السنوات القلية المقبلة، وأن يتقلص دور القراصنة الأفراد نتيجة لذلك ؛ إلاّ أن القرصنة الكومبيوترية سوف تستمر وسيلة رئيسية في العمليات العسكرية المستقبلية .

ومهما يكن من أمر، فإن "القرصنة الالكترونية" أو "الكومبيوترية" التي يطلق عليها إسم"التسلّل"، (وهو تعبيرمهذّب بالطبع)، هي خطيرة جداً ومربكة في أحيان كثيرة، وقد تستنفذ من الجهد والوقت والمال الشيء الكثير، دون أن تصل أحياناً الى الهدف القاضي بالقضاء على "المتسلّل" أو "القرصان"، وبعد أن تكون الوثائق والمعلومات قد وجدت طريقها الى الأعداء... وهنا تكمن المخاطر المحدقة بأي عملية تسلّل أو قرصنة مهما كان نوعها، ومهما كانت منطقة عملها، باعتبار أن ما يترتب عليها من نتائج ، لا تنحصر خطورتها في دولة معينة بمفردها بل ستطال دولاً غيرها، كما شعوباً أخرى أيضاً.

وللدلالة على خطورة التسلّل الألكتروني في ظل التقنية المتطورة والتقدم التكنولوجي الهائل الذي عرفته البشرية في نهاية القرن العشرين، أورد الباحث الإستراتيجي في هذا الفن التجسسي "جون وود"، في كتابه "جواسيس للبيع" نموذجاً فريداً من نوعه في هذا المضمار، سلّط فيه الضوء على قضايا دقيقة وحسّاسة ومثيرة للذهول والقلق في الوقت ذاته، كان محورها أحد المختبرات الأميركية لأنظمة الدفاع الألكتروني (الكومبيوتر)، والتي تثبت بوضوح مدى أهمية الإختراق الإلكتروني وعمليات التسلّل المنظمة الى البرامج البالغة السرّية للأفراد أو الشركات أو الدول على اختلافها. ويتمثل هذا النموذج _ كما ذكره جون وود _ كما يلي:

ذات يوم خميس من شهر أغسطس (آب) **١٩٨٦** بدأ "كليفورد ستول" عمله كمدير أنظمة في الدماغ الإلكتروني (الكومبيوتر) في مختبر لورنس بيركلي على الخليج قبالة مدينة سان فرنسيسكو في كاليفورنيا. ويوم الجمعة وضع زميله "ديف كليفلاند" على طاولته مسألة مستعصية هي فرق في الحسابات مقداره ٧٥سنتاً. ومن علياء أقدميته في العمل خاطبه قائلاً : "حلّها أيها العبقري، وأدهش الجميع".

كان في مختبر بيركلي إثنا عشر دماغاً إلكترونياً رئيسياً يشرف عليها ستول مع مديرين سواه، وهي في تصرف أكثر من ألف عامل وباحث. وتعمل تلك الأدمغة ليل نهار لحل مسائل في الفيزياء ولتبادل المعلومات. ولكل شخص حساب خاص، وتتولى الأدمغة ذاتها تسجيل الوقت وتحسبه

حتى أجزاء من الثانية، ثم ترسل الفواتير الى الدوائر المعنية. إذ لا مجال لأي خطأ. لكن السجلات تظهر فرقاً في الحساب مقداره ٧٥سنتاً.

ومع حلول المساء إنتهى ستول من تدوين برامج إختبار للتحقيق من عدم وجود أخطاء في سجلات المختبر المحفوظة في الدماغ الإلكتروني. وبعد ذلك يقارن الفواتير بقائمة الأشخاص المرخص لهم إستخدام الآلات ، وما لبث أن عثر على ضالته إذ وجد حساباً فُتح حديثاً لشخص إسمه هنتر. ولم يكن الحساب يحمل عنواناً لتلقي الفواتير وتحصيلها. وكان هنتر هذا إستخدم الدماغ الإلكتروني وقتاً قيمته ٧٥ سنتاً. صحيح أنه مبلغ لا يستأهل التدوين، لكن الحساب لم يسدّد.

ثم برزت مشكلة غير متوقعة. فعندما قدّم ستول تقريره في الصباح التالي مسجلاً نصره الصغير، أفاده مديرا الأنظمة الآخران أن لا حساب لأي شخص إسمه هنتر .

وحمل يوم الإثنين لغزاً آخر، إذ أرسل الدماغ الإلكتروني "دوكماستر" في ولاية ميريلاند شكوى مفادها أن شخصاً من مختبر لورنس بيركلي حاول في نهاية الأسبوع أن يغزو مخزن المعلومات في "دوكماستر" هو ملك "مركز الكومبيوتر للأمن الوطني" التابع لحكومة الولايات المتحدة والواقع خارج مدينة بالتيمور.

رجع ستول الى الملفات التي أظهرت أن شخصاً واحداً فقط من الذين يستخدمون الدماغ الإلكتروني، وحسابه بإسم "سفنتك"، قد سجّل في

الساعة ٨،٣. من صباح يوم السبت،وهو التوقيت نفسه الذي سجلّ فيه "دوكماستر" محاولة الإقتحام. لكن جو سفنتك، الذي يذكره الجميع مبرمجاً ماهراً، غادر البلاد الى بريطانيا قبل زمن طويل، وحسابه في سبات منذ سنة.

إقترح ستول تفسيراً :" لعله وصل الى هنا من طريق شبكة أخرى ثم اتصل بدوكماستر من هنا ".

هزّ ديف كليفلاند رأسه وقال :" جو سفنتك لا يقتحم أدمغة سواه، ولكن إن هو نوى ذلك فلن يسع أحد أن يقتفي أثره ".

من إذاً ؟ ولماذا ؟ سؤالان مقلقان حملهما ستول الى البيت وعرضهما على مارثا ماثيوز وهي طالبة حقوق في جامعة كاليفورنيا في بيركلي. وهي أضافت إليهما سؤالين آخرين : هل يحاول أحدهما التسلّل الى الأدمغة هرباً من الدفع ؟ او لعله طالب مغرور في جامعة كاليفورنيا يلهو بالأدمغة ؟

ثم سألته :" لماذا لا تشطب إسمي هنتر وسفنتك من قائمة أسماء الأشخاص المرخصّ لهم إستخدام الأدمغة الإلكترونية ؟ وإذا جاءا يشتكيان فيمكنك عندئذ أن تطرح عليهما بضعة أسئلة ".

فرد كليف :" سأفعل ذلك". لكنه علم في تلك اللحظة أن الأمر لن يكون بتلك السهولة .

كان كليفورد ستول شاباً وجودياً متمرداً، لا يزال متمسكاً ببزة بيركلي المميزة من سروال الجينز والحذاء القماشي الخفيف والقميص القطني. وفي

ما عدا براعته الفائقة بالأدمغة الإلكترونية، لم يكن في حياته شيء يؤهله للمحنة التي كانت في انتظاره أو يفسِّر تلك الشراسة التي أبداها في الإندفاع لمطاردة ذلك الدخيل المتطفل المجهول عبر جميع الشبكات الالكترونية المتقاطعة في العالم.

شعر ستول بقلق إزاء ما هو حاصل داخل الدماغ الالكتروني. لماذا هو قلق ؟ إنه لا يعتبر نفسه بطلاً في نصرة القانون والنظام . وفي أي حال ، لماذا يُعتبر العبث بمخازن المعلومات أمراً مستنكراً الى ذلك الحدّ؟ ألا يعقل أن يعبث هو نفسه بالمعلومات في زمن آخر ؟ هل الأمر أخطر من مجرّد مزحة ؟ أوَليس محتملاً أن أحد مهووسي الدماغ الالكتروني يمدّ لسانه إزدراء وسخرية ؟

إلاّ أن ستول كان في قرارته يعرف الجواب . فاقتحام دماغ إلكتروني يخص الآخرين خطأ غير مقبول .

حسناً ، لماذا إذاً لا يجبه الشخص المعني مباشرة، فيوجه الى ذلك "الشبح" رسالة على الشاشة تطالعه ما إن يتسلل الى الجهاز في المرة المقبلة، من نوع:"هاي، أنت! أخرج من جهازي وإلاّ إستدعيت الشرطة!" تلك هي الطريقة الوحيدة للإتصال به. لكن في وسعه أن يختفي قبل أن يتسنى لمهدّده رفع سماعة الهاتف، ليعود من جهة مختلفة ويظهر متنكراً بزي آخر وفي أي وقت يشاء.

إن شبكات الأدمغة الالكترونية إبداع أفرزه العصر الالكتروني ، لكنها ترتكز على الثقة العتيقة التي يستحيل العمل من دونها. ووغد فالت في هذه الأدمغة هو أسوأ من لصّ ينهب أدراجك، إذ أن في وسعه، ليس فقط أن يسرق أسرارك وينقل أفكارك، بل أن يتسلل اليك بصمت ليدمر _ أو يبدل _ المعلومات التي ربما أمضيت سنوات في جمعها. كما يمكنه أن يختفي من دون أن يترك أي أثر خارجي يشهد على الأذى الذي ألحقه.

ذلك ما عذّب كليف ستول أكثر من سواه. ففي هذه المرحلة لم يكن يعرف شيئاً عن خصمه، لا مَنْ يكون ولا أين هو ولا ماذا يدبر. لكن ستول شعر تجاهه بالإحتقار قبل أن يراه لاعتدائه على الثقة المتبادلة التي ترتكز عليها شبكات الأدمغة الالكترونية. وعندما أعلم كليف السلطات قيل له أن يحرم ذلك المتطفل التسلل ثانية، وهذا يمكن تحقيقه بإجراء تغييرات تتناول الأسماء وكلمات السرّ . لكن كليف لم يعتبر إرهاباً الكترونياً. نعم، يمكننا أن نحرم ذلك الشخص متابعة التسلل، ولكن لن يسعنا عندئذ أن نعرف من هو، وسوف يظل حراً طليقاً قادراً على إقتحام إي دماغ آخر يجهل أصحابه كيف يمنعونه من الدخول. وشبّه ستول هذا الأسلوب بموقف المواطن الذي يدير ظهره لعملية سطو زعماً أن الأمر لا يعنيه.

لكن كليف ستول قرّر أن الأمر يعنيه. وطلب من رؤسائه في العمل فرصة لضبط الوغد متلبّساً بالجرم، والتشهير به. وهم منحوه ثلاثة أسابيع.

"التسلل" هو التعبير المعتمد في عصرنا الإلكتروني للإشارة الى عمليات إقتحام الأدمغة الالكترونية. ويحتل التسلل حيّزاً متنامياً من أخبار الصحف. فمن تخريب متعمّد لسجلات الجامعات بفعل فتيان أذكياء وأشقياء، الى مزحات تطاول أنظمة يُفترض أنها محروسة جداً. هذه أمور لا تثير ضحك الذين يدركون الى أي مدى أصبح الدماغ الألكتروني يدير حياة البشر في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين، بل يدركون أيضاً أن كارثة تنتظر على الأبواب:

●موظف سابق في شركة للتأمين، وقد ساءه تسريحه، يقدم على محو معلومات في ملفات جداول الأجور.

●تلميذ يرسل "فيروساً"، أي أمراً سرّياً هدّاماً، عبر شبكة ذات نطاق وطني. ويتناسخ "الفيروس" بسرعة معطلاً الشبكة برمّتها، بما فيها ألوف الأجهزة العائدة إلى مصالح جامعية وتجارية وحكومية.

●أما كلمات السرّ فيسهل إكتشافها، إذ "يحرزها" المتسلّلون أو يتبادلونها علناً عبر الشاشات الالكترونية، أو ينسخونها عن ملفات الأجهزة المختَرقة. أو يسرقونها من مركز العمل حيث تعلّق غالباً على الجدار بالقرب من الجهاز. والى ذلك، فإن كل كلمة سرّ جديدة تعد المتسلل بتوسيع متناوله، إذ أن أعداداً كبيرة من الأدمغة الالكترونية متصلة بشبكات مبرمجة على نحو يجعل كل جهاز يثق بالآخر. فالشخص الذي هو موضع ثقة أحد الأدمغة، هو تلقائياً موضع ثقة أدمغة أخرى.

•هل هذا ما يحدث في الدماغ الالكتروني الذي يديره ستول ؟ لم يكن الرجل يملك الجواب عن هذا السؤال .

قصد ستول رئيس القسم "ليروي كيرث". فهزأ به هذا وقال :" إنك لست متأكداً من أن غريباً تسلل الى هنا فعلاً. تابع بحثك وعُد إليّ بدليل ".
دخل سفنتك الخط مرة أخرى، وما لبث أن إختفى بعد دقيقة واحدة، لكنه خلف آثاراً. فالطرف الذي إتصل منه أثبت أنه يستخدم "مودم" وهي آلة ترسل بيانات الدماغ الالكتروني عبر خط هاتفي بتحويل الموجات الالكترونية أصواتاً. ربما يكن ذلك الشخص جو سفنتك ذاته، لكن أحدهم من الخارج يستخدم حسابه مدخلاً الى المختبر ليقيم نقطة إنطلاق مشروعة يتوغل منها في الشبكات.

توقف ستول عن التظاهر بالعمل في وظيفته الحقيقية وسلّط كل إنتباهه على الدخيل. وهو صرف النهار كلّه يجهز سلسلة من ٥٠مرقاباً وآلة طابعة جمع معظمها من المكاتب التي تفرغ عندما يُخلى المختبر، وتبرع ببعضها موظفون أذهلهم عمله. ووزع ستول الآلات والمراقب، واحدة على كل خط من خطوط الإستقبال الهاتفية.

وهو قال :" سيكون الثمن باهظاً يوم الإثنين ، لكن الإعتذار أسهل من الحصول على إذن . ولدي عطلة نهاية الأسبوع بكاملها".

وفي الصباح التالي تبيّن أن إحدى الآلتين سحبت حوالي ٢٥ متراً من الورق وطبعت عليه، بأمانة وإخلاص، جميع الأوامر الصادرة عن لوحة

المفاتيح الرئيسية التي يستخدمها المتسلل، كذلك الإستجابات الصادرة عن الدماغ الالكتروني الذي يشرف عليه ستول. واتضح أن أحدهم إستغل وجود هدنة صغيرة في البرنامج وتمكن من سرقة إمتيازات إستثنائية، وأمضى ثلاث ساعات يغوص في نظام مختبر لورنس بيركلي. وانقشع السرّ أخيراً عن أورمل وهاغبارد.

إسمه الحقيقي ماركوس هيس، و"أورمل" إسمه المستعار عندما يقتحم الشبكة. بلغ الرابعة والعشرين من عمره في ذاك الصيف (١٩٨٦) وقطع دراسته الجامعية ليعمل مبرمجاً للدماغ الالكتروني في مدينة هانوفر شمال ألمانيا.

عمله، مثل دراسته من قبل، لا يثير إهتمامه. إنه يعيش لليالي التسلل. يجلس في الوهج المتألق المنبعث من المرقاب أمامه ويروح يضرب على الآلة رموز دخول غير مرخّص لها وأخرى ملفقة تتيح له حرية التجول في أنحاء العالم من خلال إختراق الأدمغة الالكترونية في ألمانيا الغربية وفرنسا والولايات المتحدة واليابان والبلدان أخرى.

في ليلة مثل تلك يكون هيس في شقة مستأجرة في غلوكسيستراس مؤلفة من غرفتين فرشتا كيفما أتفق باستثناء دماغ الكتروني هو قطعة الأثاث الوحيدة القيمة. ويحول الجهاز أوراق دونت عليها لوائح بكلمات سرّ وأسماء أصحاب حسابات . وحوله أيضاً كتيّبات تقنية وغلافات سكاكر وأكواب متسخة ومنفضة ضاقت بأعقاب السجائر المسحوقة من ماركة

"بنس هدجز". ولا يضيء المكان سوى طيف نور منبعث من شاشة الدماغ الالكتروني، تتراقص فيه سحب دخان السجائر ناشرة في الجو رائحة كريهة .

أقام هيس صداقة مع مهووس آخر بالأدمغة الالكترونية عمره ٢١ عاماً وإسمه كارل كوك لكنه يفضل أن يدعى هاغبارد. ويتناوب الصديقان أمام لوحة المفاتيح يعملان فيها نقراً وضرباً ويعرضان على المرقاب مواكب الحروف والأرقام. وهما لا ينفكان يتنقلان بين الشبكات لاختراق "بنوك" أخرى للمعلومات والتسلل اليها. تمرّ الساعات مسرعة فلا يشعران بها. وها قد إنتصف الليل وهما أمام الجهاز منذ العصر، يخالان الساعات دقائق. عالمهما الحقيقي الآن هو عالم الضوء والظلال ذاك وأرض المعركة تلك ، حيث جاءا ليبزّا أصحاب السطوة والسلطات دهاء وحيلة .

وفي ما خلا إدمانهما ليالي التسلل ، لا تجمع الصديقين صفة مشتركة أخرى، بل إنهما شديدا الإختلاف، ولقد درج هيس منذ أكثر من سنة على التنقل بين دوائر المتسللين، كما أنه يحضر أحياناً إجتماعات "نادي فوضى الكومبيوتر" ومركزه مدينة هامبورغ. وهذا النادي ملتقى المتسللين الذين يشتركون في أنهم جميعهم من أصحاب البراعة التقنية الفائقة ومن المؤمنين بأن لأي إنسان الحق في أن يغزو مراكز المعلومات التي تخص أي جهة. وفي عالم المتسللين هذا إكتسب هيس نجومية خاصة بفضل مثابرته.

وهو أشتهر بولعه باختراق الأدمغة الالكترونية العائدة الى القوات العسكرية.

وعلىنقيض هيس ، لم يكن كوك ماهراً في البرمجة. لكن موهبته الطبيعية في إستخراج كلمة السرّ الصحيحة من اللاشيء تتيح له إختراق خطوط الدفاع المتعددة.

وكان هيس ممتلء الجسم محباً للأبهة وإبن عائلة ألمانية ميسورة . أما كوك فكان عاطلاً عن العمل وغارقاً في الديون. وكان فوضوياً ثائراً وكتلة من الأعصاب. توفيت والدته وهو في العاشرة من عمره وتبعها والده بعد ثمانية أعوام. وكان والده صحافياً معروفاً، وتكفيراً عن أهماله إياه طوال سنوات نموّه، ترك له مبلغ ٥٠ ألف دولار. لكن المبلغ نفد قبل زمن بعيد. وهو أنفقه على شراء معدات الكترونية وعلى فواتير الإتصالات الهاتفية التي بلغت أحياناً ألف دولار في الشهر(وهذا ما يكلّفه التسلل الجدّي) وعلى المخدرات.وهو حالياً مدمن كوكايين وقد تدرّج اليه عبر الماريوانا والـــ "LSD".

يفضل كوك دائماً إسم هاغبارد. ويجنح به الخيال تحت وطأة الكوكايين الذي يتعاطاه فيتقمص شخصية هاغبارد فعلاً.

وهاغبارد الذي لا يهاب شيئاً يشنّ حرباً على جماعة "إلوميناتي" ذوي القلوب السوداء المتورطين في مؤتمرات دولية هدفها إستعباد الروح البشرية. وكوك، مثله، مجنّد في حرب يشنّها على أسياد الأدمغة

الالكترونية، أولئك الذين يخنقون تدّفق المعلومات بإيصاد أبواب بواسطة كلمات سرّية ورموز تحظر الولوج. وهكذا يخفون الحقيقة عن الناس.

وفي نهاية العام ١٩٨٦تعرف كوك الى مهووس آخر بالأدمغة الالكترونية وإسمه هانس هوبنر وعمره ١٧ سنة. وكان هذا معروفاً في أواسط "نادي فوضى الكومبيوتر" كمبرمج باهر. وكان كوك في ذلك الوقت منهمكاً في نشاطات " المركز ٥١١" في النادي. والرقم ٥١١هو في الوقت ذاته الرمز لمنطقة هانوفر في شمال ألمانيا الغربية. لكن مهمة كوك في المركز لم تكن تتطلب منه أكثر من بضعة إجتماعات في مقهى محلي، وبعض ليالي التسلل الطويلة في شقق مختلفة.

وما لبث المتسللان أن تعرفا الى ألمانيين يكبراهما سناً هما ديرك برزنسكي وبيتر كارل.

كان برزنسكي آنذاك في السادسة والعشرين من عمره وصاحب طبع شرير. وعرف عنه أنه في ثورة غضبه يكسر أي زجاج تقع عليه يداه. لكنه كان مبرمجاً مبدعاً يجني أكثر من ١٠٠دولار في الساعة من عمله خبيراً في تحديد مواطن الخلل في الأجهزة في عدد من الشركات، بينها "سيمنز" الكهربائية العملاقة. وكان المال يختفي حال وروده، ينفقه برزنسكي على سيارات السباق وعلى مجموعة واسعة من المخدرات. وهو سمع يقول بقناعة إنه لا يخشى أن يصبح مدمناً، لأنه يتعاطى أصنافاً عدة من المخدرات. أما بيتر كارل فكان في السابعة والثلاثين وقد عمل مديراً في

ناد ليلي في هامبورغ. ومنذ خسر برزنسكي إجازة السوق على أثر مطاردة الشرطة إياه لسرعته الفائقة ، تولى كارل القيادة، وهو لم يكن يعرف شيئاً عن الأدمغة الالكترونية وكان يحمل مسدساً.

في أوائل العام ١٩٨٦، بعد تبدد المال الذي ورثه كوك وإدمانه الكوكايين الذي كان يكلفه ٣٠٠دولار في الأسبوع، بدأ يسأل علناً كيف يمكنه أن يسخّر موهبته في التسلل لكسب المال.

وذات يوم من شهر سبتمبر(أيلول) اتصل كارل بوفد تجاري سوفييتي في برلين الشرقية . وهناك التقى رجلاً أنيق الملبس لم يعرف عنه سوى أن إسمه سيرج وأنه مع الــ"KGB" ( وكالة الإستخبارات السوفيتيية). حمل اليه كارل في إجتماعهما الثاني حقيبة مليئة ببيانات مسروقة من قواعد عسكرية غربية ومراكز أبحاث وصناعة. وهو أراد بذلك أن يريه عيّنة مما يمكن تحقيقه من طريق الخبرات التقنية. ذلك ما أرادت جماعة هانوفر أن تبيعه، وذلك ما عرضته : قائمة بأدمغة الكترونية يفترض أنها مصونة من الإختراق وموزعة في مجالات حساسة جداً. إنها نوع من "إفتح ياسمسم" تستجيب له مراكز المعلومات في الغرب. وهم طالبوا في مقابل ذلك كله مبلغ ٥٠٠ألف دولار.

هزّ سيرج رأسه نفياً. فرؤساؤه يفضلون أن تستمر الجماعة في تدبّر المعلومات وتسليمه إياها. وقال وهو ينقر على الحقيبة أن رؤساءه سوف يقوّمون ما في داخلها، وإنهم يهتمون كثيراً بالمعلومات المجموعة من بنوك

المعلومات العائدة الى السلطات والأجهزة العسكرية في الولايات المتحدة، وخصوصاً تلك المتعلقة بالبرامج الغربية لإنتاج "المنسّقة المصغّرة"، تلك الرقاقة الالكترونية الموجودة في قلب كل دماغ الكتروني.

وفي اللقاء الثالث إجتمع كارل بسيرج في مكاتب شركة "ماتا نوفيس" التجارية حيث سلمه هذا ظرفاً يحتوي على ١٠آلاف دولار "دفعة أولى" على حدّ تعبيره .

وهو أضاف : "أتحفونا بشيء كبير".

هكذا بدأت "عملية المسوّي" الإسم الذي أطلقه المتسللون على عمليتهم مع سيرج. ومنذ ذلك الحين بات كارل يعبر بانتظام حاجز فريد ركستراس بين برلين الغربية وبرلين الشرقية من دون أن يرتاب في أمره حراس الحدود في برلين الشرقية. وهو كان يسلّم أقراص المعلومات ويعود حاملاً ماركات ألمانية. صحيح أن ما قبضه المتسللون لم يكن ليكفي تسديد فواتير الإتصالات الهاتفية، إلاّ أنهم كانوا كل مرة يوعدون بمبالغ أكبر كثيراً، وهذا ما حملهم على مواصلة البحث.

وهكذا في إحدى ليالي سبتمبر (أيلول)، يجلس أورمل وهاغبارد في شقة هيس ويجوبان القارات أملاً بالعثور على شيء ما يجعل وكالة الإستخبارات السوفياتية تفتح كيس النقود. يبدآن بإجراء إتصال محلي بجامعة برمن، ومنها يتصلان بمؤسسة "داتكس ب" الشبكة الدولية للأدمغة الالكترونية في ألمانيا الغربية. ومن ثم يتصلان بشبكة "تيمنت" التي تضم أدمغة

الكترونية موزعة في أقطار العالم. والحقيقة أن في قدرة أي كان أن يفعل ذلك، لأن أرقام الإتصال بالشبكتين مدرجة في الدليل العام .

ولم لا ؟ فتسهيل تبادل المعلومات هو سبب وجود "تيمنت". أما الخطوة التالية ففائقة السهولة. إنهما يستخدمان حساب سفنتك القديم الذي استوليا عليه مستغلين بعض العيوب في نظام الحماية. ويتمكنان في النهاية من التسلل الى مختبر لورنس بيركلي.

زيارة المتسللين هذه خاطفة. مهما حصلا في "زيارة" سابقة على أفضليات إستثنائية. فمختبر لورانس بيركلي ليس هدفاً سهلاً فحسب، بل هو أيضاً مدخل مثالي متصل بعشرات الشبكات. والشبكة التي يستكشفانها هذه الليلة هي شبكة "ميلنت" التي تملكها وزارة الدفاع الأميركية. إنهما يقفزان من قواعد الجيش الى القوات الجوية الى مراسي السفن الى متعهدي الدفاع الى مواقع الصواريخ. إنهما كمن يختبر مقابض الأبواب في شارع مظلم. الأبواب موصودة ولا ينجح أي منهما في إكتشاف كلمة السرّ. وفي محاولات عدّة يصدّهما النظام. لكنهما لا ييأسان، فأمامهما أهداف مختلفة وفي حوزتهما كلمات سر كثيرة.

ينقضي الليل. يغفوان قليلاً ثم يعاودان العمل. ينقران، يتلمسان، يديران "مقابض الأبواب"، ويتصلان بـــ "ميلنت". يطلب المرقاب كلمة السرّ. يحاول هيس أن يتذكر الكلمة التي استخدمها في المرة الأولى عندما إستولى

على الصلاحيات الإستثنائية. يحدّق الى علبة السجائر ثم يطبع كلمة "بنسن".

وتنبئه الشاشة : "ليست هذه كلمة السرّ. حاول ثانية".

يطبع كلمة "هدجز".

ثمة توقف بسيط، فالدماغ البعيد يفتش في ذاكرته، إنهما يحاولان أمام الجهاز وعيونهما مسمّرة على الشاشة. يختفي العرض الأول وتحلّ عبارة "أهلاً بكم في مستودع أنيستون للجيش في مدينة أنيستون بولاية الأباما".

غداة اقتحام مركز المعلومات في مختبر لورنس بيركلي، فتح ستول سجلاً يدوّن فيه إقتحامات المتسلل وإستجابات المختبر لها.

أظهر السجل الثغرة التي إستغلها في المجال المحظور المخصص لمدير الأنظمة، حيث تنص التعليمات صراحة : "امنح هذا الشخص إمتيازات إستثنائية فائقة". ولم يكن الجهاز إلاّ ليذعن لها، هي صادرة عن "الرئيس الكبير". ولم يكن الرئيس الفعلي في الساعات الثلاث التي تلت سوى المتسلل .

كان المتسلل ينظر خلفه باستمرار ليتأكد من أنه غير مراقب. وهو بدأ عمله بكتابة برنامج يتيح له قراءة كل البريد الوارد. وضمّن البرنامج تعليمات تقضي بالتحقق من كلمتي "حماية" و "متسلل" اللتين قد تعلمانه باكتشاف أمره. وكان بين الحين والآخر يطبع كلمة "من ؟" فيجيبه الدماغ الإلكتروني بقوائم تحمل أسماء جميع الداخلين على الخط في ذلك الوقت.

وعندما عجز عن فهم إختبار علمي ينطوي على جمع معلومات وتسجيلها بانتظام، لم يتورع عن محوه متلفاً أشهر من الجهد المضني.

وفيما البرنامج يعمل راح يطلب الملفات يميناً ويساراً كمن يدخل خلسة مكتباً خالياً ثم يروح يفتح خزائن الملفات الواحدة بعد الأخرى. وأظهر نمط تفتيشه أن جميع الكلمات الرئيسية التي إستخدمها تتعلق بمواضيع عسكرية.فهو إستخدم عبارات مثل"حق الدفاع الإستراتيجي" المعروف في وسائل الإعلام بـــ"حرب النجوم" و" kh١١ " وهو قمر تجسس إصطناعي و"Norad "وهو إسم القيادة العامة للدفاع الفضائي _ الجوي في أميركا الشمالية و"ريدسون" وهو صاروخ أرض _ أرض.

ترى لماذا يبحث عن هذه الأمور في مختبر لورنس بيركلي ؟ أو يكون الأمر إختلط عليه فأخطأ بين مختبر بيركلي ومختبر ليفرمور الوطني الذي يبعد ٦٥ كيلومتراً ويتعاطى مشاريع سرّية وذات توجه دفاعي وتتناول شؤون الليزر والذرة ؟.

قال ستول : "لم نعد نعرف هل نثق ببرنامجنا بعد الآن". والحقيقة أن الثقة كانت مستحيلة قبل معرفة المتسلل، وهذا يقتضي معرفة ماذا ينبغي ومن هو.

رجع ستول الى رئيسه ليروي كيرث طالباً أن يمنحه الضوء الأخضر. فقال له هذا : "أمسك به . ولا يهمني إن اقتضى ذلك ثلاثة أسابيع".

عمد ستول من فوره الى إقامة حراسة الكترونية.

يقتضي للإمساك بالمتسلل تعقُّبه الى لوحة المفاتيح التي يستخدمها. فلا يكفي أن يُعرف أنه كان هناك. أو أن يُعلم النبأ السيئ بالقراءة عنه بعد وقع الضرر. وبات كليف يحمل جهاز تنبيه لاسلكياً لا يفارقه حتى حين ينام. وكان يكلفه ٢٠دولاراً في الشهر رسم إيجار يدفعه من جيبه الخاص. وبرمج الدماغ الالكتروني بحيث يتصل بالمنبه حالما يدخل المتسلل الشبكة، فيسرع ستول الى المختبر في اللحظة التالية.

قال ستول : "طالما قيل لي إن ذلك سيحصل ذات يوم. وها قد حصل. لقد أصبحت أنا إمتداداً لدماغي الالكتروني".

بعد ظهر اليوم التالي إنطلق من جهاز الإستقبال صوت حاد : لقد عاد سفنتك. وفيما الدخيل يتحقق من بقاء الثغرة التي جعلته مشتركاً إستثنائياً، كان ستول المهتاج يتصل هاتفياً بجماعة "تيمنت"لكي يقتفوا الإتصال الصادر عن أحد المنافذ التي تربط شبكتهم بمختبر لورنس بيركلي.

لم يحملهم البحث بعيداً، إذ قادهم الى مكتب لهم في أوكلاند يبعد خمسة كيلومترات. ترى لماذا دخل المتسلل عبر الشبكة الوطنية ذات مراكز إتصال توسّطية في حين أن في إمكانه الإتصال بمختبر لورانس بيركلي مباشرةً ؟ إنه، على حد تعبير ستول، "كمن يأخذ الطريق العامة التي تصل بين الولايات المتحدة ليقود سيارته بضعة أمتار" وأضاف : "هذا الشخص خبير ويعرف كيف يختبئ . فاتصاله عبر تيمنت يضيف طبقة يتعيّن على متعقبه أن ينـــزعها".

إقتضت الخطوة التالية أمراً من المحكمة يجيز إقتفاء المكالمة الى الهاتف الذي أجريت منه، وذلك يقتضي مذكرة من أجهزة الشرطة، وفكر ستول في أن القضية تدخل ضمن صلاحيات "مكتب التحقيقات الإتحادي" "F B I" فاتصل بالمكتب. لكن المتكلم أجابه بصوت ينم عن شك كبير : " دعني أستوعب الأمر جيداً. إنك تتكلم عن ٧٥سنتاً مفقودة، وتريد أن تجري الـ"F B I" تحقيقاً "؟ وأفهمه مكتب النيابة العامة في أوكلاند _ وإن بدا أكثر تعاوناً _ أن الأمر يستغرق وقتاً طويلاً.

يوم الأربعاء الواقع في ١٠سبتمبر (أيلول) ١٩٨٦، إتصل المتسلل مستخدماً إسم "هنتر" إلاّ أنه غادر بسرعة قبل أن يصل ستول الى المختبر الذي انتقل اليه على دراجته. لكن الآلة الطابعة إقتفت الإتصال مسجلة أن المتسلل إتصل بـــ "ميلنت" وهي شبكة صناعات عسكرية ودفاعية، ومنها إتصل بمستودع أنيستون التابع للجيش. وهو استخدم كلمة السر "هدجز" مرة أخرى .

بدأت النشرات الالكترونية المطبوعة في مختبر بيركلي ترسم صورة للطريدة. وبدا واضحاً أن المتسلل لم يكن يلهو ولم يكن مهتماً بألعاب الكومبيوتر بل إنحصر إهتمامه في أمور عسكرية وفي أوجه إستخدام العلوم والصناعة لأغراض عسكرية . فالكلمات الرئيسية التي ترددت في برنامجه وإستأثرت بأبحاثه تمحورت حول مواضيع مثل إطلاق مكوك فضائي ، وانطلاق قوات جوية، والحروب الكيمائية والبيولوجية وقواعد

الجيوش،والتجسس،ووكالةالإستخبارات المركزية ( CIA) والأقمار الإصطناعية . وهو راح يبحث عن بيانات ومعلومات من ذلك النوع بتصميم منقطع النظير .

هل هو جاسوس يا ترى ؟ هكذا تساءل كليف من دون أن يطلع أحداً على ما ساوره سوى مارثا.

إلاّ أن ستول بدأ يشعر بأنه يعرف خصمه الخفي. فمهارته في الأدمغة الالكترونية أوحت أنه في العشرينات من عمره. ولاحظ أن أكثر الأسماء وكلمات السر تردداً لديه هي "هدجز" و "بنسن" و "هنتر" و "ياغر".

وقد إكتشف ستول أن "ياغر" بالألمانية تعني "هنتر" بالإنكليزية أي الصياد. او يكون المتسلل يدرس اللغة الإلمانية ؟ أو لعله ألماني الأصل ؟ "بنسن أند هدجز" ماركت سجائر فهل من مدخنيها ؟ إلاّ أن السؤال الجوهري ظل من دون جواب. ولم تفض هذه التساؤلات الى معرفة هوية المتسلل.

والواقع أنه مع دنو نهاية شهر سبتمبر (أيلول) وانقضاء مهلة الأسابيع الثلاثة لكشف القناع عن وجه المتسلل، إعترى ستول شعور بالإحباط. فأمر المحكمة الذي يجيز تعقب المكالمات والذي أصدر بعد إنتظار طويل لم يفد أبداً. وهو لم يكن نافذاً إلاّ ضمن ولاية كاليفورنيا التي بدأ المتسلل لا يستخدم شبكاتها إلا كمحطة في تحركاته عبر الولايات ، متخطياً أحياناً الحدود الدولية.

وتشابهت إستجابات الـــ "FBI" والجيش لتوسلات ستول. فهما أفاداه إنهما لا يتعاطيان مثل تلك القضايا . وبدا له أن أحداً سواه لا يتعقب المتسلل. ولم تعجبه فكرة القيام بدور الشرطي، كما أنه كان يجهل كيف يمسك بالمتهم. وظل يقلب في فكره تألب الأحداث الغريبة التي جعلته _ وهو زهرة أينعت في الستينات _ يتورط مع الـــ "F.B.I." ومع الـــ" CIA".

والى المائدة في مطعم مختبر لورنس بيركلي قال له لويس ألفاريز متعاطفاً، وهو كان حاز في العام ١٩٦٨جائزة نوبل في الفيزياء : "عندماتجري أبحاثاً جديّة، لا يمكنك أن تعرف مسبقاً كم ستبلغ كلفة البحث وكم سيستغرق من وقت وماذا سيكشف من نتائج".

فرد ستول : "لكن هذا ليس بحثاً ، إنه عملية عسكر وحرامية".

فقال ألفاريز بحدّة : "لا تدعه يكون هكذا . لا تحاول القيام بدور الشرطي. كن عالماً".

لم يقتنع ستول بهذا الكلام. ولكن إذ لم تكن أمامه سبل عدة أخرى عمل بالنصيحة. وضع رسماً بيانياً بتوقيتات عمليات الغزو. واستخلص أن معظمها تمّ قرابة الظهر بحسب توقيت الولايات الغربية، أي في الثالثة بعد الظهر بحسب توقيت الولايات الشرقية. وهو وجد ذلك منافياً للمنطق وسخيفاً مما عمق كآبته. فتلك أوقات لا يعمل فيها المتسللون المعروفون بأنهم كائنات ليلية.

خطرت له فكرة أخرى. سوف يقيس الوقت الذي يفصل بين إرسال مختبر لورنس بيركلي المعلومات ورجع الصدى، أي الفأفأة البسيطة التي يحدثها جهاز المتسلل إشعاراً بأنه تلقى المعلومات . وبالرجوع الى قواعد الفيزياء الأساسية _ أي ضرب المدّة التي يستغرقها رجع الصدى بنصف سرعة الصوت، مع أخذ مدة التأخر ضمن الشبكة في الحساب _ لا بدّ وأن تتضح المسافة الفاصلة بين موقع المتسلل ومختبر لورنس في بيركلي .

جهز كليف مرسمة للذبذبات. ولكي يتحقق من صحة نظريته طلب من أصدقاء له موزعين في أنحاء البلاد أن يجعلوا أدمغتهم الإلكترونية تتصل بدماغه. فتبين له أن الصدى من الإتصالات الواردة من مدينة لوس أنجلس في ولاية كاليفورنيا التي لا تبعد عن المختبر سوى بضع مئات من الكيلومترات، لا يستغرق سوى عشر ثانية، أما الإتصالات الواردة من نيويورك فاستغرق رجع صداها نحو ثانية كاملة. بعد ذلك سجّل ستول الوقت الذي ورد فيه إتصال المتسلل. فتبين في المدة التي استغرقها الصدى أن المتسلل يبعد أكثر من ١١ ألف كيلومتر.

طأطأ كليف ستول رأسه مكتئباً. فالإختبار نجح، لكن النتيجة جاءت في منتهى الغرابة، فهي أظهرت أن المتسلل لم يكن حتى في الولايات المتحدة، قد يكون في أي بقعة على وجه الأرض، من أميركا الجنوبية الى أوروبا الغربية.

إنه وقت عصيب بالنسبة الى متسللي هانوفر. فلقد أصدرت ألمانيا الغربية في أول أغسطس (آب) ١٩٨٦ قانوناً إعتبرت بموجبه التسلل في بعض الظروف جريمة يعاقب عليها بالسجن مدة وقد تصل الى ثلاث سنوات. وهم (طردوا) من مستودع الجيش في أنيستون وبدأوا يواجهون صعوبة كبرى في إختراق قواعد عسكرية ومراكز أبحاث أميركية. ولئن لم يكن لديهم أي دليل حسي فإنهم يشعرون بإنهم ملاحقون. ولما لجأ كوك الى إستخدام آلة "مودم" ودماغ إلكتروني يحمل باليد، وإجراء إتصالاته من كشك عمومي للهاتف، حرصاً منه على ألا يتعقبه أحد الى شقته.

بدأ السوفييت يضغطون من أجل الحصول على معطيات محددة. فهم تارة يطلبون رموزاً عسكرية تؤمن دخول الشبكات، وطوراً يريدون برامج كومبيوتر معدّة لعمليات التصميم والإنتاج (CAD/CAM)ولتكنولوجيا الليزر. أما الطلب الدائم والملح فكان للرقائق الالكترونية. وكان كارل، الذي تولى دور الوسيط، يعود الى الجماعة بمبالغ ضئيلة ٢٥٠٠أو ٥٠٠٠ دولار _ يتوزعها الخمسة. أما سيرج، منسق العملية، فما انفك يطمئنهم الى أن لديه أضعاف تلك المبالغ مئة مرة ولكن في المقابل "شيء كبير".

بلغ عدد اللقاءات في برلين الشرقية ٢٥. والخمسة الذين قصدوا السوفيات علهم يبيعوهم بعض المواد باتوا يحملون قائمة طويلة من الطلبات السوفياتية.

إنهم يبلغون قصارى جهدهم. وهم إنتهكوا أدمغة الكترونية في فورت ستيورت بولاية جورجيا تابعة لقوة "الإنتشار السريع" في الجيش الأميركي، وإخترقوا قاعدة جوية في رامشتاين بألمانيا الغربية ومركزاً بحرياً نائياً في المحيط الهادئ ومعسكر بوكنر في جزيرة أوكيناوا شمال شرق تايوان. وتوصلوا أيضاً الى إختراق "أوبتيموس" وهو دماغ ألكتروني في مبنى وزارة الدفاع الأميركية ( البنتاغون) يستخدم مخزناً للوثائق العسكرية.

يبدي برزنسكي تحت الضغط جرأة وشجاعة. وكان لايزال يجني مالاً وفيراً من عمله خبيراً في تحديد مواطن الخلل في الأدمغة الالكترونية. أما لقاءاته فكان يعقدها في المقاهي العامة. ويحرص على دفع حساب كل المجتمعين. لكن طبعه الأشرس لم يفارقه، وما زالت كلمة واحدة غير مناسبة تمحو الإبتسامة السهلة عن وجهه بلمح البصر ليحل مكانها تجهم عنيف. وهو تشاجر غير مرة مع هوبنر وهدده بالقتل.

ومن عادته التبجح بأن الشرطة لن تنال منه أبداً. وإن هي هاجمته فسوف يقاوم ويقتل ثلاثة من عناصرها قبل أن تتمكن منه. والواقع أنه عندما قبض عليه فعلاً في يونيو (حزيران) ١٩٨٧بتهمة التهرب من الخدمة العسكرية، لم يبد أي مقاومة. وسار بهدوء مع رجال الشرطة. وحكم عليه بعد ذلك بوضعه تحت المراقبة ثمانية أشهر.

ظل على هيس أن يحاول إشباع نهم السوفييت الذين توالت طلباتهم. وهو دأب على السهر ليالي متتالية في شبه ظلام، يجوب القارات ويعبر المحيطات

عله يجد منفذاً. أما هوبنر فجبن أمام الضغط المتعاظم، فيما غرق كوك في دوامة لونها الكوكايين فتحولت ساحة وغى يقود فيها جيوشه _ هو هاغبارد _ للإنقضاض على الألوميناتي الذين ظهروا على هيئة رأسماليين بدينين ومديري أنظمة كومبيوتر يعملون لديهم.

وفي نهاية سبتمبر (أيلول) أنعش "ليروي كيرث" آمال ستول بتمديد مهلة الأسابيع الثلاثة. بعد ذلك تسارعت الأحداث . ففي نوفمبر (تشرين الثاني) تمكن ستول من إقتفاء المتسلل الى حلقة إتصال في مؤسسة "ميتر"في ماكلين بولاية فرجينيا، وهي شركة تعهدات دفاعية ذات نظام أمني فائق الصرامة. ومع أن المؤسسة تحذر دخول الزوار ما لم يعرف بهم ويرافقهم أحد المسؤولين، فإن أي شخص يقتني دماغاً الكترونياً للإستعمال الشخصي وآلة "مودم"، يمكنه أن يقيم إتصالاً مع "تيمنت" ومنها يتصل بـ "ميتر" من دون سؤال أو جواب. لم يطل الوقت قبل أن يتخذ المتسلل "ميتر" منفذاً آخر ومكاناً يختبئ فيه حتى أنها كانت تدفع رسوم إتصالاته من دون أن تدري.

وللحال بدأ ستول يعمل مع"ميتر" لتعقب المتسلل. وبعد بضعة أيام إتصل به عميل المكتب الإتحادي في إلكسندريا بولاية فرجينيا إسمه مايك غيبونز. ولم يكن ذلك العميل لترهبه الأدمغة الالكترونية ومراكز المعلومات. وهو الى ذلك أدرك أن المسألة ليست قضية ٧٥ سنتاً مفقودة وأن ما يظهر منها ما هو إلا رأس جبل جليدي مغمور. وبعدما استمع بإنتباه الى ستول الذي

وضعه في جو أحداث الأشهر الثلاثة الماضية، طلب منه نسخة عن السجل الذي دوّنه ويضمّ ٥٠صفحة، ثم قال : "إنها جريمة، جريمة خطيرة. الشخص الذي نحن في إثره يواجه حكماً بالسجن خمس سنوات وبغرامة مقدارها ٥٠ألف دولار. إنني معكم في هذه القضية".

وافق مدير الأنظمة في مؤسسة "ميتر" على تزويد ستول قائمة بجميع مكالمات الدماغ الإلكتروني التي سُجلت على حساب الشركة. لكنه سأله: " لماذا تريدها" ؟

فرد ستول :"دعنا نعرف في أي مكان آخر تصرّف صاحبنا كأنه صاحب البيت".

وما لبث أن جاءه الجواب في ظرف منتفخ بفواتير التحصيل المرسلة من شركة الهاتف خلال الأشهر الستة الأخيرة. وكان على ستول، لكي يستخلص الجواب، أن يغوص في قوائم المكالمات الخارجية المسجّلة مع تواريخها وتوقيتاها والأرقام التي جرى الإتصال بها والمدن التي هي فيها. وبدأ ستول تبويب ما لديه. ووضع برنامجاً للدماغ الالكتروني على أساس الأهداف المعروفة التي اتصل بها المتسلل، أي "تيمنت" ومختبر لورنس بيركلي ومستودع الجيش في أنيستون. وعندما إنتهى من ذلك ثبت له أن المتطفل الغامض إقتحم ما لا يقل عن ستة أدمغة الكترونية، وأنه أجرى من "ميتر" وحدها أكثر من ١٥٠إتصالاً بقواعد عسكرية وأحواض سفن وشبكات عسكرية موزّعة في أنحاء الولايات المتحدة.

أدخل كليف في سجله سؤالين : "ماذا اكتشف المتسلل ؟" و "ماذا يفعل بالمعلومات التي حصل عليها" ؟

وبعيد الثانية عشرة ظهر يوم السبت الواقع فيه ٦ ديسمبر (كانون الأول) أطلق جهاز الإستقبال المنبه الذي يعلقه ستول في حزامه ثلاث صفرات _نقاطاً ثلاثاً، أي رمز الحرف "S" في نظام "مورس". لقد عاد سفنتك إذاً.

وعندما تبين أن الإتصال الذي تلقاه المختبر صادر عن "ميتر" التي وصل إليها المتسلل عبر "تيمنت"، رفع ستول سماعة الهاتف وطلب تعقباً داخل الشبكة. لم يستغرق ذلك طويلاً، وأسفر عن أول دليل ملموس على ذلك الشبح الذي جرى وراءه طويلاً.

سأله عامل الهاتف في "تيمنت" : "هل أنت متأكد من أنه الشخص ذاته الذي تتعقبه" ؟

وقبل أن يجيبه ستول راقب جرد المتسلل لقائمة الكلمات الرئيسية، وجميعها متعلق بأمور عسكرية. ثم قال : "نعم، أني متأكد".

فشرح له العامل سبب إستغرابه : "أنه يجري إتصاله من خارج نظام تيمنت، من خط دولي للهاتف والتلغراف، ربما كان مركزاً أرضياً يصل قمراً إصطناعياً بمحطة أرضية".

سأله كليف : "أتعني أن هذا الشخص ليس في أوروبا" ؟

فأجابه : " قطعاً، هو ليس في أوروبا".

وعلى الأثر إتصل ستول بستيف وايت في شبكة "تيمنت"، الخبير في فك العقد المستعصية في المخابرات الدولية . وتمكن هذا من إقتفاء الإتصال إلى أبعد من القمر الإصطناعي، الى النقطة الأولى التي أجرى منها المتسلل إتصاله بالخط الدولي.

سأله ستول : "والنتيجة" ؟

فأجاب : "أن الرجل الذي تبحث عنه موجود في ألمانيا الغربية. وهو يتصل بنا من شبكة ألمانية إسمها "داتكس ب". ثم أضاف أنه، يوم الإثنين، سيعطي العنوان الذي يجري منه المتسلل إتصالاته الى مصلحة البريد الألمانية الغربية لتحديد النقطة التي إتصل منها في شبكة "داتكس ب".

مرّت أيام. واتصل "مركز الكومبيوتر للأمن الوطني" يسأل ستول كيف يمكنه أن يتأكد من أنه لا يلاحق دماغاً الكترونياً مبرمجاً على نحو شيطاني بحيث ينتقل بين أدمغة الكترونية أخرى محاولاً تعليقها. قلّب ستول سؤالاً في رأسه ثم أجاب : "أنا أكيد أنه ليس دماغاً الكترونياً، لأن هذا المتسلل برتكب أخطاء طباعة. وبرامج الكومبيوتر لا تخطئ هكذا".

أخيراً طلعت مارثا بفكرة "الفخ"، وهي خاطبت كليف قائلة : "إسمع، عليك أن تعطي ذلك الشخص سبباً يدفعه الى إطالة مكالمته مدة تمكنك من إقتفائه".

فسألها : "وأي سبب".

فأجابته : "السبب ذاته الذي من أجله إقتحم الشبكات. أعطه أسراراً. عن حرب النجوم مثلاً. شيئاً يتحرّق لمعرفته. شيئاً يستغرق نسخه في دماغه الالكتروني ساعتين".

مرت أيام عصيبة كان المتسلل أثناءها يدخل الشبكة بقصد الإنطلاق منها الى سواها فقط. ثم، في يوم الجمعة ١٦يناير (كانون الثاني) ١٩٨٧، التقط الطعم. وعندما ظهر في الشبكة الساعة ٥,١٤بعد الظهر، طلب للحال قائمة المشتركين الذين كانوا يستخدمون الشبكة في ذلك الوقت. وسرعان ما استرعاه ملف "سدينت" فتحوّل خلال دقائق مدير أنظمة وراح يعرض الملفات الواحد تلو الآخر ويقرأها بنهم أنساه أن يتحقق من أن أحداً لا يراقبه.

إتصل كليف بستيف وايت قائلاً : "أطلب ألمانيا، إنه هنا، وسوف يمكث بعض الوقت".

ظل المتسلل على الخط ٤٥دقيقة أتاحت لعميل "داتكس ب" ولفنيّي مصلحة البريد الألمانية أن يتعقبوا المكالمة ويحصروها في واحد من ٥٠خطاً. وقال وايت لستول لاحقاً: "كان الشباب في غاية الحماسة هنا وظنوا أنه وقع في أيديهم".

فرد ستول مطمئناً : "لا تقلق، سوف يعود". وهو علم أن المتسلل لم يطلع على جميع ملفات "سدينت".

مرة أخرى أمضى ستول الليل مفترشاً الأرض في مكتبه. وعندما صفر جهاز الإستقبال المنبه الذي يحمله في الساعة ٨,٠٨صباحاً كان هو مستيقظاً. إتصل بوايت، إلاّ أن المتسلل قطع الإتصال بعد نصف ساعة فقط. وعاود في الساعة ١٠,١٧صباحاً، وكانت مارثا وافت ستول الى المكتب. وعندما رن جرس الهاتف عرف الإثنان أن ستيف وايت على الخط.

صرخ وايت في أذن كليف: "لقد اقتفوا أثره واكتشفوا الرقم" .

سأل كليف: "من هو" ؟

فأجابه وايت: "إنّهم لا يصرِّحون. ولقد أحالوا القضية على الشرطة".

هذه الليلة سيكون المتسلل خلف القضبان. هذا ما بدا لهما آنذاك. لكن الواقع تعدى جميع تصورات ستول وسواه تلك الليلة من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٧. ولقد تبين في ما بعد أن على الشرطة الإتحادية في ألمانيا الغربية أن تعمل أكثر من سنتين لاستكمال الدعوى قبل أن تقوم بأي تحرّك.

مع حلول ربيع ١٩٨٧شعر المتسللون بأن الشرطة تضيّق عليهم الخناق. وكان هانس هوبنر ضُبط وفي حوزته أوراق ثبوتية مسروقة من إحدى الشبكات تخوّل حاملها إنتحال شخصية مشترك ذي إمتيازات. وكان كوك وهيس شريكيه في هذه العملية. ولما لم يلحق هوبنر أيّ أذى شكّ الإثنان في أنه ربما أخبر الشرطة أكثر مما ينبغي أن يخبرها.

آخر إتصال أجراه ماركوس هيس بمختبر لورنس بيركلي كان في الحادي والعشرين من شهر يونيو (حزيران). وبعد يومين دهم فريقان من المحققين مكتبه وشقته وصادرا منهما الدماغ الالكتروني وكدسة من النشرات المطبوعة ومئة قرص (ديسك) ووثائق تصف "ميلنت".

لقد انتهت "حرب النجوم" بالنسبة الى هوبنر وهيس. وحده كوك، الذي كان يتجنب شقته ويجري إتصالاته من أكشاك عمومية للهاتف، واصل اعمال التسلل. لكنه مطارد من شياطين من نسج خياله: وفي بيان رسمي كتبه في وقت لاحق وطلب من "نادي فوضى الكومبيوتر" نشره شبّه نفسه بـ "هاغبارد" العبقري الذي خلّص البشرية من حرب عالمية ثالثة". وتابع وقد جرفه جنون العظمة : "لقد بتُّ شهيراً الى حدّ يردع أي محاولة لإلغائي بعنف... إن الفيروس الذي اكتشفناه يضمن لنا القوة لإطلاق الفوضى... فتتداعى الأدمغة الالكترونية في الصناعات وينقطع التيار الكهربائي وتنهار شبكات النقل والإتصال ... ويتعطل كل شيء... ولا يبقى شيء على حاله".

وفي ذلك الربيع كان صحافيان إسمهما أكسل ليرش وبيزيد شوغمان على علم بتورط كوك في العملية. فتعقباه الى حانة "تاباك" التي كان يتردد إليها. وجلس الجميع يحتسون الشراب. وحرص الصحافيان على إسماع كوك ما يشبع غروره. فراح يسرد عليهما بعض فصوله التسللية المدهشة،

كاختراقه مختبراً للفيزياء النووية حين راح يحرّك مواد إنشطارية "لمجرّد أن أختبر قدرتي على ذلك".

افتتن الصحافيان بما سمعاه، وعرضا على كوك مبلغاً من المال في مقابل تزويدهما مادة تصلح لكتابة مقال مثير. ولاشتداد حاجته الى المال وافق للحال. فأخذاه الى شقة شونمان في هامبورغ حيث إنضمّ إليهم هوبنر. ثم راح المتسللان، مستخدمين أجهزة كوك، يطوفان بنوك المعلومات في ألمانيا الغربية وإيطاليا والولايات المتحدة، وتحت الحاح الصحافيين، أخبرهما المتسللان بعلاقتهما بالإستخبارات السوفييتية، وسمحا لهما بتصويرهما في شريط تلفزيوني وهما يتظاهران بالتسلل.

عجز كوك عن طرد المخاوف التي ساورته والضغوط الخفية التي لاحقته. فما كان منه إلا أن التقى مندوباً لوكالة أمن هامبورغ يوم ٥يوليو (تموز) وإعترف له : "إنني انتمي الى مجموعة متسللين تزود وكالة الإستخبارات السوفييتية معلومات مسروقة".

وبعد أسبوعين، أثر تلقي هوبنر عرضاً أعجبه للمساهمة في إنشاء شركة مشروعة لبرامج الأدمغة الالكترونية، قرر الإنسحاب من العملية، فأطلع سلطات ألمانيا الغربية على كل شيء.

ولكن لم يكن السجن من نصيبه، ولا من نصيب كوك الذي أُخضع لاستجواب دقيق وأطلق الإثنان في وقت لاحق. وكانت الشرطة في صدد إستكمال الملف الذي فُتح قبل ١٨شهراً حين وصل تحذير كليف ستول

من الولايات المتحدة بأن المتسللين من ألمانيا الغربية يقتحمون أنظمة أدمغة الكترونية لمؤسسات عسكرية وعلمية موزعة في أنحاء العالم. وكانت سلطات ألمانيا الغربية بدأت تحقيقاً مكثفاً وراحت تراقب المتسللين من بعيد وتسجيل عبورهم المتكرر الى ألمانيا الشرقية.

كانت رحلة بيتر كارل الأخيرة الى برلين الشرقية في شهر ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٨. فاللعبة إنتهت، وقد بدأت وكالة الإستخبارات السوفييتية تتنصّل من العملية التي شارفت الإفلاس. ولم يتعدَّ مجموع ما حصل علية المتسللون من السوفييت ٥٠ألف دولار، وهذا نزر يسير مما كانوا ليجنونه لو أنهم، خلال السنتين الماضيتين إستثمروا أوقاتهم في أعمال مشروعة.

في الأول من شهر مارس (آذار) تحرّكت الشرطة الإتحادية في ألمانيا الغربية للإطباق على متسللي هانوفر. وكان القانون الخاص بالتسلل أصبح نافذاً منذ أكثر من سنتين ونصف سنة. قُبض على بيتر كارل أمام شقته، وكان في الطريق الى إسبانيا. وفي اليوم التالي إقتيد هيس وبرزنسكي للإستجواب. وقد أطلق هيس في انتظار المحاكمة، فيما أوقف رفيقاه الباقيان في سجن كارلسروه ريثما يوجه إليهما الإتهام الرسمي. وكان كوك في تلك الأثناء يتلقى علاجاً لإزالة أثر المخدرات من جسمه ولإعادة تأهيله، في مصحّ للأمراض العصبية في ضاحية شمال هانوفر كان دخله قبل شهرين بكامل إرادته وفي ذروة إهتياجه. ولم توجه اليه ولا إلى هوبنر أي

همة، ولم يُقبض على أي منهما. والظاهر أن إستسلامهما للشرطة وتعاونهما معها أثمرا.

وفي ٢٥يوليو(تموز)أصدرت مذكرات إتهام بحق كل من هيس وبرزنسكي وكارل. وفيها أنهم تصرفوا كعملاء لدى وكالة الإستخبارات السوفييتية وعرّضوا أمن جمهورية ألمانيا الإتحادية وسلامتها للخطر. والمدهش أن الشريط التلفزيوني الذي يظهر فيه كوك وهوبنر وهما يشرحان إمكان إختراق أدمغة الكترونية ذات حماية "مضمونة" لم يعرض على شاشات التلفزيون في ألمانيا الغربية. وساعدت الشرطة كوك في العثور على وظيفة، ويبدو أنه يتجاوب والعلاج ضد إدمان المخدرات.

في أواسط شهر مايو (أيار) ١٩٨٩أخضع كوك لاستجواب دقيق ثان من الشرطة الإتحادية. وصباح الثلاثاء التالي ، وكان يوماً ربيعياً دافئاً، إنطلق في مهمة عادية. وبدل أن يتوجه الى مكتب السجلات العامة حيث كان يعمل، قاد السيارة الى حرج يبعد حوالي ٨٠كيلومتراً الى الشرق من هانوفر. وهناك سكب على نفسه صفيحة وقود وأشعل عود ثقاب.

وقد أنحى "نادي فوضى الكمبيوتر" باللائمة على وسائل الإعلام لأنها دفعت كوك الى "حالة من اليأس". وراجت أقاويل مفادها أن وكالة الإستخبارات السوفييتية قتلته تحذيراً لأمثاله من مغبة العمل مع الشرطة.

وعلى الرغم أنه لم يُعثر على بقاياه المتفحمة إلاّ بعد أسبوع من وفاته، فقد لاحظ معارفه أن اليوم الذي قضى فيه كارل كوك حمل الرقم ٢٣ "السحري"، فهو كان الثالث والعشرين من مايو (أيار).

في ١٥ فبراير (شباط) بعد محكمة طويلة، دين المتهمون الذين ثبتت عليهم جميع التهم الموجهة إليهم. وصدرت الأحكام على الشكل الآتي سجن بيتر كارل سنتين، سجن ديريك برزنسكي سنة وشهرين، سجن ماركوس هيس سنة وثمانية أشهر. إلا أن الثلاثة عُلِّقت عقوبتهم وأطلقوا على أن يبقوا تحت المراقبة مدة ثلاث سنوات يُعادون خلالها الى السجن إذا إرتكبوا أي عمل جرمي.

أما الكتاب الذي نشره كليف ستول بعنوان "بيضة الوقواق" وتناول فيه دوره في العملية، فكان من الكتب الأكثر رواجاً في الولايات المتحدة بعد هذه القضية.

## المراجع


١–جون وود "جواسيس للبيع". ترجمة لطيف الناصر. دار الحسام. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٠. ص ١٧٥–١٩٧.

٢–"المحرّر العربي". العدد ٣١٩. من ٢–٨ تشرين الثاني ٢٠٠١. ص ١٦.

٣–"المحرّر العربي". العدد ٣٤٣. من ٣–٩ أيار ٢٠٠٢. ص ٢٠.

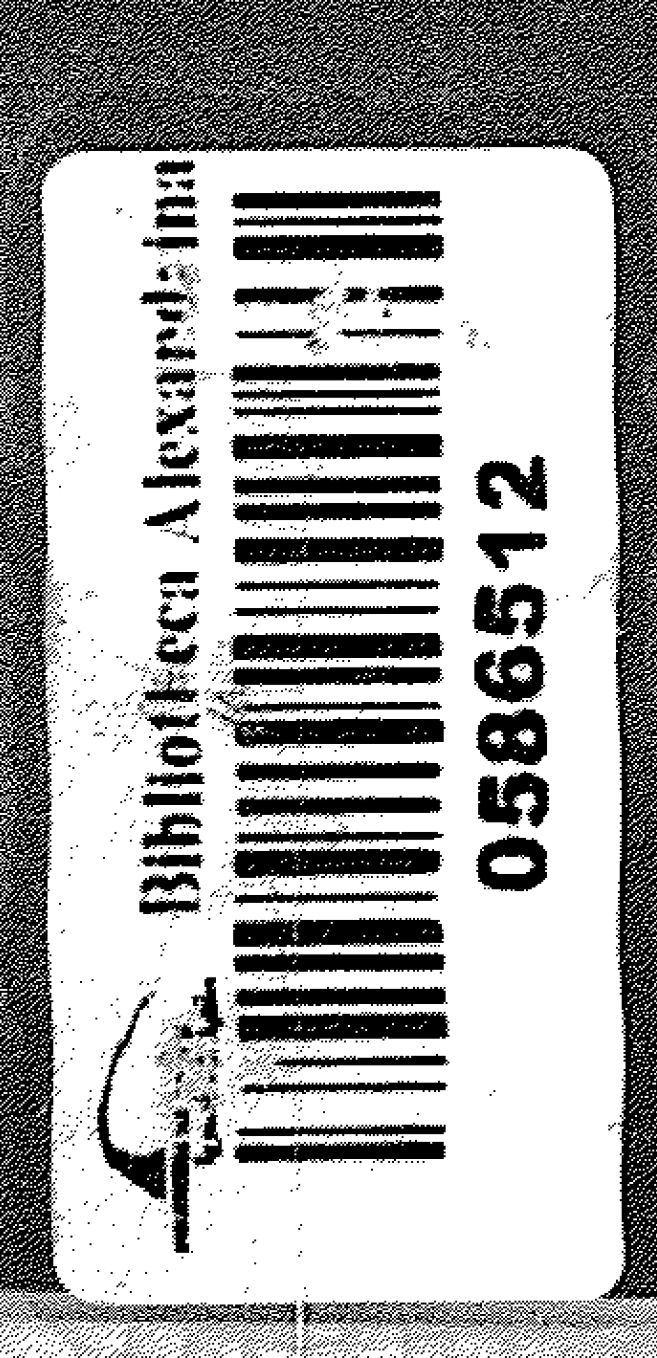
٤–صحيفة "لوس أنجلوس تايمز" الأميركية ٢٠٠٢/٤/٢٤

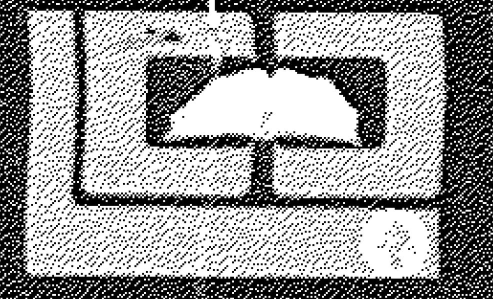
٥–"الموسوعة العسكرية" بإشراف المقدم الهيثم الأيوبي. الجزء الأول. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٧. ص٢٥.

٦–نديم عبده "أمن الكمبيوتر" (الفيروسات والقرصنة المعلوماتية وإنعكاساها على الأمن القومي). دار فكر. بيروت. الطبعة الأولى. خريف ١٩٩١. ص ٤٩ و ٩٢–٩٣.

٧–نديم عبده "حروب المستقبل". بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٩. ص ٥٤–٥٦ و ٦٢–٦٦.

# فـــهـــرس



المركز الثقافي اللبناني